الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غليزان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللسانيات العربية
- دراسة في خصوصيات التلقي -

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه ل.م.د في اللسانيات العامة

إعداد الطالب(ة): صام عبد القادر

إشراف: أ. د بن شيحة نصيرة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
ابراهيمي بوداود	أستاذ	جامعة غليزان	رئيسا
بن شيحة نصيرة	أستاذ	جامعة غليزان	مشرفا مقررا
بن عيسى عبد الحليم	أستاذ	جامعة وهران 1	مناقشا
خاين محمد	أستاذ	جامعة غليزان	مناقشا
عطاء الله كمال الدين	أستاذ محاضرأ	جامعة الشلف	مناقشا
عثماني عمار	أستاذ محاضرأ	جامعة غليزان	مناقشا

السنة الجامعية: 2021م/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة، وأعانني بفضله ومنه على أن أكمل هذا العمل، وأصلي وأسلم على محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وبعد:

أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساعدني على إتمام هذا العمل، وتخطي جميع العقبات التي اعترضت طريقي في مقدمتهم الأستاذة المشرفة: بن شيحة نصيرة التي كانت لي عونا وسندا بنصائحها وإرشاداتها القيمة في مجال البحث العلمي.

كما أتوجه بالشكر والامتنان لرئيس مشروع الدراسات اللغوية أستاذي الفاضل ابراهيمي بوداود، ولكل القائمين على قسم اللغة والأدب العربي بجامعة أحمد زبانة غليزان ـ أساتذة وإداريين ـ كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة وتقييم هذا العمل البحثي، ولكل من ساعدني سواء من قريب أم بعيد في إعداد هذه الأطروحة بهذه الحلة.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمريهما، ومتعهما بدوام الصحة والعافية

إلى زوجتي رفيقة دربي، من صبرت من أجلي وأعانتني على المواصلة.

إلى قرتي عيني وعزي ومعزتي وعيني الثالثة: لجين وسجى.

إلى إخوتي وأخواتي، وجميع أفراد العائلة صغيرا وكبيرا.

إلى كل رفاق الدرب وجميع الأصدقاء.

إلى كل هؤلاء، أهدي هذا العمل.

صام عبد القادر

مقدّمة

مقدّمة:

شهدتِ الأبحاث اللسانية الحديثة عدّة تحوّلاتٍ منهجية ومعرفية، كان لها التّأثير البالغ في تغيير مساراتِ الدّرس اللّغوي، وكانتِ البداية الأولى مع "**فرديناند دوسوسير** ***Ferdinand De Saussure***" الذي ساهم في الانتقال بدراسة اللّغة من مجالاتٍ بحثية كانت تكرّس مبدأ التّبعية لحقول معرفيةٍ مجاورةٍ للمبحث اللّغوي إلى رحاب الدّراسة اللّسانية التي انتصرت لفكرة الانغلاق على النّسق اللّغوي، ودراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، آخذةً بمبدإ المحايثة في مقاربة اللّغة.

ولئن كان التّصوّر البنوي، يشكّل نقطة انعطافٍ حادّة، ساهمت في انبثاق براديغم ألسنيٍ جديد، ما انفكّ ينمو ويتصلّب مع التّصوّرات اللّسانية البنوية المتلاحقة، فإنّ الأنموذج التّوليدي التّحويلي، الذي اقترحه "**نعوم تشومسكي** ***Noam Chomsky***"، يعكس حدث التّحوّل الجوهري الذي طرأ على مسار الدّراسة اللّسانية، والذي تمّ بموجبه الانحراف عن مسلكية التّحليل اللّساني الاستقرائي، صوب مسارات التّحليل التي تمخّضت عن تبنّي مقولات التّفسير والاستنباط، التي اعتمد عليها "**تشومسكي**" لصياغة المرتكز النّظري والإجرائي للتّصوّر التّوليدي التّحويلي، الذي اعتمد في نموذجه الأوّل على القوَام الذّهني التّوليدي بالتّركيز على القدرة الفطرية التي يؤدّيها الذّهن لتوليد عددٍ لا متناهٍ من الجمل دون الالتفات إلى المعنى أو الدّلالة.

بناءً على هذا الطرح، تعرّض نموذج البنى التّركيبية لجملة من الاعتراضات، وهو ما استدعى نشوء وظهور عدّة آراءٍ جاءت كرد فعل على النّظرية التّوليدية التّحويلية، ساهمت في استقطاب تيّارات معرفيةٍ اتّسمت بقدرةٍ فكريةٍ وتقنيةٍ عالية.

وفي ظلّ التّطوّر الرّهيب الذي عرفه العالم، استطاع الإنسان أن يطوّر أدواتِه لدراسة الدّماغ البشري، فظهرت حينئذٍ الأجهزة المخبرية على المستوى النّفسي والعصبي، والطّبّي والذّكاء الاصطناعي، وتمّ إجراء التّجارب المخبرية للكشف عن أسرار وأغوار الدّماغ البشري،

ومن هنا لم يكنِ البحث اللّساني بمنأًى عن هذا المسلك التّطوّري، إذِ استفاد من النّتائج التي توصّلت إليها العلوم الأخرى، وعليه ظهرت فكرة تداخل الاختصاصات في إطار ما يعرف بـ: "**الدّراسات البينية**"، فتداخلتِ العلوم المعالجة للدّماغ البشري وقدراته من علم النّفس، وعلم الذّكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، والبيولوجيا واللّسانيات ،والأنثروبولوجيا وجُمِعَت تحت تسميةٍ واحدة، هي "**العلوم المعرفية**" (***Les sciences cognitives***)، ومن هنا ظهرت تسمية اللّسانيات العرفانية بوصفها بحثًا حديثًا ظهر نتيجة تداخل وتلاقح عدّة علوم.

تأسيسًا لما سبق، فإنّ اللّسانيات العرفانية تيّارٌ ألسنيٌ حديث النّشأة، ظهر في الغرب مع أواخر الخمسينيات، وقد كان موطن ظهوره في أمريكا على يد مجموعةٍ من الباحثين، منهم "**جورج لايكوف**(***George Lakoff***)" و"**راي جاكندوف**" (***Ray Jackendoff***)، و"**لانقاكر**(***Ronald Langacker***)" و"**فيلمور**" (***Charles J.Fillmore***) وغيرهم، منطلقين ممّا جاء به "**تشومسكي**" مع الزيادة في بعض أفكاره، فهم يرون أنّ اللّغة بِنية معلوماتٍ موجودة في الذّهن البشري ولا يمكن فهمها إلاّ من خلال علاقتها ببعض الظّواهر العقلية الأخرى، كالإدراك والذّكاء والتّذكّر والتّخيّل، بعدها نضجت أفكارهم وتوسّعوا في الدّراسة اللّغوية، وبدأت آراؤهم تنتشر في أصقاع العالم، إلى أن وصلتِ البلاد العربية عبر أدوات الفعل التّرجمي وتلقّى العرب هذا التّوجّه الجديد في مرحلةٍ متأخّرة وتناولوه بالدّراسة والتّمحيص.

وعليه، فإنّ تلقّي العرب للّسانيات العرفانية لم يكن إلاّ في الآونة الأخيرة، وكانت معظم هذه الأعمال مساهمات ترجمية، وأخرى مقاربات معرفية لبعض الباحثين المغاربة.

بناءً على هذا الاستقطاب المعرفي العرفاني الذي شهدته اللّسانيات العربية الحديثة انبثقت مجموعةٌ من التّساؤلات، نوردها على النّحو الآتي:

- ما هي المنطلقات المركزية التي ينهض عليها التّصوّر اللّغوي العرفاني؟
- ما مجالات الاشتغال الألسني في ظلّ هذا التّيّار اللّساني الجديد؟
- كيف استقبلتِ اللّسانيات العربية الحديثة التّصوّر العرفاني للّغة؟
- إلى أيّ مدًى تفاعلتِ اللّسانيات العربية مع إجرائية التّحليل العرفاني ذات الطّابع الإجرائي والتّقني العالي؟
- ما طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني الغربي من قِبل الباحثين العرب؟
- هل تمكّنتِ اللّسانيات العربية من تخطّي حدث التّلقّي الألسني للأنموذج العرفاني عبر أدوات الفعل التّرجمي؟
- ما هي النّماذج الألسنية العربية التي تعكس التّوجّه الألسني العرفاني؟

بمقتضى هذه التّساؤلات، وتجاوبًا مع الحسّ الإشكالي فيه، تمّ وسم البحث بـــ:

"**الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللّسانيات العربية**"

ـ دراسة في خصوصيات التّلقّي ـ

بناءً على هذا، اقتضت منّا متطلّبات تقديم موضوع البحث العلمي من الدّراسة رصد واستجلاء أهمّ الأهداف التي تروم وتسعى هذه الدّراسة تحقيقها، انطلاقًا من المقولات التّأصيلية للتّوجّه العرفاني عند الغرب وصولاً إلى الدّراسات اللّسانية العربية المعاصرة المتعلّقة به، ويمكن أن نجملها فيما يأتي:

1ـ معرفة الإرهاصات الأولى للّسانيات العرفانية، وأهمّ الأسس والمنطلقات التي ارتكزت عليها.

2ـ البحث في مجالات الاشتغال الألسني في ظلّ التّوجّه العرفاني.

3ـ الوقوف على طبيعة التّلقّي العربي لهذا الأنموذج اللّساني.

4ـ دراسة في خصوصياتِ التّلقّي العربي للتّوجّه اللّساني العرفاني.

5ـ قراءة في جهود وأعمال بعض الباحثين العرب.

تماشيًا مع هذا الطّموح، اقتضت طبيعة البحث أن يتوزّع على مقدّمةٍ ومدخلٍ وثلاثة فصولٍ وخاتمةٍ مذيّلةٍ بقائمةٍ للمصادر والمراجع.

فكان أن وسمنا المدخل بـ "**المنظور العربي للجهاز المفاهيمي العرفاني**"، حيث عمدنا إلى تقديم قراءةٍ في مصطلح العرفان في الثّقافة العربية بدايةً من المعاجم العربية، ثمّ مفهوم العرفان في الاصطلاح وفي التّصوّف الإسلامي، وصولاً إلى الدّراسات الألسنية الحديثة، وأهمّ أبعاده الدّلالية في الثّقافة اللّسانية العربية.

أمّا الفصل الأوّل، فعنوناه بـ: "**العرفانيات: خلفيات التّأسيس واستراتيجية المقاربة**"، أشرنا فيه إلى تلك المنعرجات اللّسانية التي مهّدت لانبثاق الأنموذج العرفاني (البنوية، التّوليدية التّحويلية)، ومعرفة التّحوّلات المنهجية والمعرفية التي شهدتها الدّراسات اللّسانية، لينتهي بنا المطاف إلى الوقوف على الرّوافد المنهجية والإجرائية للّسانيات العرفانية.

ومن ثمّ، عرضنا لأهمّ المقولات التّأصيلية للّسانيات العرفانية والإرهاصات التي مهّدت لانبثاق هذا التّيّار الجديد، والظّروف التي أدّت إلى ظهوره (العلوم المعرفية اللّسانيات التّوليدية التّحويلية)، لننتقل بعدها إلى الحديث عن أهمّ المنطلقات التّصوّرية للنّظرية الألسنية العرفانية.

أمّا الفصل الثّاني، فقد حاولنا فيه الوقوف على "**مجالات الاشتغال الألسني في ظلّ التّوجّه العرفاني**"، حيث حرصنا على الحديث عن اللّسانيات العرفانية وعلاقتها بالحقول المعرفية المجاورة (علم النّفس، علوم الأعصاب، الذّكاء الاصطناعي، الأنثروبولوجيا اللّسانيات، الفلسفة)، ليتسنّى لنا- لاحقًا- رصد مجالات اشتغال اللّسانيات العصبية في ظلّ التّوجّه العرفاني من خلال معرفة العلاقة بين اللّغة والدّماغ، والوقوف على مراكز

معالجة اللّغة فيه، ومعرفة كيفية المعالجة العصبية لمستويات اللّغة (صوتا، نحوا، دلالة) في ضوءِ هذا التّوجّه.

ومن ثمّ، تعرّضنا إلى آليات الاشتغال الألسني ومستويات اللّغة في ظلّ نظرية الذّكاء الاصطناعي، وذلك من خلال الوقوف على نقاط التّقاطع بين اللّغة والحاسوب والمعالجة الآلية لمستويات اللّغة في ضوءِ اللسانيات الرتابية، وفي رحاب علم الذّكاء الاصطناعي الرّقمي (الصّوت، النّحو، الدّلالة).

كما تعرّضنا في الفصل الثّالث إلى "**طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في الثّقافة الألسنية العربية**"، حيث حاولنا استبيان الموقف الألسني العربي من اللّسانيات الغربية منذ لحظة الانفتاح على المنجز اللّساني الغربي، فكان أن أشرنا إلى طبيعة التّلقّي العربي للّسانيات العرفانية مع تقديم بعض الأعمال والجهود التي تثبت هذا التّلقّي مع الوقوف عند بعض الأعمال المترجمة والميسّرة، لنتطرّق في آخر المطاف إلى مسارات البحث اللّساني العرفاني في التّلقّي العربي بنظرياته المختلفة (علم الدّلالة العرفاني، النّحو العرفاني، نظرية الاستعارة)، مع دراسةٍ انتقائيةٍ تحليليةٍ لبعض النّماذج والتّجارب العربية.

وفي الختام، أنهينا البحث بخاتمةٍ تضمّنتِ النّتائج والمقولاتِ المركزية التي انتهى إليها البحث، بعد تتبّع الإرهاصات الأولى للنّظرية الألسنية العرفانية والمقولات التي ينهض عليها هذا التّوجّه البحثي الإرشادي الجديد مع معرفة طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللّسانيات العربية.

وخضوعًا لطبيعة الموضوع التي تفرض على الدّراسة اتّباع منهجٍ محدّد، اتّبعتُ المنهج الوصفي التّحليلي الذي أتاح لي إمكانية الوقوف على مجموعةٍ من المفاهيم المستجدّة في البحث اللّساني المعاصر، مع دراسةٍ تحليليةٍ لبعض الإنتاجات والنّماذج العربية في مجال النّظرية العرفانية.

وككلّ دراسةٍ علمية، جاء هذا العمل البحثي مستندًا إلى مجموعةٍ من المصادر والمراجع التي كانت لي الرّفيق والمعين في تحديد ملامحه، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- نظرياتٌ لسانية عرفنيةٌ للأزهر الزّناد.
- مدخلٌ إلى النّحو العرفاني لعبد الجبّار بن غريبة.
- الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف ومارك جونسون.
- علم الدّلالة والعرفانية لراي جاكندوف.
- اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة دراسةٌ تحليلية نقديةٌ في قضايا التّلقّي وإشكالاته لحافظ إسماعيلي علوي.
- نظرية الاستعارة التّصوّرية والخطاب الأدبي لعمر بن دحمان.
- الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية لمحي الدّين محسب.

ولا يخفى على من له صلةٌ بالموضوع، أنّ مسالك البحث اللّساني العرفاني في الجامعة الجزائرية لا تخلو من الصّعوبات، وفي مقدّمتها قلّة المراجع في مجال اللّسانيات العرفانية، تليها صعوبة وغموض بعض المسائل فيها، وينضاف إلى ذلك تشعّب مادّة البحث، إذ ينبغي التّقصّي والوقوف على كلّ جزئية، وذلك من خلال الرّجوع إلى عدّة مراجع، ومنها أيضًا صعوبة التّعامل مع المراجع الأجنبية.

وفي الختام، فإنّ المبتغى من ولوج آفاق البحث العرفاني، لم يكن وليد تهوّرٍ ولا اندفاعٍ، بل كان نتاجَ تفكيرٍ علميٍ حاولنا من خلاله الوقوف على مجالٍ جديدٍ في الدّراسات اللّسانية.

وعليه، فإنّ هذا الجهد المبذول يعدّ محاولةً بحثيةً، فإن وُفِّقْنا إلى شيءٍ من ذلك، فمن الله، وإن أخفقنا فمن أنفسنا، فدراستنا هذه حسبها أنّها ألمحت بعض المحاور الأساسية في التّيّار الألسني العرفاني وطبيعة التّلقّي العربي له.

في عقب هذا التّقديم، أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى أستاذتي المشرفة "**أ. د بن شيحة نصيرة**" التي كانت لي نعم الموجّه والسّند والمعين، وحافزًا قويًّا لتجاوز كلّ العقبات التي اعترضت طريقي بتوجيهاتِها القيّمة ونصائحها المفيدة في مجال البحث العلمي، دون أن أغفل أستاذي القدير "**أ. د ابراهيمي بوداود**" رئيس لجنة المناقشة لما قدّمه لنا من دعمٍ وعونٍ فاضلين.

كما لا يفوتني أن أتوجّه بالشّكر الخالص إلى السّادة الخبراء المحترمين أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهود مضنيةٍ في قراءة هذا العمل البحثي، وعلى ما سيقدّمونه لي من نصائح وتوجيهاتٍ وإرشادات علميةٍ تكشف عن مدى خبرتهم وممارساتهم في مجال البحث العلمي والدّراسة الألسنية.

في الأخير، أحمد الله العظيم سبحانه وتعالى على هديه وتوفيقه في إتمام وإنجاز هذا العمل، خدمةً للدّراساتِ اللّغوية وللغتنا العربية.

الطّالب: صام عبد القادر

في غليزان: 2021/10/20.

المدخل:

المنظور العربي للجهاز المفاهيمي العرفاني

يُعد مصطلح العرفان من المصطلحات التي تعددت مفاهيمها وتعريفاتها، وهذا راجعٌ في الأغلب إلى تعدد الحقول المعرفية التي يرد فيها، لذلك سنحاول الوقوف على مختلف المفاهيم المتعلقة بمصطلح "العِرفان" وذلك قصد استنطاق أهم دلالاته الأصلية المنتقاة من بعض المعاجم التّأصيلية، ثم نحاول الوُلوج إلى المفهوم الاصطلاحي له، حيث اتّخذ عدّة مفاهيم ارتبطت بتنوع الحقول المعرفية التي تناولته من عرفان صُوفي وعرفان ألسُني...

1ـ العرفان في اللغة:

لعلّ المطلع على المعاجم العربية يجد أن كلمة "العرفان" مشتقة من الفعل "عرف"، وفي هذا الصدد يقول **ابن منظور** في لسان العرب: «العرفان: العلم؛ قال ابن سِيده: وينفصِلَان بتحديدٍ لا يليق بهذا المكان، عَرَفَه يَعْرِفُه عِرفة وعِرفّانًا ومعْرِفةً واعْتَرفَه...، ورجل عرُوفٌ، وعرُوفَة، عَارفٌ يعَرِفُ الأُمور، ولاينْكُر أحدًا رآه مرة...، والعَريف والعَارِف بمعنىً مثل عَلِيم وعالم...والجمع عُرَفاء. وأَمر عريفٌ وعارِف، مَعروف... والعِرْف بالكسر: من قولهم ما عَرَفَ عِرْفي إلا بِأَخَرةٍ أي ما عَرفَني إلا أَخيرًا.

ويقال: أَعرَفَ فلان فلانًا وعَرّفه إذا وقّفَه على ذنبه ثم عفا عنه. وعَرّفه الأمر: أَعلمه إياه. وعَرَّفه بيته: أعلمه بمكانه. وعَرَّفه به: وسَمه... وتعرَّفت ما عند فلان أي تَطلبَّتُ حتى عرَّفت...وقد تَعارفَ القومُ أي عرف بعضُهم بعضًا... واستَعرفَ إليه: انتسب له لِيَعْرِفَهُ... وفي الحديث: من أتى عرّافًا أو كاهنًا فقد كَفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، أراد بالعَرّاف المُنجّم أو الحازيَ الذي يدّعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه...»"[1].

1 ـ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، د/ت، مج9، مادة عرف، ص: 238.237.236.

وقد ورد في معجم مقاييس اللغة أن «عَرف العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدُل أحدُهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخر على السُكون والطُمأنينة. فالأول العُرف، عرف الفرس وسمى بذلك لتتابع الشَّعر عليه. ويُقال، جاءت القَطا عرفًا عُرفًا، أي بعضها خلف بعض...

والأصل الآخرُ المعرفة والعرفان، تقول: عَرف فلان فلانًا عرفانًا ومَعرفةً، وهذا أمر مَعروفٌ، وهذا ما يدلُ على ما قلناه من سكونه إليه، لأنّ من أنكر شيئًا توحش منه ونبا عنه.

ومن الباب العُرف، وهي الرّائحة الطيّبة. وهي القياس، لأنّ النّفس تَسْكن إليها. يُقال: ما أطيب عرفه. قال الله سبحانه وتعالى: "ويُدْخِلُهُم الجَنّة عرَّفَهَا لهُمْ"، أيْ طَيّبها...ويُقَال: اعْترفَ بالشيء، إذا أَقرّ، كأنّه عَرفَه فأقرّ به. ويُقَال: النّفسُ عَرُوفٌ، إذا حَملتْ على أمرٍ فباءَت به، أيْ اطّمأنّت»"[1].

وقد جاء في المعجم الوسيط أن «عَرفَ فلان على القوم ـ عرافة: دَبّر أَمرهُم وقَام بِسياستِهم، وعَرفَ الشّيءَ عِرفانًا، معرفةً: أَدركهُ بحاسةٍ من حَواسِه، فهو عَارفٌ، وعَريفٌ، وهُو، وهي عَروفٌ...، وعَرفَ فلانًا الأمر: أعلمه إيّاه...والعُرفُ المَعرُوفُ، وهو خِلافُ النّكر، وما تَعرّفَ عليه النّاسُ من عاداتهم ومُعامَلاتِهم، العَريفُ العُارِفُ العلم بِالشّيءِ، والمَعرُوف اسم لكلِ فِعلٍ يُعْرفُ حسَنهُ بِالعقلِ أو الشّرع، وهو خِلافُ المُنكر»"[2].

وممّا يُلاحظ على التّعريفات اللّغوية والمعجميّة السّابقة الذكر أنّها تتفق بأنّ العِرفان في اللّغة من الفعل عَرفَ، وهو يدل على كل شيءٍ معلومٍ ومعروفٍ عند النّاس،

1 ـ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/ط، ج4، 1979م، ص: 281ـ282.

2 . إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص: 595.

هذه المعرفة التي تشمل الإدراك بحاسة من الحواس، وهذا المعنى تقريبًا مُتداول في معظم المعاجم العربية القديمة والحديثة.

2-العرفان في الاصطلاح:

تعددت مفاهيم العرفان من حيث الاصطلاح في صورته العامّة، ولعلّنا في هذا الباب سنحاول الإشارة إلى بعضها، ونركز على ما تمّ تداولُه في أهمّ كتب الدّارسين العرب القدامى والمحدثين نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **معجم الكليات لأبي البقاء الكفوي:** «العرفان يستعمل في المحل الذي يحصل العلم بواسطة الكسب، ولهذا يُقال: (الله عالم)، ولا يُقال: (عارف)...، وقد يستعمل العرفان فيما تدرك آثاره ولا تدرك ذاته، ولهذا يُقال: (فلان عارف بالله) ولا يُقال :(عالم بالله)، لأن معرفته ليست بمعرفة ذاته، بل بمعرفة آثاره. فعلى هذا يكون العرفان أعظم درجةً من العلم»"[1]".
- **التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف بن المناوي:** «العرفان كالمعرفة إدراكٌ بتفكر وتدبُر، فهو أخصُ من العلم. ويُقال فلان يعرف الله، ولا يُقال يعلم الله، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر، ويضاد المعرفة الإنكار، والعلم الجهل»"[2]"، ومن هُنا، فإنّ العرفان في الاصطلاح يأخذُ معنى المعرفة شرط أنْ تكون تلك المعرفة حاصلةً «عن طريق المُشاهدة القلبية لا بواسطة العقل، ولا بفضل التّجربة الحسية»"[3]".

1 . أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص: 611-612.

2 . عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1990م، ص240.

3 . محمد تقي مصباح اليزدي، الإيديولوجية المقارنة، ترجمة عبد المنعم الخاقاني، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم، ط1، 1992م، ص: 21.

من خلال هذه التّعريفات الاصطلاحية يمكنُنا القول: إنّ العرفان بهذه المفاهيم السّابقة قد أخذ مفهومه من المفهوم اللّغوي وممّا أفرزته لنا المعاجم المتخصصة، إذ إنّه يشمل المعرفة ولكن بإدراك وتفكير عميق، وقد عرف هذا المفهوم وتوسع لدى أصحاب المذهب التّصوفي.

3ـ العرفان في التصوف الإسلامي:

إنّ العرفان من المفاهيم السائدة في التّاريخ الإسلامي، وقد تجلى في الأدبيات الصُوفية خاصةً إذ «ظهرت كلمة العرفان عند المتصوفة الإسلاميين لتدلّ عندهم على نوع أسمى من المعرفة، يُلقى في القلب على صورة كشف أو إلهام»"[1] داخلي يتعلق بالعقل والباطن، هذا المصطلح الذي ميز فيه المتصوفون «بين معرفة تكتسب بالحس أو بالعقل أو بهما معًا وبين معرفة تحصل بـ "الكشف" و"العيان"»"[2]، فالمعرفة الأولى هي ما يعرف بالعرفان، والثانية هي ما يعرف بالعلم. وعليه فالعرفان عند المتصوفة يختلف عن العلم، إذ الأول يتعلق بمعرفة باطنية أساسها الإرادة والعقل أي تبصر وتكشف، بينما العلم يتعلق بمعرفة ظاهرية"[3].

تبعًا لهذا التعريف، يظهر بأنّ العرفان بمفهومه الصُوفي قد أخذ ميزةً ومسحةً فلسفية تجعله من المفاهيم التي تعبر عن «حالة وجدانية ورؤية للكون وللأشياء، تنبع من تصورات مختلفة عند الصوفي الذي يرى إلى الأمور بشكل مختلف»"[4].

1 . محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط9، 2009م، ص: 251.

2 . المرجع نفسه، ص: 251.

3 . ينظر: المرجع نفسه، ص: 258.

4 . محمد خطاب، اللغة في العرفان الصوفي، مجلة حوليات التراث، مستغانم، الجزائر، العدد 6، 2006م، ص56.

ولعل العرفان بمفهومه الدّيني يسعى إلى «التّوفيق بين جميع الديانات والكشف عن مغزاها العميق بواسطة معرفة باطنية وكاملة لأمور الدين تلقن عن طريق التّدريب وإعطاء القُدوة»"[1]، إذ إنّه معرفة بأمور الدين، هذه المعرفة تكون معرفةً باطنية تستدعي اعتماد النّظر الذّهني، وقد عُرفت هذه الكلمة في اللّغات الأجنبية باسم الغنوص، وأصلها يوناني ومعناها المعرفة"[2]، ومن هنا يُلاحظ أنُ مصطلح العرفان له معنى المعرفة ولا يمكن أنْ نفرق بينهما، وعلى هذا الأساس ظهر مصطلح الغنوصية أو العرفانية «وهي جملة التيارات الدينية التي يجمعها كونها تعتبر أنّ المعرفة الحقيقية بالله وبأمور الدّين هي تلك التي تقوم على تعميق الحياة الروحية واعتماد الحكمة في السلوك، مما يمنح القدرة على استعمال القوى التي هي من ميدان الإرادة»"[3]، وعليه فإنّ العرفان يقوم على أساس الإرادة والذّهن في معرفة الأمور لا على أساس الفكر والعقل.

بناءً على ما سبق، فإنّ العرفان قد حمل عدة مفاهيم لها علاقة بالدّين الإسلامي، إذّ إنّه يعني أيضًا «العلم بالله سبحانه، من حيث أسماؤه وصفاته ومظهره وأحوال المبدإ والمعاد والعلم بحقائق العالم وبكيفية رجوعها إلى حقيقة واحدة، هي الذات الأحادية، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتخليص النفس عن مضايق القيود الجزئية واتصالها إلى مبدئها واتصالها بنعت الإطلاق والكلية»"[4].

وقد اتّخذ العرفان الصُوفي منهجًا خاصًا به يقوم على المكاشفة والتّبصر، لأنّه في رأيهم المنهج والطريق الوحيد الموصل إلى الحقائق، عن طريق مشاهدة كل الحقائق

1 . محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص: 253.

2 . ينظر: المرجع نفسه، ص: 253.

3 . المرجع نفسه، ص: 253.

4 . مبادئ علم العرفان، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، 2014م، ص18.

الغيبية والواقعة في عالم الشهادة"[1]، وهذا ما جعل أصحاب المنهج التّكشفي العرفاني يؤمنون بكل أمرٍ غيبيّ مشاهد ومتبصر بالعين، وهم في نفس الوقت يعتبرون «المنهج العقلي مقبولاً، إلا أنّه ليس كافيًا في الوصول إلى المعرفة الصّحيحة»"[2].

من خلال هذه المفاهيم السّابقة، يتّضح لنا بأنّ العرفان في التّصوف الإسلامي له علاقة بشؤون الخالق والكون، وهو في الأغلب يجعل منهج المكاشفات مادةً رئيسيةً في استدلالاته واستنتاجاته، بعد ذلك يستخدم العقل في فهمها وتسويغها، وهو بذلك يدعي إخضاع كل ما شاهده ببصيرته ووجوده بالتفسير والتوضيح العقلي"[3].

ولعلّ هذه التّعريفات الاصطلاحية، والتي تجعل العرفان يختلف من مفهوم إلى آخر نتيجة اختلاف المذاهب وتعدد التّخصصات، وهي تعريفات كثيرةٌ ومتداخلةٌ يستدعي منّا اللجوء إلى التّعريف الاستعمالي الأقرب إلى الحقل المعرفي الذي نحن بصدد البحث فيه (العرفان اللّساني).

4ـ التعريف الاستعمالي:(العرفان في الدراسات اللسانية)

عرف مصطلح العرفان في عديد المجالات والمعارف، حتى دخل في إطار الدّراسات الألسنية، ولعلّ تعريفه اللّساني قد أخذ ذلك المفهوم الذي ذكر في التّعريفات السّابقة، إذ إنّ العديد من العلوم تُنسب إلى العرفان، وتُسمى حينئذ بالعلوم العرفانية، منها اللّسانيات وعلم الأعصاب وعلم النّفس والذكاء الاصطناعي"[4]، إذ إنه « جزء من إدراكنا

---

1 ـ مبادئ علم العرفان، المرجع السابق، ص: 21.

2 ـ المرجع نفسه، ص: 21.

3 ـ ينظر: الشهيد مرتضى المطهري، العرفان، ترجمة علي الهاشمي، دار الولاء، بيروت، لبنان، ط2، 1436هـ، ص: 19.

4 ـ ينظر: توفيق قريرة، الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية، مكتبة لسان العرب، ط1، 2011م، ص: 14.

العقلي الذي لا يكاد يميز بين المعلومات اللّغوية والمعلومات غير اللّغوية، والذي يتأثر وبدرجة كبيرةٍ بما يحيط بالإنسان، وبتجاربه الحياتية المتعددة"[1]، ما يجعل هذا المعنى يعرف اللّبس ويصبح لصيقًا بدرجةٍ كبيرةٍ بالدّراسات النّفسية وحتى الفلسفية.

تبعًا لهذا، فقد أقر الباحث صابر الحباشة بأنّ مصطلح العرفاني يحمل معنيين مختلفين، إذ يُستعمل في العلم العرفاني للدّلالة على أنواع العمليات العقلية أو البُنى الذّهنية التي يمكن أن تدرس بألفاظٍ دقيقةٍ، وهذه العمليات لاشعورية ولا يعيها الإنسان، بل هي داخليةٌ لها علاقة بالمسارات العصبية المعقّدة، ويستخدم أيضًا بطرق مختلفة في بعض التّقاليد الفلسفية، إذ يقصره بعض الفلاسفة على البنية المفهومية والقَضوية، إلا أنّه أيضًا يشمل تلك القواعد التي تتحكم في بناء عمليات البناء المفهومي"[2].

بناءً على هذا الطرّح، فإنّ العرفان في الدّرس اللّساني له مفهوم متعلق بكل ما يدور في الذّهن البشري والعقل الإنساني من أفكار ومعلومات، وتكون فيه «اللّغة مرتبطة بالذهن في مستوى معالجته لمختلف الأنشطة البشرية... ومندمجة مع القدرات الذهنية الأخرى للبشر»"[3]من إدراكٍ وتصورٍ وتخيّل وتفكيرٍ وتذكرٍ...هذه القدرات والعمليات المساعدة على تشكل المعنى الذي «يتناول على أساس كونه عملية عرفانية»"[4]" مُسَاويةٍ للتّصور الذّهني، ولا يمكن الفصل بينهما، ومن هنا أصبح العرفان مبحثًا شاملاً انطلق مع علوم الحاسوب، وهو يضم الفلسفة وعلوم الأعصاب وعلم النَّفس والمنطق واللِّسانيات، وكل ما له علاقة بالذكاء الإنساني أو الاصطناعي، وقد عُرف أيضًا بأنّه الوظيفة التي

1 ـ ينظر: لطيفة إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود، م17، 2004م، ص: 5.

2 ـ ينظر: صابر الحباشة، اللغة والمعرفة، رؤية جديدة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م، ص: 59.

3 . توفيق قريرة، المرجع السابق، ص: 15.

4 . المرجع نفسه، ص: 15.

تحقق لنا المعرفة ومجموعة الأنشطة التي تتضافر لإنتاج المعرفة، هذا ما جعل اللّغة تمثل ميدانًا أساسيًا للبحث في العرفان بوصفها تمثل أهم المظاهر التي تكشف لنا طبيعة الذكاء الإنساني، ومن هنا تشكل لنا ميدان اللسانيات العرفانية"[1].

5ـ مصطلح *COGNITION* وترجمته في الثقافة اللسانية العربية الحديثة:

يُعد مصطلح ***COGNITION*** من المصطلحات التي عرفت مجموعة من المقابلات العربية، هذه التّرجمات التي قدّمها لنا عدد من الباحثين و الأكاديميين العرب، إلا أنّنا في الأغلب نجد فيها فوضى مصطلحية وتشويش منهجي، خاصة في التّعامل مع المصطلح الوافد من الثقافة الأجنبية، حيث إنّه « يصدر لدى بعض الدارسين بدون رد الاعتبار للخصوصيات التي يستدعيها المصطلح في كل لغة، والذي يقتضي التكييف بين الدال اللفظي، والمفهوم من جهة، وبينه وبين معطيات اللغة المخصوصة من جهة أخرى»"[2]، هذا كله أدى إلى «الاستعصاء والتخالف أقرب منه إلى التسوية والتماثل»"[3]، وعليه تعددت ترجمات المصطلح الأجنبي الوافد إلى الثقافة العربية، وهذا ما شكل أزمة مصطلحية تمثلت «في أن المصطلحات العربية في شتى العلوم متنوعة متخالفة، فيها من التناقض ما يؤول إلى الفوضى»"[4].

وتأسيسًا لما سبق ذكره، فإنّ هذه الفوضى المصطلحية أدّت إلى تداخل المصطلحات وتنوعها، وهذا تقريبًا ما حدث مع اللّسانيات العرفانية ***Cognitive***

1 . ينظر: الحبيب المقدميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، تحرير صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، مباحث لغوية 63، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، الرياض، ط1، 2019، ص: 95.

2 . عبد الحليم بن عيسى، اللغة العربية الواقع والتحديات، مجلة حوليات التراث، مستغانم، الجزائر، العدد 05، يناير 2006، ص: 22.

3 . عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، د/ط، د/ت، ص: 55.

4 . محمد رشاد الحمزاوي، العربية والحداثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص: 99.

Linguistics، فمصطلح ***cognition*** عرف مجموعة من المقابلات العربية سنحاول الوقوف عليها ورصد أهمها وتفحصها مع انتقاء آراء بعض الباحثين العرب وذكر مسوغات اختيارهم لمصطلح بدلا من الآخر.

5ـ1 مصطلح الإدراك:

تم ورود هذا المصطلح في العديد من الكتب والمراجع العربية نذكرها على سبيل المثال لا الحصر، ولعلّ أهمها:

- كتاب المعرفة اللّغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها لنعوم تشومسكي، ترجمة محمد فتيح"[1].
- كتاب التّفكير واللّغة لجوديث جرين، ترجمة عبد الرحيم جبر"[2].
- كتاب مدخل إلى اللّسانيات لمحمد يونس علي."[3]
- مقال موسوم بـ: "طبيعة اللّسانيات الإدراكية لفيان إيفانز وميلاني جرين"، ترجمة عبده العزيزي."[4]
- مقال موسوم بـ:"هل توجد لسانيات إدراكية؟ لكاترين فوك"، ترجمة لطفي السيد منصور."[5]

[1] . ينظر: نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي، ط1، 1992م، ص: 471.

[2] . ينظر: جوديث جرين، التفكير واللغة، ترجمة عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص: 222.

[3] . ينظر: محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص: 45.

[4] . ينظر: ففيان إيفانز وميلاني جرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة عبده العزيزي، مجلة فصول (الإدراكيات)، المجلد (4/25)، العدد 100، صيف 2017م، ص: 38، 57.

[5] . ينظر :كاترين فوك، هل توجد لسانيات إدراكية؟، ترجمة لطفي السيد منصور، مجلة فصول (الإدراكيات)، ص: 62.

- كتاب الإدراكيات أبعاد ابستمولوجية وجهات تطبيقية لمحي الدين محسب."[1]

لعل هذا الأخير -"محي الدين محسب"- في مؤلفه المذكور سابقا، قد حاول أن يذكر جميع الترجمات التي أطلقت على مصطلح ***COGNITION*** *في* مبحث موسوم بـ"التّحول الابستمولوجي في مفهوم الإدراك الذهني وواقع تلقيه المصطلحي في المقابلات العربية"[2]"، وقد تحدّث فيه عن مجموعة من الإشكالات التي تخص وضع المصطلح، من بينها تلك العلاقة القائمة بين المفاهيم والمصطلحات، ولعلّ ممّا ذكره في ذلك أنّه حين تتعلق تلك المفاهيم بأمورٍ علميةٍ دقيقةٍ وافدة من مصادر وثقافات أجنبيّة، جعلها تدخل في تعقيدات وصعوبات عديدة منها ترجمة المصطلح، وآنذاك نجد أنّ نظرية وضع المصطلحات تتطور وتحاول إعادة النّظر إلى تلك المصطلحات أنّها بطبيعتها وحدات معلوماتية تتعلق ببنية المعرفة المتخصّصة، ويمكنها أنْ تقدم لنا معاني ومفاهيم داخل إطار تلك البنية"[3]"، وعليه فإنّ عملية وضح مصطلح لمفهوم ما ليس بالأمر السّهل، بل هو «أمر كثيف الاكتناز بالتعقد»"[4]"، لذلك ينبغي لنا أن نتعامل بحذر أثناء وضعنا للمصطلحات خاصة ما يتعلق بالمفاهيم العلمية الوافدة من مصادر وثقافات أجنبية.

وبالتّساند مع هذا، راح "محي الدين محسب" يتحدث عن مصطلح ***cognition***، باعتبار أنّه تعرض لنفس الإشكالات التي تعرض لها أي مصطلح وافد من الثقافة الأجنبية، وقد بدأ

[1] ـ ينظر: محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستمولوجية وجهات تطبيقية، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017م، ص: 9، 10، 11، ...

[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 43.

[3] ـ ينظر: محي الدين محسب، المرجع السابق، ص: 44.

[4] ـ المرجع نفسه، ص: 44.

حديثه من خلال طرح الباحث التونسي "الأزهر الزناد"، وأشار إلى ثلاث نقاط يمكن أن نوجزها فيما يأتي:"[1]

- إنّ القول بسماعية صيغة "عرفن"، في العربية لا يمكن التّسليم به، واعتمد في ذلك فيما ورد عن الباحث الجزائري "عمر بن دحمان" في حديثه عن مقال "عبد الحميد الأقطش" الموسوم بـ "التوليد اللّغوي على وزن فعلنة في الاستعمال العربي المعاصر" والذي أقر فيه بأمرين مُهمين هما: صعوبة وجود هذه الصّيغة الصّرفية في تراثنا العربي، ودلالة هذا الوزن في عربيتنا المعاصرة على معنى لم يكن طبعا في صاحبه ثم اتصف به.
- غموض قول الأزهر الزناد: "وفي ذلك كانت استعاضتهم بمصطلح ***cognition*** عن... ***perception***". فإذا كان يقصد بذلك أنّهم تخلوا عن مفهوم ***perception***، ولم يعودوا يستخدمون في دلالته إلا مصطلح ***cognition*** فذلك غير صحيح.
- أكّد أنّ "الأزهر الزناد" حاول أن يستخدم صيغة "العرفنة" ترجمة لاسم العلم، وترجمة لموضوع العلم معًا.

وفي هذا الإطار، وتبعًا لما سبق يؤكد "محي الدين محسب" أنّه ليس لنا إلا أن نفهم "العرفنة" بأنّها تعني العلم، كما أنه ليس هناك في الدراسات الغربية من استعمل مصطلح ***cognition*** بمعنى العلم، أو الدّراسة العلمية، حيث إنّ الـ: ***.cognition*** هو موضوع العلم، أمّا العلم الذي يدرس هذا الموضوع، فيطلق عليه بالتركيب النعتي مصطلح **cognition *science*\s** أي العلوم العرفنية"[2].

---

[1] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 52ـ53.

[2] ـ ينظر: محي الدين محسب، المرجع السابق، ص: 53.

ولعلّ هذا الحال جعل "**محي الدين محسب**" يختار ويضع مقابلاً عربيًا لمصطلح ***cognition***، وهو "**الإدراك الذّهني**" إذ يقول في ذلك: «إنّ مسألة الحمولة الإبستمولوجية لمفهوم ***cognition*** نفسه، ومن ثم للصيغة العربية الدالة عليه هي التي سوغت لنا ترجمته بـ "الإدراك الذهني"»"[1]، وسبب هذا الاختيار حسب رأيه يكمن في أنّ هذا الأمر لا يتعلق فقط بمجرد وضع اللّفظة أو المصطلح، بل هو أمرٌ مرده ذلك التّحول الإبستمولوجي الذي أحدثته الإدراكيات منذ انبثاقها في الدّراسات الحديثة والمعاصرة"[2].

بعد ذلك أَقرّ "محي الدين محسب" بذلك التداخل المشترك بين مفهومي***cognition*** و ***perception*** ، إذ هما في منظوره يشتركان في الدلالة، فـــ «في باكورة التّلقي العربي لهذين المفهومين نلاحظ أنّ صيغتيهما بالفرنسية ترجمتا مع أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين هكذا: الأول***cognition*** **بـ**"معرفة"، والثانية***perception*** بـ"إدراك"»"[3]، بالإضافة إلى ذلك فإنّ العديد من الكتب العربية خاصةً في مجال علم النّفس تضع مصطلح "الإدراك الحسي" مقابلًا للمصطلح الثاني، من خلال القاعدة القائلة بــ «أنّ النّعت يزيل الاشتراك في المنعوت»"[4]، وهذا ما جعل محي الدين محسب يقول في هذا الشّأن: « كان من المفترض أن يكون ثمة قسيم للإدراك الحسي يشترك معه في المنعوت "الإدراك"، ويختلف معه في النّعت، ولكن ذلك لم يحدث، ولقد كان منطقيًا ألا يحدث، لأنّ إبستمولوجيا المفهومين في كلاسيكيات المصادر المعرفية "الفلسفة وعلم

---

[1] ـ المرجع نفسه، ص: 56.

[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 56.

[3] ـ المرجع نفسه، ص: 57.

[4] ـ محي الدين محسب، المرجع السابق، ص: 58.

النّفس بخاصة" كانت ترسخ هذا الفصل بما ينتمي للعقل، والمعرفة المجردة من جهة، وما ينتمي للحسّ والمحسوسات من جهة أخرى»"[1].

وعلى هذا الأساس، وفي خضم هذا الزخم المصطلحي، يبدو أنّ محي الدين محسب أراد الوُصول إلى نقطة توضح لنا تواشج هذين المفهومين، إذ بسبب التّحول الإبستمولوجي تقابلاً دلاليًا، ولكن في الواقع المصطلحي، يظهر أنّ مفهوم "***cognition***" يدل على جانبين الإدراك الذّهني والحسّي، ومفهوم ***perception*** يدل على الإدراك الحسّي فقط، وعليه فإنّ التّحول الإبستمولوجي قد جعل مفهوم المصطلح الأول حكرًا على الجانب الذّهني فقط، في حين أنّ المفهوم الثّاني بقي يحمل نفس الدّلالة، وهذا ما جعلهما يتقابلان دلاليًا، لهذا اقترح الباحث المقابلات العربية الآتية"[2]:

الإدراكيات ***cognitive sciences***

اللسانيات الإدراكية ***Cognitive linguistics***

الإدراك الذهني ***cognition***

الإدراك الحسي ***Perception***

2-5مصطلح العرفان:

[1] ـ المرجع نفسه، ص: 58.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 60.

تم ورود هذا المصطلح في العديد من المراجع والكتب العربية نذكر منها:

- كتاب مدخل إلى النّحو العرفاني لعبد الجبار بن غربية."[1]
- كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني لمحمد الصالح البوعمراني"[2].
- كتاب علم الدلالة والعرفانية **لراي جاكندوف*Ray Jackendoff***، ترجمة عبد الرزاق بنور"[3].
- كتاب الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية لعطية سليمان أحمد"[4].
- كتاب علم اللّغة النّفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه لجلال شمس الدين"[5].
- مقال موسوم بـ: "استقلال اللّغة والعرفان" لكلود فاندولواز، ترجمة ثامر الغزي"[6].

---

[1] ـ ينظر: عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانقاكر)، مسكيلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ط1، 2010، ص: 8.

[2] ـ ينظر: محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني دار نهى، صفاقس، ط1، 2009م، ص: 7.

[3] ـ ينظر: راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010م، ص: 24.

[4] ـ ينظر: عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص: 53.

[5] ـ ينظر: جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، ج1، المناهج والنظريات، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص: 88.

[6] ـ ينظر: كلود فاندولواز، استقلال اللغة والعرفان، ترجمة ثامر الغزي، (إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، عمل جماعي، مختارات معربة بإشراف وتنسيق عز الدين مجدوب)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ج1، 2012م، ص: 347.

- مقال موسوم بـ: "نساء ونار وأشياء خطيرة ما تكشفه المقولات حول الذّهن" لجورج لايكوف، ترجمة عفاف موقو"[1]".
- مقال موسوم بـ: "الفضاءات الذّهنية" لجيل فوكونيي، ترجمة منصور الميغري"[2]".
- كتاب المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم لخليفة الميساوي"[3]".
- كتاب مدخل لفهم اللّسانيات لروبير مارتان، ترجمة عبد القادر المهيري"[4]".

ولعل ممن اختار وفصل في مصطلح العرفان الباحث "**عبد الجبار بن غربية**" في مؤلفه "مدخل إلى النحو العرفاني" وقد بين سبب اختياره لهذا المصطلح، فقال: «العرفان في الأصل اسم الحدث من: "عرف، يعرف"، يدل على العلم بالشيء والإقرار بالمعروف، وعدم نكران الجميل، استعمله أهل التّصوف لما يكون لهم من معرفة غير آتية عن طريق العقل، ولا مثبتة باستدلال وبرهان، فكان من آثار هذا الاصطلاح إثراء العربية بالتّفريق بين صنفين من المعلومات المختزنة في الذّهن»"[5]".

وعليه، فقد فضّل الباحث مصطلح "عرفان" ليعبر عن مفهوم ***cognition***، إذ إنّ «هذا التمييز الجوهري بين المعرفة المعقلنة الناتجة عن الحضارة، والتّفكير الواعي، والعرفان الطبيعي المترسخ في خصائص الدّماغ، والمجاوز للوعي والإدراك، والصالح موضوعًا للدراسة العلمية، هو التّمييز المقصود باختيار مصطلح "العرفان" في مقابل

---

[1] ـ ينظر: جورج لايكوف، نساء ونار وأشياء خطيرة ما تكشفه المقولات حول الذهن، ترجمة عفاف موقو، (إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين)، ص: 316.

[2] ـ ينظر: جيل فوكونياي، الفضاءات الذهنية، ترجمة منصور الميغري، (إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين)، ص: 387.

[3] ـ ينظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013م، ص: 252.

[4] . ينظر: روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص: 251.

[5]. عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، ص: 7.

"المعرفة"، لنقل المقابلات الأجنبية بين (***cognition\ connaissance knowledge***)، وبهذا التّمييز يستقر في العلم أنّ المعرفة قائمةٌ على عرفان، ولا يقوم العرفان على معرفة، ومعناه أنّ العرفان أشمل»"[1].

3-5 مصطلح العرفنة: نجد أنّ هذا المصطلح قد ورد في عدد قليل من المؤلفات نذكر منها:

- كتاب نظريات لسانية عرفنية للأزهر الزناد"[2].
- النّص والخطاب مباحث لسانية عرفانية للأزهر الزناد"[3].
- اللّغة والجسد للأزهر الزناد"[4].
- نظرية الأفضية الذهنية: مبادئها وتطبيقاتها لمحمد عبد الودود أبغش"[5].

فقد اقترح الباحث **الأزهر الزناد** في مؤلفاته السابقة الذكر مصطلح "عرفنة" مقابلًا للمصطلح الوافد ***cognition***، ولعلّ هذا الاختيار كانت له مسوغات وأسباب، حيث بين «أنّ استخدامه لمصطلح "عرفنة" ومشتقاتها جاء كتعويض عن مصطلحات متداولة مثل العلوم العرفانية، علم المعرفة، العلوم المعرفية، علوم الإدراك، العلوم الإدراكية...إلخ»"[6].

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 8.

[2] ـ ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ص: 241ـ242...

[3] ـ ينظر: الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفانية، مركز النشر الجامعي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2011م، ص: 119، 167، 205...

[4] ـ ينظر: الأزهر الزناد، اللغة والجسد، مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، 2017م، ص: 19.

[5] ـ ينظر: محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية: مبادئها وتطبيقاتها، نور للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، 2016م، ص: 9.

[6] . عمر بن دحمان، "المعرفة/ الإدراك/ العرفنة، بحث في المصطلح"، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 14، 2013م، ص: 8.

ولعلّ من الأسباب التي جعلته يقع في اختيار هذا المصطلح نذكر"[1]":

- إنّ كلمة "عرفان" مشتركة ومتداخلة من حيث المعنى في العربية القديمة، وفي الاستعمال الجاري، إذ إنّها تدل على معنى الشكر، ولها جريان واسع في مجال التّعبد والتّصوف، وفي مجال البحوث الفلسفية الماورائية، وكلمة معرفة مقابلة لمفهوم "***knowledge***، ***connaissance***"، وأنّ "إدراك" تقابل مفهوم ***perception***، وكل هذه المصطلحات لها مرجعيات نظرية كلاسيكية.
- من الضروري وضع مصطلح جامع يعم كل الأنشطة التي ترتبط بالذّهن البشري كالتّذكر والتّعقل...، وليكن هذا المصطلح هو العرفنة.
- إنّ المطلع على الجدول الاشتقاقي في الانجليزية الدائر في فلك (***cognition***) يُلاحظ أنّه مُنسجم: فالفعل هو (***to cognize***)، واسم الفاعل هو (***cognizer***)، والنسبة هي (***cognitive***)، أو (***metacognitive***) وما إلى ذلك ممّا يتعلق بالجذع (***cogn***).
- إنّ العرفنيات عندما وصلتنا فهمت بتصورات فلسفية أرسطية، ونفسية قديمة تراثية، هي عندنا كما هي عند الغرب دون شك، وفي ذلك كانت استعاضتهم بمصطلح (***cognition***) عن (***knowledge***، ***connaissance***، ***perception***).

[1] ـ المرجع نفسه، ص: 8ـ9.

4-5 ـ مصطلح المعرفة:

تم ورود هذا المقابل العربي لترجمة مصطلح ***cognition*** في كثير من النتّاجات والأعمال، من بينها نذكر:

- كتاب دلالة اللّغة وتصميمها لـ: ر.جاكندوف، ن.تشومسكي، ر.فندلر، ترجمة محمد غاليم، ومحمد الرحالي، وعبد المجيد جحفة"[1]".
- كتاب بنيات المشابهة في اللّغة العربية مقاربة معرفية لعبد الإله سليم"[2]".
- كتاب الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللّغوي لمصطفى بوعناني"[3]".
- كتاب مدخل إلى الدلالة الحديثة لعبد المجيد جحفة"[4]".
- كتاب آفاقٌ جديدة في دراسة اللّغة والذهن لـ:"نعوم تشومسكي"، ترجمة حمزة بن قبلان المزينى"[5]".
- كتاب نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي لعمر بن دحمان"[6]".

[1] ـ ينظر: ر.جاكندوف، ن.تشومسكي، ر.فندلر، دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة محمد غاليم، ومحمد الرحالي، وعبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م، ص: 93.

[2] ـ ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م، ص: 7.

[3] ـ ينظر: مصطفى بوعناني، الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013م، ص: 150.

[4] ـ ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م، ص: 12.

[5] ـ ينظر: نعوم تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزينى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م، ص: 417.

[6] ـ ينظر: عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ص: 19ـ20.

- مقال المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح لعمر بن دحمان (مقال)"[1].
- كتاب اللّغة والفكر وفلسفة الذهن لمصطفى حداد"[2].
- كتاب اللّغة والمعرفة رؤية جديدة لصابر الحباشة"[3].
- كتاب الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف ومارك جونسون، ترجمة عبد المجيد جحفة"[4].
- مقال مقدمة في اللّسانيات المعرفية لذهبية حمو الحاج"[5].

ولعل الباحث الجزائري "**عمر بن دحمان**" قد تناول وتحدث عن مصطلح ***cognition*** في نتاجاته اللّسانية، حيث إنّه فصل في حديثه عن هذا المصطلح من خلال كتابه "نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي"، ووضع مصطلح "المعرفة" مقابلاً له، ثم بين لنا أسباب اختياره لهذا المصطلح، وأهم ما جاء فيه: « اخترنا هذا المصطلح كمقابل للفظ ***cognition***، نظرا لشيوعه في الأبحاث المهتمة بدراسة هذه الظاهرة البشرية بدلاً من مصطلح "إدراك" الذي قد يتخصص بحسيّته "إدراك حسي"، لذلك جعلناه مقابلاً للفظ ***perception*** وهو يقابل الإدراك الذّهني ***conception***... من جهة أخرى ارتأينا أن نجعل لفظة معارف (بالجمع تمييزًا لها عن معرفة بالإفراد) كمقابل للفظ الإنجليزي ***knowledge***... باعتبارها تمثل ثمرة المعرفة، أي ما يمكن أن يحصل عليه العرف من

---

[1] ـ ينظر: عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، ص: 21.

[2] ـ ينظر: مصطفى حداد، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص: 5.

[3] ـ ينظر: صابر الحباشة، اللغة والمعرفة رؤية جديدة، ص: 67.

[4] ـ ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م، ص: 5.

[5] ـ ينظر: ذهبية حمو الحاج، مقدمة في اللسانيات المعرفية، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، العدد 14، 2013م، ص: 28.

معلومات وخبرات متنوعة... ثم إعادة استخدام هذه المعارف المخزنة بشكل من الأشكال»"[1].

بناءً على هذا الاختيار لمصطلح "معرفة"، راح الباحث يبين بأنّ للمعرفة مفهومين، الأول فلسفي، والثّاني نفسي، وتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ ماهية المعرفة ومفهومها «ارتبط أحدهما بالبحث الفلسفي في نظرية المعرفة الذي يبحث في طبيعة وتأسيس المعرفة، "ماذا يمكننا أن نعرف؟ وماذا نفعل لنعرف؟ ... وارتبط الجانب الثّاني بوصفها عملية ذهنية، أو نشاطا ذهنيًا جامعًا اختير له لفظ ***cognition*** ارتبط أكثر بالبحوث النّفسية، وصولاً إلى البحوث المعاصرة التي لم تكتشف مجالاً جديدًا للبحث فيه، فيستدعي ذلك اقتراح مصطلح جديد له، وإنّما هو الحال نفسه، ولكن بوسائل أكثر تطورًا، وأهداف أكثر تخصيصًا وتنوعًا»"[2].

تبعًا لهذا العرض والإحصاءات المقدمة سلفًا حول مصطلح ***cognition***، وما أثاره من جدل ونقاش كبير بين الباحثين العرب، يمكننا القول إنّ هذا المصطلح يُعد «من المصطلحات الغامضة مثل مصطلحات أخرى في معظم المجالات»"[3]، فقد تعددت المقابلات العربية التي اقترحها الدّارسون له فنجد (الإدراك، العرفان، المعرفة، العرفنة)، وهذا الاختلاف في التّرجمة في الأغلب أدى إلى حدوث تشويش مصطلحي وفوضى لدى الباحث العربي في تعامله مع المصطلحات المترجمة، والاستفادة منها"[4] ولعلّ من

---

[1] – عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، الهامش (3)، ص: 20-21.

[2] ـ عمر بن دحمان، المعرفة / الإدراك / العرفنة بحث في المصطلح، ص:15-16.

[3] . جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، ج1، (المناهج والنظريات)، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د/ط، د/ت، ص: 88.

[4] . ينظر: عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، ص: 7.

أسباب هذا التّعدد والاختلاف في التّرجمة، تنوع ثقافة المترجم وسعة اطّلاعه، والتّباين والاختلاف في المعرفة.

ولعلّ هناك مجموعة من الأمور والنقاط الجوهرية التي نخرج بها من خلال هذا الزخم والتّنوع المصطلحي لدى الباحثين العرب، نوجزها كالآتي:

- يعكس لنا هذا التنوع المعرفي المصطلحي الوعي الكبير لدى المترجمين والدّارسين العرب بآليات ضبط المصطلح خاصة الوافد من الثقافات الأجنبية.
- إنّ وفرة هذه المصطلحات وتنوعها تكشف لنا نوعًا من التّشتت المصطلحي والفوضى المصطلحية، لكن في نفس الوقت نتلمس جانبًا إيجابيًا يتمثل في ذلك الثّراء اللّغوي الذي تتماز به لغتنا العربية.
- إنّ مصطلح "الإدراك الذّهني" الذي اقترحه الباحث " محي الدين محسب" غير شائع لدى الباحثين والألسنيين العرب، كما أنّ مصطلح الإدراك يقابله في اللّسان الأجنبي مصطلح ***perception***" الذي له مفهومًا خاصًا وحدودًا معرفيةً لها علاقة بالإدراك والحواس.
- إنّ مصطلح العرفان رغم شيوع استعماله لدى الباحثين العرب، إلا أنّه لم يلق استحسانًا لدى البعض منهم، نظرًا لأنّه متنوع الدّلالة وغير محدد من حيث المعنى والمفهوم (له معنى فلسفي ديني).
- لقي مصطلح العرفنة جدلاً كبيرًا وواسعًا لدى الباحثين العرب، هذا المصطلح الذي أصل له "الأزهر الزناد" وابتدعه، فقد رفض رفضًا مطلقًا لدى جُلّ الدّارسين لأنّه لا يتوافق مع الميزان الصّرفي العربي.
- إنّ مصطلح المعرفة الذي ارتضاه معظم الدّارسين العرب له علاقة بالبحث الألسُني، فهو يشمل كل ماله علاقة بالنّفس والمجتمع والحاسوب، إذ أصبحت

اللّغة بهذا الصدد إطار معرفيًا هاما، لهذا فهو مصطلح شاملٌ والأكثر حظًا من المصطلحات الأخرى، لهذا شاعت تسمية اللّسانيات المعرفية خاصة لدى الباحثين المشارقة، ولكن في الوقت نفسه شاعت اللّسانيات العرفانية خاصةً عند الباحثين والألسنيين المغاربة، وعلى هذا الأساس اِرتأينا اختيار هذا المصطلح، لأنّه في اعتقادنا يمثل مقابلاً عربيًا دقيقًا لمصطلح ***cognition***.

الفصل الأول:

العرفانيات:

خلفيات التّأسيس واستراتيجية المقاربة اللِّسانية

تصدير:

شهد الدّرس اللّساني الحديث والمعاصر عدّة محطّات وتحوّلات منهجية ومعرفية، كان لها بالغ الأثر في توجيه اتّجاهات الدَّرس اللّغوي صوب مسارات متباينة انبثقت ملامحها الأوّلية، مع المشروع الألسني الذي ساهم في انتقال الدّراسة اللّغوية وموضوعاتها من نطاق التّبعية لحقول معرفية أخرى « كانت تتجاذب البحث اللّساني في نهاية القرن التَّاسع عشر وبداية القرن العشرين»"[1] منها التّاريخ وعلم النّفس وعلم الاجتماع، إلى مجال الرّيادة العلمية، حيث أصبحتِ اللّغة « تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها»"[2] على يد "**فرديناند دو سوسير**"***FerdinanddeSaussure***(1857- 1913)، ويعدُّ كتابه "دروس في الألسنية العامّة" بمثابة العتبة التّأسيسية للدّرس اللّغوي المعاصر في الفترة الممتدّة ما بين: (1916م -1957م)، الذي يعكس ذلك التّحوّل المعرفي الهائل الذي «عرفه المسار التّطوّري لهذا النّوع الدّراسي»"[3]، إذ تغيّرت بموجبه ملامح المقاربة اللسانية من الطاّبع التّاريخي المقارن إلى الملمح الآني الوصفي فعمل «سوسير يؤسّس قطيعةً مع اللّسانيات المقارنة»"[4]، مقترحًا بذلك مقاربةً بديلةً عنها، تمثّلت في المقاربة الألسنية الوصفية النّسقية.

ومن هنا، فقد تركّزت اهتمامات اللّسانيات البنوية بوصف اللّغة والانغلاق التامّ على النّسق وإقصاء الأداء الكلامي، فقد دأبت الدّراسات اللّسانية منذ تشكّل مرتكزاتها

1. مصطفى غلفان، اللّسانيات البنيوية منهجيات واتّجاهات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2013م، ص: 152.

2 . فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1985م، ص: 27.

3 . ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سوسير، ترجمة: محمّد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت لبنان، ط1، 2009م، ص: 33.

4 . ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، النّظريات اللّسانية الكبرى من النّحو المقارن إلى الذّرائعية، ترجمة: محمّد الرّاضي المنظّمة العربية للتّرجمة، لبنان، ط1، 2012م، ص: 106.

في بداية القرن العشرين على وصف بنْيات اللّغات وضبط مكوّناتها الرّئيسية، بغية تأسيس رؤيةٍ علميةٍ متميّزة"[1] بعيدة عن التّأريخ والمقارنة.

وقد تدعّمت ثوابت الطرّح العلمي الممنهج للمقاربة الألسنية البنيوية بالاعتماد على جملة المبادئ والمقولات التي ينهض عليها الأنموذج اللّساني البنوي الذي يتعامل مع اللّغة بوصفها نظامًا ونسقًا مجرّدًا لا يمكن تحليل ظواهره اللّغوية بعزلها عن بعضها البعض، فهو إذ يقوم «على محورين منهجيين هما النّسقية والمحايثة»"[2] اضطرّ إلى التّفاعل مع الكيان المجرّد للّغة والمستقلّ عن كلّ سياقاتها الخارجية، محدثًا بهذا التّوجه المنهجي «أثرًا تدميريًا للفاعل»"[3] الذاتي الذي يربط اللّغة بالواقع الفعلي.

تمكن **سوسير** من خلال النّظرية اللّسانية البنوية أن يبني نظريةً نسقيةً ذات طابعٍ علميٍ مجرّدٍ يحدّد فيها «المادّة المدروسة، والخروج من التّعميم إلى التّخصيص والفصل بين أمرين قد يتراءى للمرءِ أنّهما أمرٌ واحد»"[4] انطلاقًا من مبدإ الثّنائيات، هذه الأخيرة جعلت دراسته أكثر موضوعيةً ودقّة، ولعلّ أهمّ هذه الثّنائيات تمييز «سوسير بين اللّغة والكلام، وبين الشّكل والجوهر، وبين التّزامني والتّعاقبي»"[5].

وعليه يمكن القول: إنّ لسانيات "**دوسوسير**" لسانياتٌ وصفية بنويةٌ نسقيةٌ محايثة، تركّز على ما هو داخلي في اللّغة وتقصي كلّ العوامل الخارجية، وكان «من نتائج هذه

1. يُنظر: مصطفى بوعناني، الصّواتة المعرفية والمسارات الذّهنية للإنجاز اللّغوي، ص: 7.
2. حافظ إسماعيلي علوي، امحمّد الملاّخ، قضايا ابستمولوجية في اللّسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2009م، ص: 79.
3. ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي، المرجع السابق، ص: 105.
4. غازي مختار طليمات، في علم اللّغة، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، ط2، 2000م، ص: 110.
5. سايمون كلارك، أسس البنيوية نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية، ترجمة: سعيد العليمي، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة ط1، 2015م، ص: 115.

الطّبيعة التّجريدية ضمان صياغةٍ شكليةٍ للنّظرية اللّسانية»"[1]" مستقلّة عن الواقع الإنجازي الفعلي، كما أنّ السّانكرونية التي نادى بها "**سوسير**" «ليست هي الواقع، وإنّما هي بناءٌ عقليٌ تجريدي»"[2]".

إنّ هذا التحوّل الذي شهدته الألسنية، لم يبق حكرًا على المقاربة البنيوية التي قدّمها "**دوسوسير**"، وإنّما امتدّ ليطال العديد من المدارس، التي تأسّست مرتكزاتها المنهجية والتّصوّرية على الإطار النّظري الذي وضع معالمه "**دوسوسير**"، وكان لأفكاره اللّسانية «تأثيرٌ واسع ومتنوّعٌ على حلقة براغ اللّسانية وحلقة كوبنهاجن»"[3]"، ومدارس أخرى وشكّل بذلك «أنموذجًا علميًا قابلاً للتّطوير والتّوسيع»"[4]".

فمدرسة براغ تُعدّ من المدارس التي هيمنت على اللّسانيات ردحًا من الزّمن، وقد ركّز أصحابها على الطّابع الوظيفي للّغة، سواء صوتيًا أم نحويًا أم دلاليًا حيث ذاع صيتهم وانتشرت أفكارهم، في شكل محاضراتٍ ومقارباتٍ حاولت الإحاطة بالبعد الوظيفي للّغة، لاسيما الجانب الفونولوجي منها"[5]".

وقد ارتبطت مفاهيم المدرسة بسوسير ومبادئه التي دعا إليها، فـ «موضوع بحثهم هو اللّغة بوصفها نسقا»"[6]" مغلقًا، يستوجب التّعامل مع اللّغة وفقًا لمحدّدات التّصور

1 . مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص: 29.

2 . المرجع نفسه، ص: 63.

3. المرجع نفسه، ص: 5

4. حافظ إسماعيلي علوي، امحمّد الملاّخ، قضايا ابستمولوجية في اللّسانيات، ص: 79.

5 . ينظر: جيفري سامبسون، المدارس اللّغوية، التّطوّر والصّراع، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1993، ص: 106.

6 . ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، المرجع السابق، ص: 192.

البنيوي، الذي طبع المنهج العامّ لمدرسة براغ، والذي عكف على «دراسة نظام اللّغة الكلّي بمستوياته المختلفة، النّحوية والصّرفية والدّلالية دراسةً وظيفيةً محضة»"[1]، أي إنّ اللّغة نظامٌ وظيفي ناتجٌ عمّا يصدره اللّسان من أصواتٍ وتراكيبَ بغية تحقيق التّواصل مع الآخرين.

وعليه، يتبيّن لنا أنّ التّوجّه اللّساني لمدرسة براغ تبنّى مقولات الاتّجاه البنوي، واستمدّ معظم أفكاره من آراء "**دو سوسير**"، حيث إنّه يمثّل منهجًا للوصف اللّغوي مع التّركيز على الوظيفة الأساسية للّغة، ألا وهي التّواصل.

وفي مقابل هذا، فقد توسّعت مجالات الدّراسة لدى مدرسة براغ، إذ إنّها لم تقتصر على الجانب الألسني، وإنّما امتدّت لتقدّم مقاربات أدبية وفقًا للتّصور البنيوي فكان أن انشغلت بالبحث عن ما يحقّق أدبية النّصّ وشعريته، فـ «اللّساني الذي يكون مجال دراسته كلّ أشكال اللّغة، يمكن ويجب أن يدرج الشّعر في أبحاثه»"[2] وتماشيًا مع هذا المسعى، انشغلت مدرسة براغ بإبراز شعرية النّصّ الأدبي، من خلال نسقيّته، وهو ما دفعها إلى الاكتفاء بما تفرزه الرّسالة من مقوّمات فنّية، الأمر الذي جعلهم يحرصون على تجلية ما هو داخلي شكلي في النّصّ، وإغفال العناصر المحيطة به، وهو ما تجلّى من خلال تصريح "**رومان ياكبسون**" (1896م- 1965م): « أنا لا أؤمن بالأشياء بحدّ ذاتها، بل أؤمن بالعلاقات القائمة بينها»"[3]. وبذلك أعلن "**رومان ياكبسون**" أنّ منطلق

1 . أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د/ط)، (د/ت)، ص: 136.

2 . رومان ياكبسون، قضايا الشّعرية، ترجمة محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 1988م، ص: 61.

3-*Roman Jakobson, Essais de linguistique générale, Paris, Minuit, 1973, Tome2, p133 .*

التّفكير الألسني لديه يتأسّس على فكرة «العلاقات التي تقع أساسًا بين الوحدات اللّغوية على اختلافها وأبعادها»[1]."

من الواضح إذن، أنّ مدرسة براغ ليست بنويةً فقط، بل وظيفيةً أيضا، إذ لا يمكن الحديث عن اللّغة فيها إلاّ من خلال ربطها بالوظائف التي تؤدّيها، كما أنّها قدّمت مقاربتها على النّصوص الأدبية، وهذا ما يميّزها عن الفكر البنوي السّوسيري.

كما عكفت حلقة "**كوبنهاجن**" على تفعيل المقولات البنيوية التي أشار إليها "**دوسوسير**"، حيث عمدت إلى « تأصيل هذه النّظرية، والتقطت جملةً من مبادئ "سوسير" وأعطتها مفهومًا جديدا»"[2]، وقد حاول أصحابها تقديم رؤيةٍ متجدّدةٍ للمقاربة الألسنية للّغة، بالتّأكيد على ضرورة الإعراض عن الأساليب التّقليدية واعتماد الدّراسة العلمية فيها"[3]، وهو ما تجسّد من خلال حرص "**لويس هلمسلف**"***Louishjelmslev*** على إدخال آليات التّحليل المنطقي في الدّرس الألسني ضمن مسعًى حاول من خلاله « إيجاد معالجةٍ علميةٍ للّغة يمكن أن تكون في أعلى درجات الدّقّة والوضوح والعلمية وشبه الجبرية، وقد وضعه هذا في علاقةٍ مباشرةٍ مع المناهج الرّياضية في التّحليل»[4].""

وفضلاً عن هذا، فإنّ حلقة **كوبنهاجن (الغلوسماتيكية)** قد حدّدها "**هلمسلف**"

1 . فاطمة الطّبال بركة، النّظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1993م، ص: 33.

2 . صلاح فضل، نظرية البنائية في النّقد الأدبي، دار الشّروق، عمّان، الأردن، ط1، 1998، ص: 95.

3 . يُنظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانية، المكتبة الأزهرية للتّراث، القاهرة، ط1، 2008م، ص: 78.

4 . ميلكا إفيتش، اتّجاهات البحث اللّساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثّقافة، ط2، 2000 ص: 325.

«باعتبارها نظريةً لغويةً تحديدًا شكليًّا صارمًا، ويقع في قلبها مبدأ التّجريب...، وينتج... باللاّتناقض والشّمولية أو الوصف المستوفى والبساطة»"[1]، وهذا ما جعلها نظريةً لسانيةً متميّزة أساسها الصّورنة والمنطق الرّياضي الرّمزي، ولعلّ ما يثبت هذا أيضًا استخدامها بعض الرّموز كأن «يُرمز إلى كلّ صائتٍ ***vowels*** بالرّمز v وإلى كلّ ساكنٍ ***consonant*** بالرّمز c، وإلى كلّ علاقةٍ ***realationship*** بالرّمز r، وإلى كلّ جملةٍ ***sentance*** بالرّمز s،...وهم يصفون مجمل بنية اللّغة مستخدمين هذه الرّموز»"[2].

وبذلك، تمكّنت النّظرية الغلوسماتيكية من إسقاط بعض المفاهيم الرّياضية والمنطقية على النّسق المعرفي للنّظرية اللّسانية، التي أشارت إلى «ألاّ نتناول اللّغة كركامٍ من الظواهر غير اللّسانية (مثلاً: فيزيائية، نفسية، لسانية، اجتماعية) بل ينبغي تناولها ككلٍّ مكتفٍ بذاته، كبنيةٍ متفرّدة»"[3]، وهو ما جعلها تكتسب بعدًا رياضيًا ورمزيا أكثر تجريدًا وصرامةً من المدارس اللّسانية التي سبقتها.

إنّه من الواضح إذن، أنّ مدرسة كوبنهاجن مدرسةٌ بنويةٌ نسقيّةٌ محايثةٌ قامت على أساس المنطلقات التي نادى بها "**دوسوسير**" في الأنموذج الألسني البنيوي، إلاّ أنّها حاولت التّجديد في بعض المصطلحات والمفاهيم، وطبعت دراستها بطابعٍ علميٍ منطقي رمزيٍ رياضي مجرّدٍ قائمٍ على التّجريب والاستنباط في نفس الوقت.

1 . بريجيته بارتشت، مناهج علم اللّغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص: 182-183.

2 . ميلكا إفيتش، المرجع السابق، ص: 332.

3 . ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، المرجع السابق، ص: 215.

وإذا كانت لسانيات "**دو وسوسير**" وما انبثق عنها من مدارس ونظريّاتٍ لسانيةٍ (براغ، الغلوسماتيكية) تعكس التّوجّه الألسني البنوي الأوروبي، فإنّ الأنموذج الذي اقترحه "**ليونارد بلومفيلد**"*Leonard Bloomfield* يعكس التّوجه الألسني البنوي الأمريكي، الذي امتدّ تأثيره، وبدأ يهيمن على السّاحة العالمية، فقد أرسى "**بلومفيلد**" أسس المنهج الاستقرائي التّجريبي للّسانيات الأمريكية"[1]، وذلك من خلال كتابه "**اللّغة**" المنشور سنة: 1933م، إذ أعلن فيه تبنّيه لمبادئ المدرسة السّلوكية في دراسة اللّغة دراسةً علمية، جاعلاً اللّسانيات شعبةً من شعب علم النّفس السّلوكي"[2].

ومن ثمّ، فقد تعامل "**بلومفيلد**" مع الظّاهرة اللّغوية بوصفها سلوكًا قابلاً للملاحظة وفقًا لثنائية (مثير/استجابة) عن طريق التّجربة، وبذلك «تتبدّى هيمنة المدرسة السّلوكية ذات السّمة المادّية والتّجريبية الصّارمة على أفكار بلومفيلد اللّغوية»"[3]، وعليه فمنهج بلومفيلد في دراسة اللّغة كان منهجًا وصفيًا تجريبيًا آليًا ميكانيكيا.

ولما كانت الدّراسات الألسنية الأمريكية اشتغلت على التّحليل السّطحي لمكوّنات اللّغة بدايةً من الصّوت والصّرف والتّركيب، أي التّعامل معها «تعاملاً موضوعيًا ومنهجيًا مع مادّةٍ علميةٍ أو بياناتٍ تقبل الملاحظة»"[4]، وهو ما أدّى إلى إغفال تامٍّ للدّلالة، فـ «كان

---

1 . ينظر، ميلكا إفيتش، المرجع السابق، ص: 277.

2 . يُنظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة للنّشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2009، ص: 28.

3 . مصطفى زكي حسن التّونى، المدخل السّلوكي لدراسة اللّغة في ضوء المدارس والاتّجاهات الحديثة في علم اللّغة، حوليات كلّية الآداب، الكويت، الحولية العاشرة، الرّسالة الرّابعة والسّتّون، 1988م، ص: 23.

4 ـ جين إتشسن، اللّسانيات مقدّمة إلى المقدّمات، ترجمة عبد الكريم محمّد جبل، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، ط1 2016، ص: 75.

اهتمام "**بلومفيلد**" بالكيفية التي تنتظم بها الكلمات في بنية اللّغة أكثر من اهتمامه بالمعنى»"[1]، كما أنّ "**زليخ هاريس**"***ZellingHarris*** تلميذ"**بلومفيلد**"، كان من الرّافضين لتحليل المعنى نظرًا لصعوبة التّحقّق العلمي فيه"[2]، ولأنّ الاهتمام به أثناء التّحليل اللّغوي «قد يسمح المجال لدخول المعايير الذّاتية»"[3]، فهو إذن ظاهرة لا تقبل الملاحظة، ويصعب التّجريب عليه، وهو أيضًا ليس سلوكًا يمكن وصفه مثل التّراكيب اللّغوية الشّكلية الأخرى، فالتّوزيعيّون يرفضون بشكلٍ كبيرٍ كلّ ما يتعلّق بالجانب الذّهني الذي يرجع السّلوك اللّغوي إلى عوامل الرّوح والعقل والإرادة"[4]. وعليه فإنّ تحليل اللّغة عند أصحاب المنهج البلومفيدي يقتصر على الجانب البنوي الشّكلي وإبعاد كلّ ما له علاقةٌ بالمعنى والدّلالة.

كلّ هذه الطّروحات السّابقة، أفرزت لنا منظومةً لسانيةً جديدةً حرصت على إرساء وتقديم أنموذجٍ لسانيٍ بنويٍ منغلقٍ على النّسق، يعتمد على المنهج الاستقرائي التّجريبي السّلوكي في وصف اللّغات البشرية، وبالتّالي تحليل مستويات اللّغة تحليلاً يقوم على الوصف من الجزء إلى الكلّ (أصوات، تراكيب، دلالة) مع إهمالٍ للمعنى وهذا ما دفع إلى انبثاق براديغم جديدٍ تكشفت ملامحه مع اللّسانيات التّوليدية التّحويلية.

فمع منتصف القرن الماضي، ظهرت إلى الوجود بعض الآراء التي تنهض على

1. المرجع نفسه، ص: 75.

2 – يُنظر: مصطفى غلفان، أمحمّد الملاّح، حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات التّوليدية من النّموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ص: 34.

3. خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص: 28.

4. يُنظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانية، ص: 93. أو: أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ص: 193 .194.

أوليّات المنهج العقلي والاستبطان الذّهني في معالجة الظّاهرة اللّغوية، وذلك بعد أن وجّهت العديد من الانتقادات للمنهج السّلوكي الذي دخل للحقل اللّغوي"[1]، وهو ما أدّى إلى إعادة النّظر في التّصوّرات اللّغوية التي أفرزتها النّظرية البنيوية السّلوكية، فقد أدرك "**زليخ هاريس**" «نقائص التّحليل التّوزيعي... ولجأ إلى فكرة التّحويل في عام: 1952م»"[2]، وقد كانت هذه الفكرة منطلقًا تأسيسيًا لنشوء أنموذجٍ لسانيٍ جديد.

ضمن هذا التّوجّه، وفي إطار القطيعة الإبستمولوجية مع المقاربة الألسنية البنيوية ذات البعد السّلوكي التّجريبي، التي ظهرت بظهور التّوليدية التّحويلية مع "نعوم تشومسكي"***NoamChomsky***، والتي لم تكتف بتغيير منطلقات البحث اللّساني، بل راحت تنادي بأسس فلسفية «يتأسّس عليها البحث اللّساني، فبعد أن كان يُنظر إلى اللّغة على أنّها نوعٌ من السّلوك ليس فيه ما نجده في ظاهره...، نظرت هذه المدرسة إلى اللّغة كنظامٍ معرفيٍ عقليٍ لا يكفي لمعرفته وصف ما يظهر منه، بل لا بدّ من أن تتعدّى دراسته إلى تفسير طبيعته واكتسابه واستخدامه ضمن ما تفرضه حدود العقل البشري عليه وعلى غيره من النّظم المعرفية»"[3]، وعلى هذا الأساس فإنّ اللّسانيات التّوليديّة تعارضت مع الأنموذج اللّساني البنوي القائم على الوصف والاستقراء لتنحو صوب التّفسير والتّحليل والاستنباط في البحث الألسني.

---

1 -يُنظر: محمّد محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م ص: 44، أو: محمّد باقر الصّدر، فلسفتنا، دار التّعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط12، 1982م، ص: 65. 78.

2 – السّعيد شنوقة، المرجع السابق، ص: 109.

3 . مرتضى جواد باقر، مقدّمة في نظرية القواعد التّوليدية، دار الشروق للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2002م ص: 9.

وقد «حصر تشومسكي في: 1957م مجال الدّراسة في التّركيبيّة، وهو يسعى إلى بناء نظريةٍ للأبنية اللّسانية دون الرّجوع إلى لغةٍ مخصوصةٍ يطلق عليها اسم النّحو وأهمّ أقسامها يتألّف من التّركيبية»"[1]، فالتّركيب هو الأساس في النّحو التّوليدي، وهو المنطلق، إلاّ أنّه لا يكتفي بالظّاهر السّطحي فقط، بل يتّجه نحو العمق (الذّهن)، وفي الوقت نفسه يتمّ إقصاء المعنى والدّلالة من الملاحظة والتّحليل، وعليه يمكن القول إنّ التّحليل التّوليدي ينطلق من بنية الكلام العميقة، وعدم الاكتفاء بالوقوف على البنية السّطحية، فـ«رُبطت البنية العميقة مباشرةً بالمعنى»"[2] و «لم يعد للنّحو التّوليدي سوى القليلِ ممّا يقوله عن المعنى»"[3].

إنّ إقصاء تشومسكي للمعنى في مرحلته الأولى (البنى التّركيبية) انجرّ عنه «نشوء نظريّتين تقاربان المعنى في اللّغة الطّبيعية نظرية الدّلالة التّأويلية، ونظرية الدّلالة التّوليدية»"[4]، أولتِ الاهتمام بالمكوّن الدّلالي وأعطته أهمّيةً واعتبارا، هذه النّظريات عُدّت انتقاداتٍ وجّهت لتشومسكي من تلامذته، ليظهر بعدها «كتاب مظاهر النّظرية النّحوية وأدخل عنصرين اثنين تفسيريين، هما: العنصر الصّوتي، والعنصر الدّلالي»"[5]، وجعلهما مكوّنين تأويليين، وذلك من خلال نموذجه المعيار سنة: 1965م، وأعطى بعدًا ذهنيًا

1 . كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، ترجمة المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 77.

2. ر. جاكندوف، ن. تشومسكي، ر. فندلر، دلالة اللّغة وتصميمها، ص: 12

3 . المرجع نفسه، ص: 12.

4 . عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، ص: 78.

5 . يُنظر: نعوم تشومسكي، اللّغة والمسؤولية، ترجمة حسام البهنساوي، زهراء الشّرق، القاهرة، ط2، 2005م، ص: 49.

معرفيًا له"[1]

وبناءً على ما سبق، إنّ التّوليدية التّحويلية نظريةٌ لسانيةٌ قامت على أنقاض السّلوكية التّجريبية الوضعية لتضع لنفسها «مفهومًا عقلانيًا للمعرفة»"[2]، حيث تعاملت مع اللّغة بوصفها فعلاً ذهنيا، وجعلتِ العقل أساسًا لبناء المعرفة اللّسانية، مع الاتّكاء على قدرة المتكلّم وكفاءته اللّغوية، إلاّ أنّها كانت «نظرية صورية استنباطية»"[3] افتراضية مجرّدة، تمّ فيها إهمال القدرات العقلية والإدراكية التي تسهم في إنتاج اللّغة، وهذا ما حاول استدراكه أنموذجٌ لسانيٌ جديدٌ شكّل نقطة افتراقٍ عن التّيّار التّوليدي التّحويلي، سعى إلى «تقييس و نمذجة النّظام اللّغوي البشري ،كما تتمّ في الدّما غ»"[4]، وذلك من خلال انفتاحه على مختلف الحقول المعرفية ذات الطّابع الإجرائي عُرف باللّسانيات العرفانيّة.

1-المقولات التّأسيسية للّسانيات العرفانية:

1/1-حركة العلوم في العصر الحديث وتأثيرها على البحث اللساني:

إنّ المتأمّل في حركة العلوم في العصر الحديث يلحظ أنّها بدأت تنفتح على بعضها البعض، وذلك في إطار ما يُعرف بالدّراسات البينية، إذ أصبح كلّ تخصّص يستفيد من تخصّصٍ آخر، وبدأت النّتائج التي يصل إليها كلّ تخصّص ومجالٍ يؤثّر في التّخصّصات والمجالات الأخرى، ومن هنا أدّى هذا التّقاطع والتّجاسر إلى حدوث قفزةٍ

1. يُنظر: ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، ص: 277ـ278.
2. حافظ إسماعيلي علوي، امحمّد الملاّخ، قضايا ابستمولوجية في اللّسانيات، ص: 91.
3. المرجع نفسه، ص92.
4. المرجع نفسه، ص: 92.

نوعيةٍ في تطوّر العلوم ونموّها وارتقائها، ومثل هذا التّواشج والتّداخل محفّزا كبيرا للنّهضة الفكرية على الصّعيد العالمي الإنساني ككلّ"[1].

وفي هذا الإطار، وبناءً على هذا الطّرح، فقد «اقتربت فروع العلم حتّى كادت تذوب في وحدةٍ تشملها جميعا، ومن ثمّ أصبحت وحدة العلم هي المثل الأعلى الإيجابي للرّوح العلمية المعاصرة»"[2]، ولعلّ من بين هذه العلوم اللّسانيات التي صارت «مركز الجاذبية في كلّ البحوث الإنسانية إطلاقًا»"[3]، وتمازجت مع العديد من العلوم فأنتجت لنا علوم ومباحث جديدةً في الدّراسات الألسنية من بينها: اللّسانيات النّفسيّة، واللّسانيات الاجتماعية.

إضافةً إلى ذلك، فقد اصطدمت الدّراسات اللّغوية بالتّفكير الفلسفي ذلك التّفكير الذي يبحث في الكلّيات، ومن هنا صرنا «أمام وضعٍ معرفيٍ جديد اللّسانيات فيه تواجه قضايا كانت تسند إسنادًا كلّيا إلى حقل الفلسفة»"[4]، وبذلك توجّه الفكر اللساني صوب البحث في كيفية اشتغال العقل البشري، وذلك من خلال مجموعةٍ من التّساؤلات التي أصبحت محلّ نقاشٍ بين الباحثين منها: كيف تشتغل اللّغة حين يشتغل العقل البشري؟

1ـ يُنظر: عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسية في اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1 2010م، ص: 12.

2ـ صلاح قنصوه، فلسفة العلم، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، د/ط، 1981، ص: 140.

3ـ عبد السّلام المسدّي، التّفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدّار العربية للكتاب، ط2، 1986م، ص: 9.

4ـ عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسية في اللّسانيات، ص: 16.

وللإجابة عن هذه الإشكالية استدعى تضافر العديد من العلوم منها: اللّسانيات وعلم النّفس وعلم الحاسوب والفلسفة وغيرها"[1].

وبهذا الخصوص، فإنّنا نجد أنّ السّمة التي ميّزت البحث الألسني بأن «أضحت اللّسانيات قطب الرّحى في التّفكير الإنساني الحديث، من حيث بلورة المناهج والممارسات، وأصبحت بذلك مفتاح كلّ حداثة»[2]، كما أنّها استطاعت أن تفكّ عن أسرها حصار التّخصّص الشّكلي، وأن تستعيد إلى حوزتها ما تواطأ الفكر اللّغوي، والنّظر التّأمّلي على سلبها إيّاه وإلحاقه بالفكر الفلسفي العامّ"[3].

تبعًا لهذا، انتقل السّؤال في البحث الألسني بفضل ذلك التّداخل والتّمازج بين التّخصّصات والعلوم من كيف يمكن لنا أن نصف ونحلّل ما يقوله المتكلّم من كلامٍ يمكن للملاحظ في العالم الخارجي أن يلاحظه بالعين المجردة إلى ماذا يدور في عقل المتكلّم الفصيح، بحيث يمكن أن يُدعى متكلِّمًا؟"[4]، ولعلّ هذا التّحوّل في مسار الدّراسات اللّغوية قد عبّر عنه أحد الباحثين بقوله: « علم اللّغة قد تكوّن ولكنّه لا يزال يتطوّر التّطوّر اللاّزم لنضجه، وإنّ الجهود القريبة القادمة سترسي قواعد الكثير من أسسه ووسائله ونتائجه، وهذا يحتّم على الباحثين في هذا الميدان الاتّصال أوّلًا فأوّلاً بما يجدّ فيه»"[5].

1ـ يُنظر: عبد السّلام المسدّي، التّفكير اللّساني في الحضارة العربية، ص: 14.
2. المرجع نفسه، ص: 11.
3. يُنظر: عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسية في اللّسانيات، ص: 16.
4. ينظر: محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، ص: 44.
5. محمود السّعران، علم اللّغة، مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د/ط، د/ت، ص: 15.

وفي خضمّ هذا، تحوّل البحث اللّساني من ميدان الملاحظة والاستقراء (البحث الميكانيكي الآلي الفيزيائي) إلى الميدان النّفسي والعقلي الذّهني، حيث إنّ: «اللّغة من حيث حقيقتها تتّصل بعناصر ومكونات أربعة أساسية، وهي: الميدان الفيزيقي الغيبي، والميدان العضوي الفيزيولوجي، والميدان النّفسي، والميدان الرّوحي واللّغة من حيث وظيفتها تحمل كل هذه المكونات"[1]"، أي أنّ المسار التّحوّلي للّسانيات في ظلّ هذا التّطوّر الحاصل أدّى بها إلى العودة إلى مجال التّفكير الفلسفي التّأملي، ولكن هذه العودة كانت محمّلةً ومثقلةً بتلك التّطوّرات الحاصلة في مجال العلم.

2/1-المقاربة العقلية في البحث اللساني:

شهد منتصف القرن الماضي ظهور حركتين متوازيتين تعتمدان المنهج العقلي الاستنباطي الذّهني في معالجة السّلوك البشري الإنساني، بعد أن تعرّض المنهج السّلوكي بزعامة "واطسون" إلى العديد من الانتقادات السّلبية، وكثر الجدل والنّقاش حول هذا المنهج"[2]"، ومن ثمّ فإنّ هذا التّحوّل كان له تأثير على الدّرس الألسني خاصّة التّيار التّوليدي التّحويلي بزعامة "تشومسكي"، ومن هنا مثّلتِ المدرسة التّوليدية التّحويلية ثورةً عنيفةً على المنهج السّلوكي، حيث حملت أفكارًا معاديةً ومناقضةً لأفكار "بلومفيلد" في البنيوية الوصفية الأمريكية"[3]"، وعليه قاد تشومسكي ثورةً حقيقيةً في الفكر اللساني،

1ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 73.
2ـ يُنظر: محمّد يونس علي، المرجع السابق، ص:44.
3ـ خليل أحمد عمايرة، في نحو اللّغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، مكتبة لسان العرب، ط1، 1984م، ص: 52.

وحاول نقض الدّعائم التي يقوم عليها علم اللّغة الحديث مقيما بذلك بناءً آخر يختلف في أصوله ومبادئه عن المنهج السلوكي الوصفي"[1].

وعلى شفير هذا الملمح من الطّرح، استطاعتِ المدرسة التّوليدية التّحويلية أن تغيّر المبادئ والأسس الفلسفيّة التي يتأسّس عليها الدرس اللّساني، إذ بعد أن كان يُنظر إلى اللّغة بأنّها سلوك تحكمه ثنائية المثير والاستجابة، نظرت هذه المدرسة إلى اللّغة بوصفها نظاما معرفيا عقليا لا يكفي لمعرفته وصف الظاهر منه وتحليله بل لا بدّ من أن تتعدّى الدراسة إلى تفسير طبيعة اكتسابه واستخدامه وتخزينه وفق ما تفرضه حدود العقل البشري"[2]، وهذا ما جعل التّيار التّوليدي التّحويلي يعيد النّظر إلى منهج وطريقة التّعامل مع اللّغة، واعتبرها «نشاطًا ذهنيًا وعقليًا بامتيازٍ مرتبطًا بالعقل والإرادة»"[3].

وعليه، فقد شكّل تشومسكي ونظريّته التّوليدية التّحويلية منعطفًا جديدًا في البحث الألسني، معتمدًا في ذلك على مقاربةٍ عقلانيةٍ ذهنويةٍ بعيدةٍ كلّ البعد عن السّلوك والتّجريب، مستندًا في ذلك على أفكار بعض الفلاسفة العقليّين منهم "رينيه ديكارت"، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «إنّ أهمّية ديكارت بالنّسبة لنا لا تقتصر على ما بذله من جهود لفهم المواهب الإنسانية، بل تنصبّ أيضًا على مبادرته بالكشف عن الجانب الخلاّق في

---

1. ينظر: عبده الرّاجحي، النّحو العربي والدّرس الحديث، بحث في المنهج، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان ط1، 1979م، ص: 109.
2. ينظر: مرتضى جواد باقر، مقدّمة في نظرية القواعد التّوليدية، ص: 9.
3. مصطفى غلفان، امحمّد الملاّخ، حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات التّوليدية من النّموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، ص: 10.

الاستخدام اللّغوي، وهو الجانب المميّز للغة البشر عن نسق التّواصل لدى الفصائل الحيوانية»"[1].

ولعلّ من الأفكار التي نادى بها تشومسكي متأثّرًا بفلسفة ديكارت فطرية اللّغة، هذه الفكرة التي كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في مسار الدّرس الألسني عامّة، وفي النّحو التّوليدي على وجه الخصوص، خاصّةً مع صدور كتاب "البُنى التّركيبية" سنة: 1957م"[2]"، والتي يرى فيها أنّ اللّغة فطريةٌ وليست مكتسبة، إذ يولد الطّفل مزوّدا بملكةٍ تجعله قادرًا على إنتاج عددٍ لا متناهٍ من الجمل.

كذلك كان لبعض مقولات وآراء الفيلسوف الألماني "هومبولت" تأثيرٌ على "تشومسكي" في بناء نظريّته الألسنية"[3]"، حيث إنّ هذا الفيلسوف ركّز على «المقدرة اللّغوية الإبداعية الكامنة في مخّ كلّ متكلّم أو عقله، واللّغة يجب أن تتماثل مع القدرة الفعّالة التي ينتج بها المتكلّمون الأقوال، وبها يفهمونها،...والمقدرة اللّغوية عبارةٌ عن جانبٍ جوهريٍ من جوانب العقل الإنساني»"[4]" وهذا ما يثبت لنا خاصّية الإبداع التي

1. عبد الوهّاب جعفر، أضواء على الفلسفة الدّيكارتية، دار الفتح للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، 1990م، ص: 10.9.
2. يُنظر: مصطفى غلفان، امحمّد الملاّخ، حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق ص: 7.
3. يُنظر: جرهارد هلبش، تطوّر علم اللّغة منذ: 1970م، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر ط1، 2007م، ص: 90.
4. ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللّغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، السّلسلة 227، نوفمبر 1997م ص: 253.

نادى بها "تشومسكي" في نظريته، ومنه فقد «وفّرت اللّسانيات الدّيكارتية الضّمانة الفلسفية للعولمة الجديدة، كما وفّرت النّزعة الهمبولدتية فرصة الانفتاح على خاصّية الإبداع»"[1].

وتأسيسًا على ما سلف، فإنّ النّظرية الألسنية التّوليدية التّحويلية قد قامت على أسس عقلانية، حيث «تمثّل استفادة تشومسكي لآراء ومواقف الفلاسفة العقلانيين الوجه الثّاني لمشروعه المزدوج الانتصار للموقف الفطري من جهة، ودحض المواقف السّلوكية والتّجريبية المعادية لكلّ الطّروحات العقلانية من جهةٍ أخرى»"[2]" وبذلك فقد اعتبر تشومسكي «المعرفة موجودةً بكيفيةٍ قبليةٍ في الذّهن البشري بالقوّة وأنّ الذي تفعله التّجربة ليس سوى إيقاظِ هذه المعرفة من كمونها»"[3]".

وفي أتُون هذا التّحوّل، فقد قامت النّظرية التّوليدية التّحويلية على مجموعةٍ من الأسس جعلتها متميّزة عن الفكر الألسني البنيوي والمنهج السّلوكي، إذ كانت مقاربةً عقلانيةً ذهنية، وتحوّلت من إطار السّلوك (مثير- استجابة) إلى أحوال العقل والذّهن والدّماغ، مع التّركيز على الكفاية التي تعني «امتلاك المتكلّم والسّامع القدرة على إنتاج عددٍ هائلٍ من الجمل من عددٍ مخصوصٍ جدّا من الفونيمات الصّوتية، والقدرة على الحكم بصحّة الجمل التي يسمعها من وجهة نظرٍ نحويةٍ تركيبية»"[4]"، وهذه القدرة موجودةٌ في الذّهن أساسها العمليّات الذّهنية العقلية الدّاخلية، في مقابل هذا يظهر مفهوم الأداء

1. محمّد محمّد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنّظرية اللّسانية "البنيوية والتّوليدية"، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، الأردن عمّان، ط1، 2012م، ص: 132.
2. المرجع نفسه، ص: 177.
3. المرجع نفسه، ص: 183.
4- خليل عمايرة، في نحو اللّغة وتركيبها، منهج وتطبيق، ص: 57.

«الذي يحيل إلى أفعال الكلام المنجزة فعليًا من قبل الفاعلين المتكلّمين»"[1]، وبهذا فإنّ المنظور التّوليدي التّحويلي يرى بأنّ اللّغة «مظهرٌ من مظاهر القدرة على الإبداع، وهي قدرة يختصّ بها البشر دون غيرهم»"[2]، إذ هي خاصّية بشريةٌ تخصّ الإنسان دون الحيوان.

هذه المبادئ السّابقة الذّكر تجعل النّظرية التّوليدية التّحويلية تؤمن بكلّ ما هو عقلانيٌ ذهني، أساسه «الاهتمام بالحدس والمعرفة الذّهنية المستنبطة»"[3]، مشكّلةً بذلك فكرًا جديدًا للدّرس الألسني و«رؤية عقليةً فلسفيةً جديدةً تدعم دراسة اللّغة»"[4]، هذه الرّؤية التي أراد بها تشومسكي بناء توجّه عقلانيٍ استنباطيٍ صوريٍ أساسه الفطرية والإبداعية، وتأسيس نظرية لا تهتمّ فقط باللّغة وإنّما بالنّحو، وقدرة المتكلم على توليد عددٍ لا محدودٍ من الجمل التي تنتمي إلى لغةٍ بشريةٍ معيّنة"[5].

1. ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللّسانيات، ترجمة عبد القادر فهيم الشّيباني، ط1، 2007م، سيدي بلعبّاس، الجزائر، ص: 29.
2. محمّد محمّد العمري، المرجع السابق، ص: 220.
3. المرجع نفسه، ص: 224.
4. هناء صبري، فلسفة اللّغة عند نعوم تشومسكي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2015م، ص: 73.
5. ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، امحمّد الملاّخ، قضايا ابستمولوجية في اللّسانيات، ص: 91.

3/1-البحث اللّساني من التّوليدية التحويلية إلى العرفانية:

اتّكأ التّيار التّوليدي التّحويلي على مقاربة عقلانيةٍ صُورية، فقد أولى "تشومسكي" اهتمامًا كبيرًا بالتّركيب الشّكلي للجملة، إذِ الدّراسة اللّغوية عنده أساسها «التّعريف بالأبنية النّحوية للّغة باعتبارها مجموعاتٍ محدّدة من الجمل ذات التّركيب السّليم، الأمر الذي يؤكّد أنّ الفرضيّة التي انطلق منها تعتبر أنّ النّحو ليس إلا دراسةً شكلانيةً لأشكال الجمل وتراكيبها مستقلّة كلّ الاستقلال عن المعنى»"[1] وكلّ ما يتعلّق به.

وفق هذا المعطى التّصوّري الذي انبنت عليه التّوليديّة التّحويليّة، والذي حطّ من قيمة المعنى وأولى اهتمامًا كبيرًا بالنّحو (المكوّن التّركيبي)، وقد تجسّد ذلك من خلال كتاب: تشومسكي "البنى التّركيبية": 1957م، هذا المؤلّف الذي حقّق به «ثورة حقيقيةً في حقل علم اللّغة»"[2]، ومثّل بذلك «انطلاقة ما سمّي في الأدبيات اللّسانية المعاصرة بالنّحو التّوليدي التّحويلي»"[3]، وقد حاول تشومسكي في هذا الكتاب التّأكيد على انفصال النّحو عن المعنى مقدّمًا أمثلةً لجمل صحيحةٍ نحويًا لكنّها غير ذات معنًى (فاسدة في المعنى والدّلالة، ولعلّ المثال الأكثر وضوحًا: "تنام الأفكار الخضراء بلا لونٍ غاضبة"، فهذه الجملة صحيحةٌ من النّاحية التّركيبية النّحوية، لكنّها فاسدةٌ من حيث المعنى، ومن

1. عبد الجبّار بن غربية، مدخل إلى النّحو العرفاني، ص: 26.
2. هناء صبري، المرجع السابق، ص:85.
3. مصطفى غلفان، امحمّد الملاّخ، حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص:95.

هنا فقد «اعتبر التّركيب منذ بداية النّحو التّوليدي الخاصّية المميّزة للّغة، والمكوّن الذي يسبغ عليها طابعها الإبداعي، ويحظى بأعلى درجات التّعقيد والتّجريد»"[1]

بناءً على هذا، وتأسيسًا على ما سبق، فإنّ النّظرية التّوليدية التّحويلية في مراحلها الأولى خاصّة قد حصر فيها تشومسكي«مجال الدّراسة في التّركيبية...فالظّواهر التّركيبية عنده تنتمي إلى مستوًى مخصوصٍ مستقل يتميّز عن علم الصّيغ وعلم وظائف الأصوات والدّلاليات»"[2]، مع إقصاء للمعنى والدّلالة.

وفي ضوء هذا المأخذ من الطّرح، بدأت تظهر بعض الدّراسات التي تحاول إيلاء المعنى اهتمامًا أكبر وإعطاءَه قدرا كافيا من الدّراسة والتحليل لعلّ من أهمها نجد:[3]

- دراسة كلّ من "كاتز ***Katz***" و"**فودور *Fodor***" سنة: 1963م حول بنية المكوّن الدّلالي في النّظرية التّوليدية التّحويلية، إذ تعدّ أوّل دراسةٍ تقترح إدخال المكوّن الدّلالي ضمن هيكل الجهاز التّوليدي.
- دراسة "**كاتز *Katz***" و"**بوسطال *Bastell***" سنة: 1964م الموسومة بـ "النّظرية العامّة للوصف اللّساني"، والتي حاولت أن تعمّق البحث في مجال العلاقة بين التّحويلات والمعنى.

1. محمّد غاليم، النّظرية اللّسانية والدّلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحاليل جديدة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب ط1، 2007م، ص: 15.
2. كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، ص: 77.
3. يُنظر: مصطفى غلفان، امحمّد الملاّخ، حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 109.

ولا شكّ أنّ هذه الدّراسات السّابقة الذّكر تلقي الضّوء على إلحاح هؤلاء الدّارسين الذين سعوا إلى إعطاء مفاهيم جديدةٍ في الدّراسة الألسنية، وحاولوا أن يعيدوا للمعنى قيمته التي أقصيت في النّحو التّوليدي، وفي مقابل ذلك سعى "تشومسكي" إلى تدارك النّقائص التي قدّمها هؤلاء الدّارسون في أنموذجه التّركيبي الأول(1957م)، وحاول تقديم أفكارٍ جديدةٍ من خلال أنموذجه الثّاني (المظاهر1965م)، هذا الكتاب الذي ظهر كردّة فعلٍ على مجموع الانتقادات التي وجّهت له، وأصبح « يمثّل في تاريخ النّحو التّوليدي التّحويلي قمّةً أو يشبه نقطة توازنٍ دنيا ومرجعا»"[1]"أساسيًا في التّعريف بالنّظرية الألسنية التّوليدية التّحويلية.

ولعلّ من المفاهيم الجديدة الواردة في هذا الأنموذج الجديد (المظاهر) نجد:"[2]"

- ثنائية قدرة ـ إنجاز.
- البنية العميقة والبنية السّطحية.
- الكلّيات اللّغوية.
- اعتبار الدّلالة مكوّنا تأويليًا.

حيث يحتوي هذا المنوال الجديد على ثلاثة مكوّنات، هي:

- مكوّن تركيبي: وهو مركزيٌّ أساسي.
- مكوّنان تأويليان (تفسيريان) هما (المكوّن الدّلالي والمكوّن الصّوتي)

1.كاترين فوك، بيارلي قوفيك، المرجع السابق، ص: 99.

2ـ يُنظر: مصطفى غلفان، امحمّد الملاّخ، حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 109.

ولعل الهدف من هذا المنوال هو محاولة إبراز تلك العلاقة بين المعنى والصّوت بواسطة التّركيب"[1].

وقد ذهب "**راي جاكندوف** ***Ray Jackendoff***" إلى القول: إنّه «من الأسباب التي جعلت الدّلالة تلعب مثل هذا الدّور الثّانوي نسبيًا في التّيار الرّئيس للنّحو التّوليدي التّناقض الظّاهر لدى "تشومسكي" نفسه؛ فهو من جهةٍ يستدلّ بقوّةٍ على مقاربةٍ داخليةٍ نسمّيها هنا "تصوّرية" للمعنى... لكنّه من جهةٍ أخرى وبغضّ النّظر عن تقديم أمثلةٍ قليلة معبرة، لم يسبق له أن حاول تطوير مقاربةٍ داخليةٍ نسقية، وزيادةً على هذا فإنّ "تشومسكي" حين يتعرّض للضّغط يعبّر عن أحاسيس قويّة التّنافر من مصطلح "الدّلالة" نفسه»"[2].

من خلال هذا النّصّ، يظهر لنا أن تشوسكي قد اعتبر المكون الدلالي مكوّنًا ثانويًا في النّحو التّوليدي، برغم دعوته إلى مقاربةٍ تصوّريةٍ ذهنيةٍ عقلانية، وهذا ما أفرز العديد من الانتقادات من قِبل بعض تلامذته منهم: "**جورج لايكوف** ***George Lakoff***" و"**جون روس** ***John Ross***"، و"**جيمس ماكاولي*****James Mcauley***"، "**بول بوسطال** ***Paul Postal***"، "**شارل فيلمور** ***Charles J.Fillmor***..., فأكّدوا على أهمّية ودور الدّلالة في التّحليل التّركيبي، وعليه ظهرت نظرية تشومسكي (النموذج المعيار)"[3]، واعتبرت

1. ينظر: كاترين فوك، بيارلي قوفيك، المرجع السابق، ص: 101.
2. ر.جاكندوف، ن.تشومسكي، ر. فندلر، دلالة اللغة وتصميمها، ص: 19.
3. يُنظر: مصطفى غلفان، امحمّد الملاّخ، حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 123ـ 124.

الدّلالة التّوليدية «الفصل الذي أقامه النّموذج المعيار بين التّركيب والدّلالة فصلاً اصطناعيا ولا قيمة له»"[1].

ضمن هذا المنحى التّصوّري بدأت تتأسّس في الوجود مقاربةٌ عرفانيةٌ للّغة تحاول الاهتمام بالمعنى وتجعل له أهمّيةً في التّحليل، وذلك في إطار نوعين من الدّلالة: الدّلالة التّأويلية التي ترى أنّ «وظيفة المكوّن الدّلالي إسناد التّأويل الدّلالي الملائم للمتواليات التي يولّدها التّركيب من خلال المعلومات المركبية أساسا، وهذا التّأويل الدّلالي المسند إلى البنيات التّركيبية يتمّ في مستوى البنية العميقة وليس في مستوى البنية السّطحية»[2]، والدّلالة التّوليدية التي مثّلها تلامذة تشومسكي، ودافعوا باستماتةٍ عن البنية العميقة التي ترمز للمعنى، هذا الأخير الذي لا ينفصل عن التّركيب فـ «موقف الدّلالة التّوليدية في جوهره هو أنّه لا يمكن الفصل بين التّركيب والدّلالة وأنّ دور التّحويلات...إنّما يتمثّل في الرّبط بين التّمثيل الدّلالي والبُنى السّطحية»"[3].

من كلّ ما سبق ذكره كإشاراتٍ سريعة، يمكن القول بأنّ التّيار العرفاني قد بدأ يتبلور على الأرضية الألسنية الحديثة، ولكن كفكرٍ فقط، وبدأت ملامحه التّأسيسية تتجسّد في أفكار بعض الباحثين، وانتقلتِ اللّسانيات من التّوليدية التّحويلية إلى العرفانية، من

1. المرجع نفسه، ص: 124.
2. عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، ص: 72.
3. عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب ط3، 1993م، ص: 71.

فكر تشومسكي التّجريدي الصّوري الذي يرى اللّغة عملية تجريدية، إلى فكر "جاكندوف" العقلاني التّصوري الذي يرى اللّغة حالةً داخليةً أساسها المعنى والبنية الدّلالية التّصورية.

4/1-العلوم المعرفية وانبثاق اللّسانيات العرفانية:

إنّ الاهتمام والتّعامل مع العقل والقدرات والعمليات المعرفية «ذو ماضٍ طويلٍ وذو تاريخٍ قصيرٍ نسبيا»"[1]، حيث إن «الاهتمام بالنّشاط المعرفي للإنسان كان مدار بحثٍ عبر عصور التّاريخ منذ أيام أفلاطون وأرسطو حتّى عصرنا الحاضر»"[2]، فبعد أن سيطر المنهج السّلوكي على الدّراسات البحثية في القرن العشرين، استطاع المنهج العقلاني استعادة فاعليته نتيجةً لظروف سياسيةٍ عسكريةٍ فرضتها الحرب العالمية الثّانية وما تمخّض عنها من برامج كانت تسعى لمحاكاة الذّكاء البشري في ميدان السّيبرنيتية المتطوّرة فيما بعد إلى الذّكاء الاصطناعي"[3].

ومن هنا يمكن القول، إنّ الاهتمام بالمعرفة ومفاهيمها يعدّ من الأمور القديمة في التّفكير الإنساني، حيث اهتمّ بها الباحثون «وبطبيعتها والعمليات العقلية والنّشاط الذّهني المستخدم في عمليات الانتباه والإدراك والتّذكّر والاستيعاب وغيرها من أنشطة التّفكير منذ أكثر من ألفي عام، وقد ترك لنا الفلاسفة اليونان والمسلمون إسهاماتٍ قيّمة في هذه

1. محي الدّين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستمولوجية وجهات تطبيقية، ص: 10.
2. عدنان يوسف العتوم، علم النّفس المعرفي، النّظرية والتّطبيق، دار المسيرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة، عمان، الأردن، ط3 2012م، ص: 13.
3. يُنظر، الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 17.16.

المجالات، ثمّ تواصل الاهتمام بها من قِبل الفلاسفة والمفكّرين خلال القرون المتعاقبة»"[1].

وفي الحقيقة، فإنّ موضوع المعرفة قد حظي باهتمامٍ جميع الدّارسين، خاصّةً في مجال الفلسفة وعلم النّفس، ففي الفلسفة مثلا « تجلّت المعرفة كونها الموضوع المركزي الأكثر تأمّلاً من قِبل فلاسفة الذّهن منذ أفلاطون إلى الفلاسفة المعاصرين»"[2"، ومنه أصبحت المعرفة تشمل جميع مجالاتِ الحياة من سياسةٍ وأنثربولوجيا ولسانيات...، ولمّا كان كلّ هذا الزّخم المعرفي والتّداخل العلمي التّخصّصي، فكّر المهتمّون في إيجاد علمٍ جامعٍ لهذه التّخصّصات البينية، همّه البحث في أحوال المعرفة والذّهن البشريين، عرِف فيما بعد بالعلم المعرفي.

وفقًا لهذا، فقد حدّد "**جورج لايكوف *George Lakoff***" العلوم المعرفية ***Cognitive sciences*** بأنّها: «ميدانٌ جديدٌ بدأ ظهوره مع ما عُرف عن الذّهن في تخصّصاتٍ أكاديميةٍ متنوعة ومتعددة: في علم النّفس واللّسانيات والأنثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم الحاسوب، وهو يحاول البحث عن إجابات مفصلة لبعض الأسئلة من مثل: ما هو التّعقّل؟ كيف نعطي معنًى لتجربتنا؟ ما هو النّسق التّصوّري، وكيف يتمّ تنظيمه؟ هل يستعمل النّاس كلّهم النّسق التّصوّري نفسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو النّسق؟ وإن

1. رافع النّصير الزّغول، عماد عبر الرّحيم الزّغول، علم النّفس المعرفي، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، د/ط د/ت، ص: 17.
2. عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي، ص: 24.23.

لم يكن كذلك، فما هو القاسم المشترك تحديدًا في طريقة تفكير الكائن البشري؟ (هذه الأسئلة ليست جديدة، ولكنّ نوع الإجابات الرّاهنة عنها هي كذلك»"[1].

انطلاقًا من هذه الأسئلة المطروحة يمكن القول: إنّ العلوم المعرفية علومٌ جامعةٌ لعدّة تخصّصاتٍ معرفية بينية، أساسها الذّهن البشري، هذه العلوم بعضها وصفي تجريبي (علم النّفس المعرفي، واللّسانيات، وعلم الأعصاب، والأنثروبولوجيا، والبعض الآخر تأمّلي تأسيسي نظري كالفلسفة، والبعض الآخر تأمّلي تطبيقي، كالذّكاء الاصطناعي"[2].

ومن ثمّ، فإنّ تآلف هذه الاختصاصات السّابقة الذّكر تحت اسم واحد (العلوم المعرفية)، جعل منها تجيب عن كلّ الأسئلة المطروحة الخاصّة بالعمليات العقلية الخاصّة بالإنسان وكيفية معالجته للمعلومات واستقبالها وتخزينها، واستخدام التّصوّرات وترميزها، هذه الإجابات التي بدَت مختلفة، إلاّ أنّها تبرز التّطوّر العلمي الذي عرفه الفكر البشري في جميع المجالات، وقد عرفتِ العلوم المعرفية أيضًا بأنّها« جملةٌ من العلوم تدرس اشتغال الذّهن والذّكاء دراسةً أساسها تظافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النّفس والذّكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب واللّسانيات والأنثروبولوجيا،

---

1 - *George Lakkof ; Women,Fire, and DangerousThings, what CategoriesReveal about the Mind.TheUniversity of Chicago and London,1987.P Xi (preface*)،نقلاً عن عمر بن دحمان، المرجع السابق، ص: 25

2. يُنظر: عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التّواصل والحجاج، أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، 2006م، ص: 25ـ 26.

وتدرس هذه العلوم الذّكاء عامّةً والذّكاء البشري في أرضيته البيولوجية التي تحمله، وتعنى كذلك بمنولته وتبحث في تجلّياته النّفسية واللّغوية والأنثروبولوجيا»"[1].

وفي المجمل الحاصل، يمكننا اعتبار العلوم المعرفية علومًا بينيةً تلتقي فيها عدّة تخصّصات، وتمتزج فيما بينها، بغية معالجة ما يدور في الذّهن، أي دراسة مختلف القدرات والعمليات العقلية، ومعرفة كيفية حدوثها وانتقالها وتخزينها، هذه القدرات التي تشمل كلّ ما له علاقةٌ بالمعرفة البشرية، من إدراكٍ وتخيّلٍ وتذكّر واستدلال...

ونشير هنا إلى البداية الفعلية والإرهاصات التّأسيسية للعلوم المعرفية، والتي انبثقت بعد انعقاد العديد من المؤتمرات والنّدوات في الولايات المتّحدة الأمريكية مع نهاية الأربعينيات ونهاية الخمسينيات، حيث يجد المطّلع على التّحوّلات التي عرفتها السّاحة العلمية في هذه الفترة الزّمنية وجود بدايتين يمكن اعتبارهما الانبثاق الأوّل والبدئي للعلوم المعرفية، أوّلهما تبدأ مع ندوة هيكسون في معهد كاليفورنيا للتّقنية التي عُقدت في خريف: 1948م، وكان موضوعها "آليات المخّ في السّلوك"، التقى فيها أعلامٌ من عدّة حقولٍ معرفية (الرّياضيات، التّشريح، العصبونيات، علم النّفس...، والثّانية تبدأ مع ندوة نظرية المعلومات التي عُقدت في معهد ماساتشوستس للتّقنية (***MIT***)، والتي نظّمتها جماعة خاصّة سنة: 1956م، شارك فيها كلٌّ من عالمي الحاسوب **ألان نوال** ***Allen***

1. الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 15.

Nawell و**هربرت سيمون *Herbert Simon***، واللّساني **نعوم تشومسكي *Noam Chomsky***، وعالم النّفس **جورج ميلر *George Miller***"[1]".

هذه الولادة الجديدة للعلوم المعرفية البينية، جعلت منها إطارًا بحثيًا مهمًّا استفادت منه العديد من الدّراسات، حيث أصبحت مهدًا لكلّ الأبحاث لأنّها علومٌ متّصلةٌ ومتشابكة، مجالاتها البحثية أثّرت في كلّ توجّه، فهي ليست « تخصّصًا يقوم على اتّجاهٍ خاصّ به، ولكنّه مسعًى متعدّد التّخصّصات»"[2]"، يدرس العقل البشري، وكلّ ما يتعلّق به من عملياتٍ وقدراتٍ ذهنيةٍ تتحكّم في السّلوكات الصّادرة من البشر ومعرفة خصائص العقل الإنساني وآليات اشتغاله، وهو بذلك «مجموعة الجهود المعاصرة ذات الأساس الأمبريقي المهتمّة بالإجابة عن الأسئلة الابستمولوجية القديمة وخاصّةً تلك المتعلّقة بطبيعة المعرفة ومكوناتها ومصدرها ونموّها واستخدامها»"[3]".

ولعلّ المراقب لإرهاصات هذا الاتّجاه المعرفي يلحظ أنّه قد مرّ على مراحل وموجاتٍ تنماز الواحدة عن الأخرى بمجموعةٍ من السّمات والمنطلقات التي تتلاءم مع توجّهات الباحثين، يمكننا أن نقف على هذه المراحل"[4]":

1. يُنظر: محي الدّين محسب، الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص: 24-25، وعمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي، ص: 27.
2. عمر بن دحمان، المرجع السابق، ص: 28.
3. محمّد طه، علم المعرفة، آفاقٌ جديدة في دراسة العقل، مجلّة عالم الفكر، العدد 1، المجلّد 35، 2006م، ص: 168.
4. يُنظر: محي الدّين محسب، المرجع السابق، ص: 23.

01- الموجة الأولى: مرحلة الخمسينيات التي اقتلعت السّلوكية، وكانت كلمتها المفتاح والأساس هي "المعلومات"، وجمعت بين العلوم الدّقيقة الرّمزية من رياضياتٍ ومنطقٍ وكيمياء...

02- الموجة الثّانية: مرحلة السّبعينيات وضعت في الصّدارة المادّة والطّاقة، وكانت كلمتها المفتاح هي: (الدّماغ)، وجمعت عدّة علوم، نحو علم النّفس، واللّسانيات والبيولوجيا، وعلم الأعصاب...

03- الموجة الثّالثة: وهي المرحلة المعاصرة التي تهتمّ بالنّظرية التّطوّرية ومسائل النّمو وكلمتها المفتاح الرّئيسة هي (التّغيير)، واتّجه العلم فيها إلى علوم الكمبيوتر والرّبوتات والإلكترونيات.

من خلال هذه المراحل المذكورة سابقا، يمكن القول: إنّها مراحل لم تكن متناقضةً ولا يمكن أن تلغي مرحلةً مرحلة أخرى أو تقصيها، بل هي موجاتٌ مرحليةٌ متسلسلةٌ ومتكاملة، لكن هناك نقطة تباينٍ بينها، تكمن في التّخصّصات المختلفة في كلّ مرحلة، وذلك وفقًا لاهتمامات الباحثين، وقد عالجتِ المرحلة الوسطى منها البحث الألسني بالدّراسة، وأصبحت فيها اللّغة مركز جاذبية وقلب اهتمام العلوم المعرفية.

ولعلّ هذا الرّبط بين اللّسانيات والعلوم المعرفية تمخّض في الأساس من خلال التّقرير الذي وضع علم المعرفة علمًا شاملاً لعديدٍ من الحقول البينية عُرف باسم "تقرير سلون ***Sloan Report***"، والذي تمّ بناءً على طلبٍ من مؤسّسة "**ألفريد سلون *Alfred Sloan***" دعت فيه إلى دراسة الحقول الموحّدة التي تتشكّل منها العلوم المتآزرة لأجل البحث في طبيعة المعرفة الإنسانية، وقد التقت فيه لجنة العمل بمدينة "كانساس"

الأمريكية، وضمّت حلقاتٍ ونقاشاتٍ من قِبل علماء النّفس والألسنيّين، وعلماء الأعصاب وفلاسفة وأنثربولوجيين وعلماء حاسوب، ومن هنا تشكّلتِ البدئية الأساسية للثّورة العرفانية من خلال البحث في علوم الدّماغ وتاريخ الفكر وتطوّر الإنسان...، وبهذا فقد مثّل هذا التّقرير نموذجًا إرشاديًا جديدًا وبراديغمًا ثوريًا في مجال العلم المعرفي نتج عنه تبلور نموذجٍ تخطيطيٍ للحقول المعرفية التي يتشكّل منها هذا العلم، اشتهر باسم سداسي العلاقات العرفانية البينية ويظهر كالآتي:"[1]"

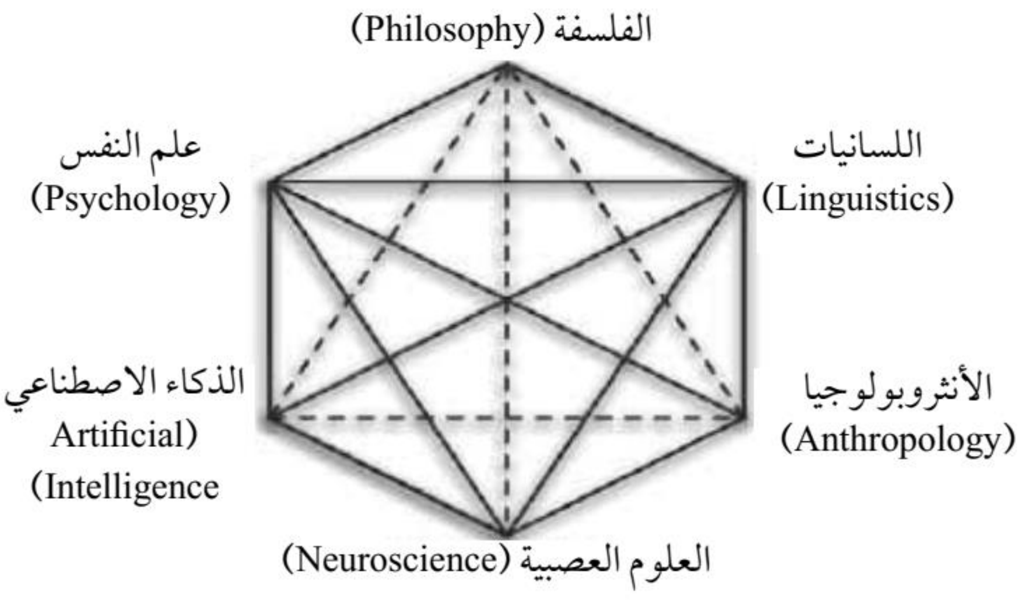

ولعلّ هذه العلوم السّابقة الذّكر، والتي تعدّ حقولاً معرفيةً بينيةً لا يمكن أن نفصلها عن بعضها البعض يمكن تجميعها في اتّجاهاتٍ أربعةً رئيسة، وهي:"[2]"

1. يُنظر: عبد الرّحمن طعمة، البعد الذّهني في اللّسانيات العرفانية، مدخل مفاهيمي، تحرير صابر الحباشة، دراسات في اللّسانيات العرفانية، الذّهن واللّغة والواقع، مباحث لغوية 63 (مؤلّف جماعي)، دار وجوه للنّشر والتّوزيع، المملكة العربية السّعودية، الرّياض، ط1، 2019م، ص: 19.18.
2. محي الدّين محسب، المرجع السابق، ص: 27.

1ـ الاتّجاه الرّياضي: ويشمل المنطق الرّياضي، ونظرية البرامج ولغات البرمجة، والنّظرية الرّياضية في التّصنيف وفي بُنى البيانات المركّبة.

2ـ الاتّجاه اللّساني: ويشمل الدّلاليات، والتّركيب، والصّوتيميات، والصّوتيات.

3ـ الاتّجاه النّفسي: ويشمل سيكولوجية الإبصار، والسّمع، واللّمس.

4ـ الاتّجاه الفيزيولوجي: ويشمل دراسة وظائف الأعضاء الحسّية، والدّراسة المفصّلة لمختلف أعضاء الدّماغ.

ومن هنا فإنّ كلّ هذه العلوم المعرفية والاتّجاهات البينية قد شكّلت منطلقًا أساسيًا ومسارًا تحوّليًا في الدّرس اللّغوي الحديث، وأدّى إلى انبثاق التّيار الألسني العرفاني والتّأصيل لهذا الأنموذج والبراديغم اللّساني الجديد بمنهجه العقلي الذّهنوي التّجريبي.

5/1ـ علم النّفس وتأثيره في الدّرس اللساني:

إنّ ظهور العلوم المعرفية في القرن العشرين كان له تأثيرٌ كبيرٌ في تطوّر العديد من العلوم، من بينها علم النّفس، هذا الأخير الذي تطوّر بفعل تطوّر بعض المجالات البحثية، خاصّة التكنولوجية منها والطّبية، وأحدث هذا النّموّ تغيّرا كبيرًا في الأسس التي تعالج موضوعات إنسانية، وكان من نتائج هذا التّغيّر حدوث «تحوّل معرفيٌ مهمٌّ في مجتمع البحث واتّجه بعيدًا عن السّلوكية إلى نظرية الإدراك أو معالجة المعلومات»"[1]، هذا التّحوّل الذي غيّر مسار علم النّفس وشكّل ثورةً معرفيةً فيه.

1. هناء صبري، فلسفة اللّغة عند نعوم تشومسكي، ص: 97.

وفي ضوء هذا التّحوّل الذي عرفه علم النّفس، بدأتِ العلوم الإنسانية الأخرى تتأثّر به، وبدأت نتائجه تمسّ عدّة جوانب من بينها اللّسانيات، وانطلقتِ الدّراسات الجديدة تنادي بمقولاتٍ جديدةٍ أساسها «أن نحدث تكاملاً بين اللّسانيات والعلوم العرفانية الأخرى، لا أن نضرب صفحًا عن النّتائج التي توصّلت إليها هذه العلوم ونتنكّر لها، فلكي نفهم اللّغة، وسبر أغوار الدّماغ نحتاج إلى كلّ علمٍ أن يأتي بما يستطيع، لكي تكتمل الصّورة وتستوي»"[1].

وفقًا لهذا المقتضى التّصوّري، أصبحت للّسانيات مقولاتٌ وآراء جديدةٌ خاصّة بها، نتيجةً لتأثّرها بالعلوم المجاورة، وسعت إلى توظيف نتائجها في معرفة أسرار اللّغة، ومن هنا تكشّفت بدئية « التّفكير في علوم شتّى، مهمّتها النّظر في معالجة الدّماغ للمعلومات خزنا، وتحليلا، وتأليفا، وخلقا، كعلوم الأعصاب، وعلم النّفس، وعلم المنطق، والإعلامية، واللّسانيات، وهي علوم وإن اختلفت في أصولها الأولى ومناهجها، ونظرياتها، وغاياتها، فقدِ اتّفقت على أنّ الذّهن هو مجموعة الوظائف الدّماغية المعالجة للمعلوماتِ على صورةٍ طبيعية»"[2]، وعليه مثّلتِ اللّغة بوصفها ملكةً وعضوًا ذهنيًا محورًا رئيسًا في هذه الدّراسات، بغية الكشف عن أنظمتها ومكنوناتها الدّاخلية.

بناءً على هذا الطّرح، أصبحتِ اللّغة بؤرة اهتمام جميع العلوم، وقطب الرّحى الذي دارت حوله العلوم المعرفية البينية، ولعلّ أهمّ هذه العلوم علم النّفس الذي أولى عنايةً

1. منية عبيدي، التّمثيل الدّلالي للجملة، منوال جاكندوف 1983م، منشورات علامات، مكناس، المغرب، ط1 2013م، ص: 48.

2. عبد الجبّار بن غربية، مدخل إلى النّحو العرفاني، ص: 8.

كبيرةً للإنسان وسلوكاته وتصرّفاته، مع الوقوف على أسرار هذا الكائن العاقل المفكّر المتكلّم، ولمّا كانتِ اللّغة سمةً ينماز بها عن الكائنات الحيّة الأخرى، حينها أصبحت من أهمّ وأجلّ الموضوعات التي عُني بها علماء النّفس، خاصّةً وأنّها تتّصل بمكوّناتٍ تخصّ الإنسان، منها العنصر النّفسي"[1]، وعليه صار موضوع اللّغة «يهمّ عالم النّفس أكثر من أيّ عالمٍ آخر، وبما لا يقلّ عن اهتمام عالم اللّغة نفسه، لكون هذا الموضوع يتداخل مع جميع مواضيع دراسته، حتّى ليصبح هو موضوع دراسته في كثيرٍ من الأحيان»"[2]، حيث عدّها علماء النّفس مرجعًا أساسيًا «موثوقًا بها للمعلومات في موضوعاتٍ متنوّعةٍ ذات أهمّية بالغةٍ للدّراسات النّفسية، كالفروق في القدرات الفردية، وعمليات التّعلّم والإدراك، وغيرها»"[3]، وممّا يثبت ذلك ما قام به العالم الألماني "**شتاينتهال *H. Steinthal*" (1823–1899)**، حيث أنشأ المذهب النّفسي اللّساني مستندًا في ذلك إلى آراء هومبولت اللّسانية، وآراء عالم النّفس والتّربية "**هربرت *Herbart***" النّفساني"[4]، وفي ألمانيا أيضًا كان «"**ويلهيلم فونت *Wilhem Wundt***" أوّل من أسّس معملاً لعلم النّفس عام: 1897م؛ وهو أيضًا عالم نفسي يكتب المقالاتِ الطّوال حول سيكولوجية اللّغة»"[5].

1. يُنظر: محمود السّعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، ص: 73.
2. حسن مرضي حسن، مدخل إلى فهم اللّغة والتّفكير، الأولى للنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، د/ط، د/ت، ص: 7.
3. ميلكا إفيتش، اتّجاهات البحث اللّساني، ص: 309.
4. ينظر: المرجع نفسه، ص: 73.
5. عزيز كعواش، علم اللّغة النّفسي بين الأدبيات اللّسانية والدّراسات النّفسية، مجلّة كلّية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السّابع، جوان: 2010م، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص: 5.

ومن هنا، تظهر لنا تلك العلاقة الوثقى التي تربط بين اللّسانيات وعلم النّفس فكِلا العلمين أثّرا في بعضهما البعض، فعلم النّفس أثّر في اللّسانيات، وهذه الأخيرة أثّرت فيه، وتجسّد لنا ما يعرف بعلم النّفس اللّغوي، وعلم اللّغة النّفسي.

ولاشكّ أنّ هذا التّأثير والتّأثّر، يتجلّى من خلال استقلالية اللّسانيات في العصر الحديث بفعل محاضرات "**فرديناند دوسوسير *Ferdinand de Saussure***" الذي أعطى للجانب النّفساني دورًا مهمًّا في اللّغة وجعلها بمختلف مظاهرها نفسية الجوهر، إذ إنّ « كلّ شيءٍ في اللّغة إنّما هو في جوهره نفسي، بما في ذلك مادّة اللّغة، ومظاهرها الآلية»"[1]، إضافة إلى ذلك فقد شكلت اللّغة نقطة التقاءٍ وتواصلٍ بين علماء النّفس السّلوكيين بزعامة "**سكينر *B. F. Skinner***" والألسنيين بزعامة "**بلومفيلد *L. Bioomfield***""[2]، حيث اعتبر"سكينر" اللّغة بأنّها «سلوك إنساني آلي تُكتَسب بطريقةٍ حسيّةٍ آلية، كما تُكتَسب الجوانب الأخرى من السّلوك الإنساني... وفي الوقت نفسه اعتنق "بلومفيلد" هذه النّظرة السّلوكيّة الحسيّة»"[3].

ويهمّنا هنا أن نشير بأنّ "بلومفيلد" قد تأثّر مباشرةً بالتّيار السّلوكي من خلال معالجة سلوك البشر بصفةٍ عامّة، واللّغة بصفةٍ خاصّةٍ من خلال «النّظر إلى ظاهر

1. فرديناند دو سوسير، علم اللّغة العام، ص: 24.
2. يُنظر: جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللّغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب الكويت، السّلسلة 145، 1990م، ص: 16.
3. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللّغة النّفسي، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرّياض، ط1، 2006م ص: 41.

اللّغة ودراسة ذلك الظّاهر فقط مثلها في ذلك مثل أيّة عادةٍ سلوكيةٍ أخرى»"[1]، ومن خلال هذا الجمع بين الطّرح السّلوكي النّفساني، والتّوجّه الألسني البنوي استطاع "بلومفيلد" أن يؤسّس مدرسة علم اللّغة السّلوكي، هذه المدرسة التي تقوم على مجموعةٍ من الأسس منها أنّ «اللّغة مظهرٌ من مظاهر السّلوك الإنساني الآلي الخاضع لقانون المثير والاستجابة دون الارتباط بالتّفكير العقلي»"[2].

وإذا نظرنا إلى واقع هذه الدّراسات الألسنية النّفسانية نجد أنّ القرن العشرين قد شهد ظهور نِتاجين حاولا تقويض ونقد التّوجّه السّلوكي لعلم النّفس، وقد كان "تشومسكي" صاحب هذين النّتاجين، النّتاج الأوّل تجسّد في كتابه "البُنى النّحوية" عام: 1957م، والذي أكّد فيه على جملةٍ من المبادئ والأسس لعلّ أهمّها العناية بالكفاية اللّغوية العقلية وقدرة المتكلّم على إنجاز عددٍ لا متناهٍ من الجمل، هذه القدرة تتجلّى وراء المظهر الخارجي للّغة، أي الأداء الكلامي، وهي قابليةٌ فطريةٌ يولد الطّفل مزوّدًا بها، ولا يمكن التّشكيك في وجودها، و «من المستحيل الجدال بشكلٍ متماسكٍ بعدم وجود الطّبيعة البشرية الشّاملة الجوهرية "الفطرية"»"[3]، وبالتّالي فإنّ الوجود الفعلي للّغة متعلّق بالقدرات العقلية الكامنة في الذّهن، إذ «لا وجود للغة خارج إطار تصوّرها العقلي، ومهما تكن

1. نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت السّلسلة التّاسعة، 1978م، ص: 90.
2. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، المرجع السابق، ص: 42.
3. نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبدًا لقاءات ومقالات، ترجمة أسعد محمّد الحسين، دار نينوى للدّراسات والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، 2010م، ص: 66.

من خصائصها فهي تختصّ بها عبر المسار العقلي الفطري للجهاز العضوي الذي أوجدها ويوجدها في كلّ جيل»"[1].

أمّا النِّتاج الثّاني لتشومسكي، والذي حاول فيه نقض السّلوكية والرّدّ على كتاب سكينر: "السّلوك اللّفظي"، فقد قوبل هذا الكتاب بردِّ فعلٍ عنيفٍ من قبل تشومسكي، خاصّةً فيما تعلّق بالمساواة بين الإنسان والآلة وعدم التّفريق بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان، فالإنسان لدى تشومسكي يتميّز بالذّكاء والتّفكير واللّغة أيضًا"[2]، كما ناقش بشكلٍ صارمٍ ومتميّزٍ في بحثٍ نقديٍ مطوّلٍ نشره في بداية مسيرته العلمية حمل عنوان: "السّلوك الكلامي عند سكينر" المدرسة السّلوكية في علم النّفس"[3]، وبهذا النّقد المؤسّس استطاع تشومسكي أن يتبنّى مقولاتٍ جديدةً مناقضة لهذا التّوجّه النّفسي السّلوكي وأن يدحض «جميع الأسس التي قامت عليها تلك الآراء، والنّظريات؛ فبينما كان سكينر... يؤمن بناءً على التّجارب المخبرية على الحيوانات بأنّ اللّغة لا تعدو أن تكون عادةً اجتماعية... وأنّ اكتسابها يتمّ بنفس الطّريقة؛ أي عن طريق المحاولة والخطإ»"[4]، في المقابل قدّم "تشومسكي" آراءَ تفنيديةً مناقضةً تحاول «الكشف عن طبيعة اللّغة ومميّزاتها،

1. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقيّة دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنةٍ تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط1، 1993م، ص: 58.
2. أحمد عبد العزيز درّاج، الاتّجاهات المعاصرة في تطوّر دراسة العلوم اللّغوية، مكتبة الرّشد ناشرون، الرياض، ط1 2003م، ص: 115.
3. يُنظر: تيرينس موور وكريستين كارلنغ، فهم اللّغة نحو علم لغةٍ لما بعد مرحلة جومسكي، ترجمة حامد حسين الحجاج مراجعة سلمان داود الواسطي، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، بغداد، ط1، 1998م، ص: 134.
4. نايف خرما، المرجع السابق، ص: 92.

وأتْبع ذلك سلسلةً من الأبحاث خرج منها بنتائج تفصيليةٍ عن البنية الدّاخلية للّغة...[وهي] ذات طابعٍ فلسفيٍ وسيكولوجي، بالإضافة إلى الطّابع اللّغوي»"[1].

وعلى ضوء هذه المقاربات، فقد أفرز لنا التّوجّه العقلاني الفلسفي الذي أسّس له "تشومسكي" من خلال حركته النّقدية للسّلوكية تأسيسًا جديدًا وتحوّلاتٍ عظمى في ميدان البحث اللّغوي وآليات وأدوات تحليله واشتغاله، هذه التّحوّلات التي انعكس تأثيرها على علوم متعدّدة منها علم الاجتماع، علم النّفس، الأنثروبولوجيا..."[2]، ولعلّ أكبر تأثيرٍ كان في الدّراسات النّفسية التي انبثق عنها التّوجّه المعرفي في معالجة السّلوكات، هذا التّوجّه الذي أحدث ثورةً في الدّراسات الألسنية أدّت إلى بزوغ التّيار الألسني العرفاني المنبثق عن بعض آراء تشومسكي في التّوليدية التّحويلية.

وفي هذا الإطار، وبناءً على مقولات تشومسكي التي اعتبرت بمقتضاها اللّسانيات بتوجّهاتها الجديدة جزءًا من علم النّفس، وخاصّةً علم النّفس المعرفي"[3]، حيث كان لعلماء النّفس الأثر الكبير في إثبات مقولة: إنّ «اللّغة عملية سيكولوجية مرتبطةٌ بالمعرفة العامّة ارتباطًا تامّا، وأنّهاـ أي اللّغة ـ نتاج عملياتٍ سيكولوجيةٍ خاصّةٍ بالفرد»"[4]، هذا كلّه أدّى إلى ظهور علم النّفس اللّغوي كأنموذجٍ جديدٍ في الدّراسة اللّغوية، خاصّةً ما تعلّق بالمدرسة التّوليدية التّحويلية ومقولاتها التي تؤمن بكلّ ما هو ذهنوي عقلاني نفساني فطري في إنتاج اللّغة واكتسابها، «ووقفت نظرية تشومسكي(1957م) باعتبارها الخلفيةَ الأساسيةَ

1. نايف خرما، المرجع السابق، ص: 93.
2. يُنظر: أحمد عبد العزيز درّاج، المرجع السابق، ص: 110.109.
3. يُنظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية: ص: 42.
4. جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص: 18.

لفهم تشعّب دراساتِ اللّغة في بعدها النّفسي»"[1]، وهذا ما أدّى إلى انبثاق توجّهين جديدين في المجالين النّفسي واللّغوي، ففي المجال الأوّل ظهر علم النّفس المعرفي، أمّا المجال الثّاني فأدّى إلى ظهور اللّسانيات النّفسية، ممّا استدعى بروز اتّجاهٍ ألسنيٍ جديدٍ يأخذ بمقولات علم النّفس المعرفي مع الاستناد إلى بعض آراء تشومسكي عُرف فيما بعد باللّسانيات العرفانية.

2ـ الملامح التّأسيسية والمقولات التّأصيلية للّسانيات العرفانية:

شهدتِ الدّراسات الحديثة والمعاصرة عدّة تغيّرات، من بينها الدّراسات الألسنية، إذ أعيد النّظر في المناهج التي تتبنّاها وتحكمها، وتمّ بموجب هذا الانتقال من المنهج السّلوكي إلى المنهج العقلاني، هذا التّحوّل الذي غيّر مسار البحث اللّغوي و«بدأ بوضوحٍ في اعتناق التّيّار العقلاني بوصفه أساسًا فلسفيًا لنظريّاته اللّغوية»"[2]، فقام هذا التّيّار على دراسة العقل البشري وآليات اشتغاله، ومحاولة رصد كلّ العمليات والقدرات العقلية التي تتحكّم في السّلوك اللّغوي، وقد تجسّدت هذه الملامح في النّظرية التّوليدية التّحويلية مع منتصف الستينيات من القرن الماضي على يد "نعوم تشومسكي"، وبالتّالي فقد عدّت «التّوليدية من أهمّ الثّورات اللّسانية في العصر الحديث»"[3].

وعلى أيّة حال، فإنّ التّيّار التّوليدي التّحويلي قد مثّل ملمحًا تأسيسيًا وتجديديًا في الدّراسة الألسنية، و «حوّل بؤرة البحث اللّغوي من مجرّد التّعامل مع اللّغة المنطوقة من

1. جمعة سيد يوسف، المرجع السابق، ص: 18.
2. هناء صبري، فلسفة اللّغة عند نعوم تشومسكي، ص: 54.
3. محمّد محمّد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنّظرية اللّسانية البنيوية والتّوليدية، ص: 134.

حيث هي كيان مستقلّ عن الإنسان المبدع للّغة إلى التّعامل مع اللّغة بوصفها بنيةً عقليةً داخلية»"[1]، يؤدّي ذهن المتكلّم وحدسه دورًا مهمًّا في إنتاجها، وعليه فقد دعا تشومسكي في نظريّته إلى دراسة « معرفة اللّغة فردية وداخلية في الذّهن/الدّماغ البشري، ويترتّب على هذا أنّه يجب أن توجّه الدّراسة الحقيقية للّغة اهتمامها إلى هذه البنية الذّهنية»"[2]، ومن هنا فقد عمل أصحاب المنظور الألسني التّوليدي على اتّباع المنهج العقلاني الذّهني، وتحوّل مفهوم اللّغة إلى بنيتها الدّاخلية و«صوب دراسة موضوعٍ مادّي، بدلاً من بنيةٍ اصطناعية... تحوّل صوب ما نقصده في الحقيقة من كلمة اللّغة، أو من التّركيب: "معرفة اللّغة"» "[3].

وعلى شفير هذا الملمح من الطّرح، الذي اخترقت فيه اللّغة البنية الدّاخلية للذّهن البشري، استطاعتِ اللّسانيات أن تحقّق قفزةً في البحث المعرفي وتخطو به خطوةً إلى الأمام، «نحو التّأويل العقلي في دراسة اللّغة»"[4]، كما أسهم هذا التّحوّل في تطوّر العلوم العرفانية (الإدراكية) المعاصرة، و احتواء العلوم الطّبيعية والبيولوجية لدراسة اللّغة بوصفها عضوًا بيولوجيا، بالإضافة إلى دراسة أنظمة الحوسبة والتّمثيل العقلي"[5]، فالتّركيز وفقًا لهذا الطّرح يصبح متوجّهًا صوب العمليات العقلية، ودورها في تكوين اللّغة باعتبار أنّها

1. هناء صبري، المرجع السابق، ص: 72.
2. نعوم تشومسكي، آفاق جديدةٌ في دراسة اللّغة والذّهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة مصر، ط1، 2005م، ص: 62.
3. حسام البهنساوي، نظرية النّحو الكلّي والتّراكيب اللّغوية العربية (دراسات تطبيقية)، مكتبة الثّقافة الدّينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص: 22.21.
4. المرجع نفسه، ص: 22.
5. يُنظر: المرجع نفسه، ص: 22.

أداءٌ كلاميٌ واستعمال يتحكّم فيه جانبٌ إدراكيٌ ذهني، أي أن هناك جزءٌ ما في الذّهن البشري مخصّص للمعرفة واستعمال اللّغة"[1]

وفي مقابل هذا النّهج من التّوجّه، كانتِ العلوم المعرفية قد عرفت أوجًّا من التّطوّر والنّموّ، وذلك من خلال الاستناد إلى مقولات النّظرية التّوليدية التّحويلية حيث استطاع هذا الاتّجاه الألسني تقديم أسس وركائز ومنطلقاتٍ للتّصوّر المعرفي، فكلا هذين التّوجّهين (التّوليدي، المعرفي) « يستهدف وصف مقدّرات الذّهن البشري، وقدراته من لغة، وإدراك، وربط، وتخطيط»"[2]، ومنه أثّر هذان الاتّجاهان في بعضهما البعض، واستطاعا أن يتقاربا ويتواصلا بدرجةٍ كبيرة، ولعلّ هذا التّقارب كان بفعل تلك النّقود التي تعرّضت لها التّوليدية التّحويلية، والتي وجدت إجاباتِها في العلوم المعرفية، خاصّةً ما تعلّق بقضية المعنى وكيفية تكوّنه في الذّهن البشري، وعليه لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، ومنه فإنّ اللّسانيات العرفانية تمثّل تيارًا يضمّ العديد من الاتّجاهات والمقاربات التي «تستمدّ مناهجها ومشاريعها من مرجعياتٍ متعدّدة، فهي أقرب لأن تشكّل أرخبيلاً من التّخصّصات المعرفية، منها لأن تمثّل جزيرةً واحدةً مستقلّة الوجود ومتحقّقة الكيان»"[3].

وبما أنّنا بصدد الحديث عن نشأة اللّسانيات العرفانية، فإنّه يمكننا الحديث عن طَورين أساسيين مرّت بهما، أطلق عليها "جورج لايكوف":(الجيل الأول) و(الجيل الثّاني)

1. ينظر: نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ترجمة إبراهيم الكلثم، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2017م، ص26.
2. صابر الحباشة، اللّغة والمعرفة رؤيةٌ جديدة، ص: 9.
3-Geeraets Dirk, Cognitive linguistics, Basics reading, Mouton de gruyter, Berlin,2006, p2.

للعرفانية، وذلك من خلال حوارٍ أجراه مع **جون بروكمان *Brockman John***، إذ طرح عليه سؤالًا يتعلّق بـ "أهمّ ما يميّز العلم المعرفي عن الفلسفة"، وقد جاء ردّه عن هذا السّؤال الذي سننقل فيه أهمّ ما جاء فيه"[1]، حيث قال: «هذا سؤالٌ مهمّ وعميق(...) والسّبب في أن ليس للسّؤال جوابٌ بسيطٌ، أنّ هناك شكلين من العلم المعرفي؛ أحدهما صيغ بناءٍ على افتراضات الفلسفة الأنجلو- أمريكية، والآخر(...) مستقلّ عن الافتراضات الفلسفية المخصوصة التي تقيّد نتائج البحث.

العلم المعرفي المبكّر، وهو ما أسمِّيه: العلم المعرفي من "الجيل الأوّل"، (أو "العلم المعرفي غير المتجسّد") الذي صمِّم ليناسب الإصدارة الصّورانية للفلسفة الأنجلو-أمريكية، أي أنّها أخذتِ الافتراضاتِ الفلسفية التي تقيّد الأجزاء المهمّة لمحتوى "النّتائج العلمية". بالعودة إلى أواخر الخمسينيات صاغ **هيلاري بوتنام *Hilary Putnam*** "الفيلسوف الشّهير والموهوب" موقفًا فلسفيًا سمِّي النّزعة الوظيفية (...) كان ذلك موقفًا فلسفيًا على أساسٍ قبلي، وليس على أساس أيّ إثباتٍ مهما كان، والمقترح كان هكذا: يمكن دراسة الذّهن عبر دراسة وظائفه المعرفية ـ أي من خلال العمليات التي يؤدّيها بشكلٍ مستقلٍ عن الدمّاغ والجسد. والعمليات التي يؤدّيها الذّهن يمكن أن تُنمذَج على نحوٍ كافٍ عن طريق معالجة رموزٍ صُوريةٍ عديمة المعنى، كما هو الحال في برنامج الحاسوب هذا البرنامج الفلسفي يناسب النّماذج التي كانت سائدةً في ذلك الوقت في عددٍ من التّخصّصات.

---

1. عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصوّرية والخطاب الأدبي، ص: 46.

في الفلسفة الصّورية: فكرة إمكانية تخصيص الذّهن على نحوٍ كافٍ باستخدام المنطق الرّمزي، الذي يستخدم معالجة الرّموز الصّورية عديمة المعنى.

وفي اللّسانيات التّوليدية: فكرة إمكانية تخصيصٍ نحو اللّغة على نحوٍ كافٍ من خلال القواعد التي تعالج الرّموز عديمة المعنى.

وفي مجال الذّكاء الاصطناعي: فكرة أنّ الذّكاء يتركّب بصفةٍ عامّةٍ في برامج الحاسوب التي تعالج الرّموز الصّورية عديمة المعنى.

وفي معالجة المعلومات السّيكولوجية: فكرة أنّ الذّهن هو جهازٌ لمعالجة المعلومات، حيث تؤخذ المعلومات المعالجة، كمعالجة الرّموز الصّورية عديمة المعنى، كما هو الحال في برنامج الحاسوب.

كلّ هذه المجالات قد تطوّرت من الفلسفة الصّورية هذه المجالات الأربعة تقاربت في العام: **1970**م، إلى شكل العلم المعرفي من الجيل الأوّل، وكانت رؤية الذّهن بوصفه معالجة مجسّدة للرّموز الصّورية عديمة المعنى.

يواصل "**لايكوف**" نقده لهذا الوضع وتقديم البديل من خلال ردّه عن سؤالٍ آخر عن كيفيةٍ تناسب وجهة النّظر هاته مع العلم التّجريبي الذي تبنّته اللّسانيات العرفانية، يجيب "**لايكوف**" بقوله:

- «وجهة النّظر هذه لم تكن مؤسّسةً تجريبيا، لقد نشأت من الفلسفة القبلية ومع ذلك فإنّها هيّأتِ البداية لمجالنا، ما كان جيّدا عنها هو أنّها كانت مضبوطة،

وما كان كارثيًا بخصوصها، هو ما كان لديها من رؤيةٍ فلسفيةٍ خفيّة تنكّرت كنتيجةٍ علمية، وإذا ما قبلت هذا الموقف الفلسفي، فكلّ النّتائج التي لا تتّفق مع هذه الفلسفة يمكن اعتبارها هراء. بالنّسبة للباحثين الذين تكوّنوا في ضمن هذا التّقليد، كان العلم المعرفي في دراسته للذّهن ضمن هذا الموقف الفلسفي القبلي»

- «تمّ تكوين الجيل الأوّل من العلماء المعرفيّين للتّفكير بهذه الطّريقة، والعديد من الكتب المدرسية لا تزال تصوّر العلم المعرفي بهذه الطّريقة. وهكذا لم يتميّز الجيل الأوّل من العلم المعرفي من الفلسفة، بل إنّه يتوافق مع وجهة النّظر الفلسفية القبلية التي تضع القيود الدّائمة على ما يمكن أن يكون عليه الذّهن...».

ثمّ يسأل بروكمان جورج لايكوف عن الظّروف التي نشأت فيها اللّسانيات العرفانية وكيفية تطوّرها انطلاقًا من تجربته الشّخصية فيردّ لايكوف قائلاً:

- «كان عملي المبكّر بالفعل بين عامي: 1963م – 1975م، عندما كنت من أتباع النّظرية الدّلالية التّوليدية. خلال تلك الفترة حاولت توحيد النّحو التّحويلي لـ "تشومسكي" مع المنطق الصّوري، وكنت قد ساعدت في العمل في وقتٍ مبكّرٍ على كثيرٍ من التّفاصيل في النّظرية النّحوية لـ"تشومسكي"، ثمّ ادّعى نعوم ولا يزال حتّى هذه اللّحظة أستطيع القول: إنّ التّركيب مستقلٌّ عن كلٍّ من المعنى، والسّياق، والمعرفة الخلفية، والذّاكرة، والمعالجة المعرفية، والقصد التّواصلي، ومظاهر الجسد كلّها، ومن خلال العمل على نظريته المبكّرة وجدت حالاتٍ قليلة جدًّا حيث الدّلالات، والسّياق، وعوامل أخرى من هذا القبيل قد دخلت القواعد التي توجّه الظّواهر التّركيبية للعبارات والمورفيمات، وانطلقتُ مع بدايات نظريةٍ بديلةٍ

سنة: 1963م، جنبًا إلى جنبٍ مع متعاونين رائعين(...) خلال السّتينيات. بالعودة إلى سنة: 1963م ، اقترن علم الدّلالة بالمنطق – المنطق الاستنباطي، ونظرية النّموذج – ومجموعتنا طوّرتِ النّظرية الدّلالية التّوليدية التي وحّدتِ المنطق الصّوري بالنّحو التّحويلي، في هذه النّظرية أخذ علم الدّلالة (في صيغته المنطقية) كأولويةٍ لعلم التّركيب استنادًا إلى الإثبات الذي يرى الاعتباراتِ الدّلالية والتّداولية المقحمة في التّعميمات التي توجّه البنية التّركيبية، وقد تبنّى "تشومسكي" أيضًا العديد من ابتكاراتِنا، مع أنّه يحاربها بشراسةٍ في سنوات السّتّينيات والسّبعينيات، وفي عام: 1975م أصبحتُ ملمًّا ببعض النّتائج الرّئيسة من العلوم المعرفية المتنوّعة المتّجهة نحو نظريةٍ تجسّد الذّهن، مثل الفسيولوجية العصبية لرؤية الألوان، ومقولات النّماذج الرّئيسة، والمستوى الأساس، وعمل تالمي على تصوّرات العلاقات الفضائية، ودلالة الإطار لفيلمور، هذه النّتائج أقنعتني بأنّ التّوجّه الكامل للبحث في اللّسانيات التّوليدية، والمنطق الصّوري التّوليدي ميؤوس منه وقصدت برفقة لان **تالمي** ***Talmy***، و **رونالد لانقاكر** ***Ronald Langacker***، **وجيل فوكونيي** ***Gilles Fauconnier*** لتشكيل لسانياتٍ جديدةٍ – متوافقةٍ مع البحث في العلوم المعرفية، وعلم الخلايا العصبية، سُمِّيتِ اللّسانيات العرفانية، وإنّها لمشروعٍ علميٍ مزدهر، وفي سنة: 1978م اكتشفت أنّ الاستعارة ليست نوعًا مقصورًا على الاستعمال المجازي في الشّعر، وإنّما آليةٌ من آليات الذّهن، وفي سنة:

1979م زار مارك جونسون قسم الفلسفة في بيركلي، وبدأنا العمل على التّفاصيل، وتضمّناتها الفلسفية...»"[1].

ومن هنا يظهر لنا أنَّ اللّسانيات العرفانية قد انبثقت على الوجود وتشكّلت مخاضاتها الحقيقية في السّبعينيّات في الولايات المتّحدة الأمريكية، لتبدأ بعدها مرحلة ثانية ويمتدّ أثر هذا التّيار الألسني ويزداد انتشارًا في ثمانينات القرن الماضي في أمريكا أوّلاً ثم في شمال أوروبا ثانيا، ففي أمريكا توسّعت لائحة المشتغلين بها، وتشمل باحثين وافدين من أوروبا منهم: (جيل فوكونيي)، إضافةً إلى أسماء أمريكيةٍ كـ(**إيف سويستر *yves Suster***) و(**مارك جونسون *Mark Johnson***)، و(**مارك تورنر *Mark Turner***)...، وفي هذه المرحلة بالضّبط تشكّلت نواةٌ من الباحثين حاولوا تبْيئة اللّسانيات العرفانية الأمريكية وغرسها في الفضاء الأوروبي الشّمالي خاصّةً مع (**ريني ديرفن *Renee Dervin***)، و(**جون تايلور *John Tayler***)، و(**باربارا ليفاندوسكا *Barbara Lewandowska***) و(**ديرك جيرارتس *D. Geerraets***)..."[2]، وهذا ما يجعلنا نقرّ بأنّ للّسانيات العرفانية شقّان، هما: الشّقّ الأوروبي والشّقّ الأمريكي، فقد غلب على المؤلّفات الانجليزية التّأثّر بالشّقّ الأمريكي، بينما يغلب على المؤلّفات الأوروبية عامّة والفرنسية خاصّة الشّقّ الأوروبي"[3].

1 -Cf. John Brockman ; Philosophy in the flash, A talk with George Lakoof.ibid pp2- نقلا عن عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي، ص: 45. 46. 47. 48، 49، 50، 51).

2ـ هيد الله مولود مزايط، نشأة اللّسانيات المعرفية، (اللّسانيات المعرفية، تقديم جعفر يايوش، تأليف نخبةٍ من الباحثين الأكاديميين)، منشورات ألفا للوثائق، ط1، 2020م، العدد 20، سلسلة رسالة الباحث الدّولية، مختبر اللّغة والتّواصل المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان، الجزائر، ص: 167.166.

3ـ يُنظر: الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 28.

من خلال قراءتنا لظروف وملابسات نشأة اللّسانيات العرفانية ومن سياقها العامّ يمكن أن نقف على جملةٍ من النّتائج والمقولات الجوهرية، نجملها على النحو الآتي:

- إنّ اللّسانيات العرفانية قد نشأت في إطارٍ معرفيٍ متعدّد التّخصّصات واتّجاهاته متنوّعة، لكن موضوعها واحدٌ (العقل والذّهن البشري).
- إنّ العلوم المعرفية بكلّ تخصّصاتها ومجالاتها (علم النّفس، البيولوجيا، الذّكاء الاصطناعي، علم الأعصاب...) قد ساعدت على انبثاق التّوجّه الألسني العرفاني.
- مثّلتِ اللّسانيات التّوليدية التّحويلة اتّجاهًا أساسيًا في تبلور التّيّار العرفاني خاصّةً بعد تلك الانتقادات التي وُجّهت لها في مراحلها الأولى نتيجة إيغالها بالتّركيب وإهمال المعنى.

بناءً على ما قلنا سابقًا، فقد انبثق الأنموذج الألسني العرفاني نتيجةً لنقاشاتٍ ومخاضاتٍ عسيرةٍ ومتنوّعة، وذلك من أجل تبلوره في السّاحة الألسنية وبزوغه كتيّارٍ جديد، هذه النّقاشات التي بدأت تظهر في العقدين السّادس والسّابع من القرن الماضي، خاصّةً في الولايات المتّحدة الأمريكية، وقد مهّدت هذه الدّراسات لظهور اللّسانيات العرفانية وتشكّل مقولاتها، إذ «إنّ سبعينيات القرن العشرين هي التي شهدت انبثاق اللّسانيات العرفانية، ففي عام: 1976م، وحده صدرت ثلاث دراساتٍ تصبّ جميعًا في إبستمولوجيا ربط اللّغة بالذّهن البشري: دراسة تشارلز فيلمور (بديل لنظريات القوائم في

المعنى)، دراسة جورج لايكوف وثومبسون (مقدّمةٌ للنّحو العرفاني)، دراسة روزش (التّمثيلات العرفانية للمقولات الدّلالية)»"[1].

كما أنّه في عام: 1980م صدر كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" للمؤلّفين: جورج لايكوف، و مارك جونسون"[2]، حيث شكّل هذا الكتاب الانبثاق الفعلي للدّرس الألسني العرفاني، إذ أنّه يدخل في إطار «ما دُعيَ بتيار الدّلالة المعرفية»"[3]، وبه اكتسبتِ اللّسانيات العرفانية نفوذها الحقيقي، فهو يمثّل بدئية الدّرس الألسني العرفاني"[4]، كما أنّ هناك من يرجعها إلى عام: 1987م، مع نشر كتاب "المرأة والنّار والأشياء الخطيرة" لـ "**جورج لايكوف**"[5] كما أسّس **لانقاكر** نظرية النّحو العرفاني **(1987-1991)** ولعلّ هذا التّأسيس بدأ يتمخّض بفعل بعض النّدوات والجمعيات من بينها:

- جمعية اللّسانيات العرفانية العالمية (1989م).
- مجلة العلوم المعرفية (1977م).
- جمعية العلوم العرفانية بأمريكا (1979م).

وينضاف إلى هذا أيضًا بعض الدّراسات المستحدثة المبسّطة والتي أسهمت في توسيع دائرة الدّرس الألسني العرفاني في شكل دروس (تايلور 1996م،2002م) ومن

1. محي الدّين محسب، الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص: 151.
2 ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 153.
3. جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، ص: 5.
4. يُنظر: جنان التّميمي، الزّمن في العربية من التّعبير اللّغوي إلى التّمثيل الذّهني (دراسة لسانية إدراكية)، جامعة الملك سعود، كرسي الدّكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللّغة العربية وآدابها، ط1، 2013م، ص: 12
5. يُنظر: المرجع نفسه، ص: 12.

هنا ما انفكّت جمعياتٌ لسانيةٌ عرفانيةٌ محلّيةٌ أو وطنيةٌ تتأسّس في بلدانٍ كثيرةٍ أغلبها أوروبي"[1].

3/ المنطلقات التّصوّرية للنّظرية الألسنية العرفانية:

1/3ـ النّظرية الألسنية العرفانية وتعاملها مع اللّغة:

تعالج اللّسانيات موضوعات اللّغة، ومسائلها تعدّ من أهمّ قضايا الدّراسات الإنسانية، وقد تعدّدت جوانب الاهتمام بها، فعدّت نظامًا من أنظمة التّواصل، وبوصفها ملَكةً خاصّةً ببني البشر، وهي أداةٌ من أدوات المعرفة ولعلّ هذه الطّروحات المتعدّدة «تعكس تعدّدية جوانب اللّغة التي تكون على علاقة تكامليةٍ في ما بينها»"[2]، حيث إنّنا لا نجد مجالاً بحثيًا ألسنيًا إلاّ وجمع بين عدّة جوانب وتعرّض لجدلٍ كبير ونقاشٍ بين العلماء والباحثين، ومن بين هذه التّوجّهات اللّسانيات العرفانية التي لم تكن بمنأًى عن هذه الظّاهرة لكونها اتّجاهًا بحثيًا جديدًا جمع العديد من التّحديدات والخصائص والمنطلقات التّصوّرية، إذ انبثقت من عدم رضاها عن التّقاليد اللّسانية التي هيمنت في القرن العشرين، ومنها تقليد الأنموذج الألسني البنوي الصّوري في علم الدّلالة، وتقليد النّظرية التّوليدية التّحويلية الصّورية التي سيطرت على البحث في علم التّركيب في شمال أمريكا، والمقاربة الصّورية الحاسوبية لعلم الدّلالة التي سادت شمال أمريكا وأوروبا طيلة النّصف الثّاني من القرن العشرين"[3]، ومن هنا فقد غيّر هذا التّيّار الألسني منهج الدّراسة اللّغوية خاصّة على

1. يُنظر: الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفانية، ص: 30.
2. رومان ياكبسون، الاتّجاهات الأساسية في علم اللّغة، ترجمة علي حاكم صالح، حسن ناظم، المركز الثّقافي العربي الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م، ص: 16.
3. يُنظر: بريجيت نرليش وديفيد كلارك، اللّسانيات الإدراكية وتاريخ اللّسانيات، ترجمة حافظ إسماعيلي علوي، مجلّة أنساق، قسم اللّغة العربية، كلّية الآداب والعلوم، جامعة قطر، المجلّد الأوّل، العدد الأوّل، مايو2017م، ص: 271.

مستوى تحليل المعنى، إذ تحوّلت التّصوّرات والأسئلة، وصار مضمونها: «كيف يفكّر الكائن البشري؟ وكيف يتمثّل الوجود من حوله؟ وكيف يمقوله؟ بل أيضًا: كيف يتكلّم؟ وكيف يمارس الإبداع عبر اللّغة؟ فأسّست بذلك لرؤيةٍ جديدةٍ تحكم علاقة العرفان باللّغة، بمستوييها المفتوح والمغلق، وعلاقة الفكر بالإبداع والخيال والمعنى عمومًا»"[1]، ومن هنا فقدِ استطاع التيّار الألسني العرفاني أن يطوّر نظرتنا للّغة ويجدّد نظرتنا حولها وعدم الاكتفاء بوصف وقائعها المنجزة، بل ينبغي لنا فهم مصدرها الذّهني وإدراك أنماط اشتغالها فيه"[2].

وعلى هذا الأساس والفهم التّجديدي الذي عرفته اللّسانيات العرفانية، فإنّه لا يمكن إنكار أنّ هذا التّوجّه الألسني يعدّ حقلا متعدد التخصصات، وصعب الفهم"[3]، فهو بذلك تيّار بحثيٌ بِكر، ظهر في الآونة الأخيرة من العصر الحديث وتطوّر تطوّرًا سريعا، وقد أفرز هذا المجال البحثي مفاهيم جديدةً في البحث اللّساني الحديث والمعاصر وأحدث طفرةً نوعية، هذا التّشكّل والبدء التّجديدي كان أساسه تطوّر العلوم المعرفية التي تنماز بتداخل الاختصاصات فيها وتواشجها، تلك العلوم التي «ترمي إلى وصف استعددات الذّهن البشري وقدراته، كاللّغة والإدراك والتّنسيق الحركي والتّخطيط...وتفسيرها ومحاكاتها عند الاقتضاء»"[4].

1. محمّد الصّالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدّلالة العرفاني، ص:7.
2. يُنظر: مصطفى بوعناني، الصّواتة المعرفية والمسارات الذّهنية للإنجاز اللّغوي، ص: 11، 12.
3. ينظر: كاترين فوكس، هل توجد لسانيات إدراكية، مجلة فصول، العدد 100، مرجع سابق، ص: 63.
4. مصطفى حدّاد، اللّغة والفكر وفلسفة الذّهن، ص: 44.

ومن هنا يتحدّد لنا موضوع ومسار اللّسانيات العرفانية، هذا التّوجّه الألسني الذي يركّز على تلك العمليات الذّهنية الجارية في الدّماغ البشري ومحاولة تفسيرها وفهمها وتعدّ اللّغة إحدى هذه العمليات الإدراكية ومادّةً للتّحليل العرفاني، وبالتّالي هدفها يتجلّى في الحصول على معطيات عن نشاط العقل والذّهن، وإعادة «الاعتبار للعمليات العقلية الدّاخلية»"[1]، ولتحقيق كلّ هذا كانت اللّغة آليةً الاشتغال في التوجّه العرفاني، وأصبحت محورًا رئيسًا في المقاربة الألسنية العرفانية، وانتقل التّركيز فيها على تلك القدرات الدّماغية العقلية بوصفها «صندوقًا أبيض يمكن رؤية ودراسة ما بداخله، وليس كمجرّد صندوقٍ أسودَ لا يحوي شيئا»"[2]، حيث إنّ هذا الصّندوق (الدّماغ) يقوم بمعالجة المعلومات ويحاول دراسة تلك التّفاعلات القائمة بين اللّغة والعقل، وأصبح الأمر يتعلّق أساسًا «بكيفية معالجة البشر للعالم ورؤيتهم إيّاه وبنائهم لحقيقته، وذلك باعتبار هؤلاء البشر ذواتٌ مدركةٌ لها عدّة وسائل، واللّغة جزءٌ منها فقط للاتّصال بمحيطها، وإدراكه، والتّفاعل معه، والانفعال به، واللّغة مهمّة في ذلك لأنّها تعبّر عن هذا الاتّصال، وتخبرنا بتفاصيله»"[3].

وفقًا لهذا الطّرح، فإنّ اللّغة تعدّ من الأنشطة المعرفية التي تشكّل نسقنا المفاهيمي والتّصوّري، هذا النّسق الذي يتكوّن «من فعلنا المستمرّ والناجح في محيطنا الفيزيائي والثّقافي، ومقولات التّجربة البشرية، والأبعاد التي تنبني عليها لا تنبثق من تجاربنا

1. محمّد طه، آفاقٌ جديدةٌ في دراسة العقل، ص: 177.
2. المرجع نفسه، ص: 171.
3. جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 6.

فحسب، بل تراز باستمرارٍ من خلال الحياة اليومية لكلّ عضوٍ من أعضاء ثقافتنا»"[1]، فالتّيّار الألسني العرفاني إذن مجالٌ تصوّري أساسه الذّهن البشري وكلّ ما يحيط بالعقل من موجوداتٍ داخليةٍ تسهم في استعمال مَلكة اللّغة وكلّ العمليات الذّهنية (الإدراكية) الأخرى التي تجعل هذه الملَكة من إدراك وتخيّلٍ وذكاءٍ وتذكّر...«إذ كلّها تصبّ في إطار تشابك هذه الأنشطة وتآزرها خدمةً لنظرةٍ تكامليةٍ للّغة والسّلوك الإنساني»"[2].

2/3الإدراك تصوّر ومجالٌ أساسي في الأنموذج الألسني العرفاني:

لعلّ أولى العمليات العقلية التي ركّزت عليها النّظرية العرفانية الإدراك، هذه القدرة التي أوكلها الله سبحانه وتعالى للبشر وزوّدها بهم، وهي في الأساس ترتبط بدراسة العقل ـ الدّماغ على صعيدين اثنين هما:"[3]

- الصّعيد الوظيفي بوصفه نظامًا لمعالجة المعلومات أو لإنتاج المعرفة.
- الصّعيد المادّي بوصفه فيزيقيًا يتكوّن من التّضامّ البيني للخلايا العصبية.

فقد أثبتت بعض التّجارب في علم النّفس المعرفي بأنّ الطّفل يولد وهو مزوّد بقدرة الإدراك، إذ بإمكانه أن يدرك الأشياء المحيطة به ويستطيع أن يتعرّف عليها ويقوم بتخزين هذه المدركات والصّور في ذاكرته، وتكوين مفاهيم خاصّة بها حيث يتمّ «تمثّل المدخلات الحسّية الخامّ عقليًا بالطّريقة التي يمكن بعد ذلك معالجتها من قِبل النّظام

1. جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 178.
2. دحمان نور الدّين، التّكامل المعرفي من وِجهة نظر اللّسانيات الإدراكية وأثره في إضاءة جوانب النّصّ، مجلّة أبحاث، العدد الأول، ديسمبر2013م، ص: 115.
[3] ـ كاترين فوكس، المرجع السابق، ص: 63.

الإدراكي المركزي الذي ينطوي على الاستدلال، والتّفكير والذّاكرة»"[1]، أي أنّ النّسق التّصوّري لدى الطّفل يبدأ بالتّشكّل منذ الولادة، لكنّه لا يستطيع استيعاب المعلومات والمفاهيم وترميزها والتّعبير عنها، نظرًا لعدم اكتمال نضجه العضوي والبيولوجي وضعف قدرته الإدراكية على الاستيعاب، وهذا ما يجعل البنية التّصوّرية في التّيّار العرفاني لا تشمل الجانب اللّغويّ التّعبيري فقط، بل هي بنية تجريدية تمثّل ذلك العالم المادّي الفيزيائي الذي يحيط بالبشر، وبالتّالي فإنّها تعدّ «نسقًا تمثيليًّا يهمّ اللّغة، ويتجاوزها في حدِّ ذاتها، وعليه يقوم التّفكير، والتّخطيط، وتكوين المقاصد، وفهم الجمل في سياقاتها مع ما يرتبط بذلك من اعتباراتٍ تتعلّق بالمعلومات الذّريعيّة، وبالمعرفة الموسوعية»"[2].

بناءً على هذا الطّرح، فإنّ اللّغة بوجودها المادّي المحسوس تستند إلى التّمثّل الذّهني التّصوّري لتلك المفاهيم المجرّدة لكلّ ما يحيط بنا في الواقع البيئي ولسلوكاتنا المتنوّعة، وتستند أيضًا إلى الإدراك باعتباره قدرةً عقلانيةً ذهنية، فـ « اللّغة لا ترتبط رأسًا بعالمٍ حقيقيٍ أو فيزيائي، إنّ بين اللّغة والعالم الفيزيائي سيرورة بناءٍ واسعة، وهذه السّيرورة لا تعكس العباراتِ اللّغوية التي تنشئها، ولا العالم الحقيقي الذي تُعتبر الأوضاع فيه أهدافًا للعبارات التي تنطبق عليها، هذا المستوى الوسيط يسمّيه "فوكونيي": المستوى المعرفي»"[3]، وعلى هذا الأساس فإنّ البنية التّصوّرية في الأنموذج الألسني العرفاني تسير في اتّجاهين مترابطين هما:"[4]

1. ففيان إيفانز، ميلان جرين، طبيعة اللّسانيات الإدراكية، ترجمة عبده العزيزي، مجلّة فصول، العدد 100، ص: 50.
2. محمّد غاليم، النّظرية اللّسانية والدّلالة العربية المقارنة، ص: 17.
3. جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 8.
4. يُنظر: منية عبيدي، التّمثيل الدّلالي للجملة، منوال جاكندوف 1983م، ص: 67.

- **من الذّهن إلى اللّغة:** أي أنّ التّمثيل الذّهني أساسٌ للمعنى اللّغوي وللنّظرية الدّلالية.
- **من اللّغة إلى الذّهن:** أي محاولة البحث في تلك النّتائج التي يتمّ بموجبها الوصول إلى نظريةٍ حول المعنى والدّلالة وربط ذلك بمسائل لها علاقةٌ بالإدراك والذّهن البشري وبالتّجربة الإنسانية بصفةٍ عامّة.

ولعلّ هذا يجعل تكوين السّلوك والفعل اللّغوي يستند في الأساس على المعنى هذا الأخير الذي يمثّل «معلوماتٍ مرمّزة في الذّهن الإنساني، أو هو تمثيلٌ ذهني»"[1]، فإنتاج اللّغة إذن عمليةٌ معقّدةٌ أساسها عمليّات معرفيةٌ متعدّدةٌ ومتضافرة فيما بينها ممّا يكشف لنا أنّ اللّسانيات العرفانية قد تجاوزت «بنية اللّغة الشّكلية لتخترق أعماق صورها الإدراكية التي تتمثّل في عقل الإنسان حينما يجسّد ألفاظ المفاهيم المجرّدة»"[2]"، فهي بذلك مجالٌ تصوّري إدراكيٌ ذهنويٌ يركّز على التّمثّلات الذّهنية للمضمون، يختار فيها المتكلّم وحدات معجمية يعبّر فيها عن هذه المضامين التّصوّرية، بعدها يصدر الأصوات اللّغوية وينتج لنا تمثيلاً لغويًا واقعيًا أساسه الفعل الحركي، وهذا ما أكدّه **جاكندوف**، فقد أقرّ بوجود مستوى في التّمثيل التّصوّري الذّهني تتوافق فيه المعلومة اللّغوية مع معلوماتٍ أخرى تصدر عن أجهزةٍ أخرى، كالبصر والشّمّ والسّمع...وفيه أيضًا تتساوى وتتطابق المعلومات اللّغوية والمعلومات النّاتجة عن هذه الأجهزة "[3]".

1ـ المرجع نفسه، ص: 67.

2ـ جنان التّميمي، الزّمن في العربية من التّعبير اللّغوي إلى التّمثيل الذّهني، ص: 11.

3ـ يُنظر: منية عبيدي، المرجع السابق، ص: 80.

بناء على هذا الطّرح، فإننا نخلص إلى أنّ التّوجّه اللساني العرفاني قد أولى اهتماما بالجانب الإدراكي التّصوّري الذهني التّمثيلي للّغة مع إدخال عملياتٍ خارجية لها علاقة بالجسد البشري من سمعٍ وبصر...، بالإضافة إلى هذا، فقد حدّد "**آلان كروز** ***Allan Cruz***" في "معجم اللّسانيات والتّداولية" أهمّ الطّروحات التي قام عليها هذا التّيار، إذ « تقول الأولى: إنّ اللّغة موضوعةٌ لغرض تبليغ المعنى، ومهما كانت بِنياتها، بما فيها الدّلالية والنّحوية، أو الصّوتية؛ فينبغي أن تكون مرتبطةً بهذه الوظيفة، وتقول الثّانية بتجسّد المقدرات اللّغوية؛ فإنّها غير منفصلةٍ عن المقدرات المعرفية الكلّية، إذ لا وجود لقسم من الدّماغ مستقلٍّ بذاته مخصوص باللّغة، نتيجةً لهذا بالنّسبة لعلم الدّلالة لا يمكن تكلّف ووضع تمييزٍ مبدئيٍ بين المعنى اللّغوي والمعارف الكليّة، أمّا الأطروحة الثّالثة فتقول: إنّ المعنى تصوّري بصفةٍ طبيعية، ويتضمّن صورةً مشتركة، أو متأثّرةً بالمادّة الخامّ المدركة حسيًّا، والمتصوّرة بطرق مخصوصة، تتمسّك اللّسانيات العرفانية بأنّ مقاربة شروط الصّدق لا تستطيع إعطاء تعليلٍ كافٍ للمعنى، وللّسانيات العرفانية اتّصال وثيقٌ بعلم النّفس المعرفي، وإنّها تتكفّل على الخصوص بالاشتغال على بنية وطبيعة التّصوّرات...»"[1].

ويمكن لنا أن نفهم من خلال الطّروحات العرفانية السّابقة الذّكر، أنّ وظيفة اللّغة تكمن في تبليغ المعنى وإيصاله للآخرين ومهما كانت بنيتها وتركيبها، فهي بذلك لا تنماز عن المناهج الألسنية السّابقة، ولكن وظيفتها لا تقتصر على التّواصل والتّبليغ وإنّما أوسع من ذلك، إذ يتمثّل« دورها في التّرميز باستحضارها للصّور المعرفية، وفي تشكيل

1. عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصوّرية والخطاب الأدبي، ص: 3938.

مفهومنا للواقع، وفي تطويع قدرتنا على التّفكير، والتّخطيط عبر خاصّيّتها الوحيدة المتمثّلة في السّماح بتنظيماتٍ لا متناهيةٍ من الرّموز، ومن ثمّة الخلق الذّهني للعوالم الممكنة»"[1]، فاللّغة بهذا الأساس تُعدّ من الطّرق التي يمكن أن نكتشف بها المسار الذي ننجز به تفكيرنا وتصوّرنا، فهي قادرة على أن تمدّنا بمعلوماتٍ عن كيفية اشتغال نسقنا التّصوّري، و «بما أنّ التّواصل مؤسَّس على نفس النّسق التّصوّري الذي نستعمله في تفكيرنا وفي أنشطتنا، فإنّ اللّغة تعدّ مصدرًا مهمًّا للبرهنة على الكيفية التي يشتغل بها هذا النّسق»"[2]، ولعلّ هذا جعل البحث الألسني يتطوّر ويعرف تقدّمًا وقفزةً نوعيةً خاصّةً لمّا دخل في رحاب التَّيارات المعرفية البينية المتلاحقة، واتّجه نحو الولوج إلى العالم الدّاخلي الذي يؤمن بالحمولة المعرفية لمستعمل اللّغة، إذ إنّ المفاهيم هنا تتعلّق بالتّصوّر والإدراك والتّمثّل الذّهني، وصورة اللّفظة الذّهنية هي التي تنطبع في الفكر ممّا يجعلها تتجسّد وتتحقّق في عالم الأشياء المادّي"[3].

وعليه، فإنّ وظيفة اللّغة لا تقتصر على التّعبير والتّواصل بل تتعدّاها إلى وظائف أخرى، حيث إنّها أداةٌ مهمّةٌ لمعرفة أسرار الدّماغ البشري، وكلّ ما يتعلّق بالعمليات الذّهنية التي تمكّن الفرد من استيعاب كل ما يحيط به من أشياء وتوظيفها في سلوكاته المتعدّدة، وتحاول «ضبط العلاقات بين اللّغة والذّهن والدّماغ» "[4].

1. ر. جاكندوف، ن. تشومسكي، ن. فندلز، دلالة اللّغة وتصميمها، ص: 44.

2. جورج لايكوف ومارك جونسون، المرجع السابق، ص: 21.

3. يُنظر: دحمان نور الدّين، التّكامل المعرفي من وجهة نظر اللّسانيات الإدراكية وأثره في إضاءة جوانب النّصّ، مجلّة أبحاث، ص: 118.

4. حمو الحاج ذهبية، مقدّمة في اللّسانيات المعرفية، ص: 32.

وبالتّساند مع هذا الاستقطاب النّظري والمقولات النّظرية للمقاربة الألسنية العرفانية، يمكن لنا أن نقف على جملةٍ من المنطلقات والأسس التي قامت عليها اللّسانيات العرفانية، لعلّ أهمّها:

1ـ التّصوّر الذّهني للّغة ورفض مبدإ الفطرية:

يرفض أصحاب التّوجّه العرفاني مقولة أنّ اللّغة مَلَكة فطرية، وبـ «أنّ الإنسان يولد مزوّدًا بجهازٍ فطريٍ مخصّصٍ تخصيصًا عاليًا يمكّنه من اكتساب المعارف»"[1]" اللّغوية، ويقف هذا التّيّار موقفًا مناقضًا و مضادًّا لمن تبنّى هذا الرّأي، فقد أولتِ اللّسانيات العرفانية اهتمامًا كبيرًا بالتّصوّر الذّهني، ورأت بأنّ له وظيفةً رئيسةً في إنتاج سلوكاتِنا المتعدّدة، منها السّلوك اللّغوي، وأصبح يُنظر إليه بوصفه موضوعًا للتّفسير العلمي المستقلّ عن كلّ تفسيرٍ ميتافزيقي"[2]"، فالنّسق التّصوّري بهذا الشّكل أصبح يستقي مفاهيمه المشكّلة له من خلال تجربته التي يخوضها مع جسده وجميع الحواس، فالملَكة اللّغوية ليست فطريةً ومكتفيةً بذاتها، بل تتعالق معها جميع السّلوكات الأخرى، فـ« من المعقول طبعًا اعتبار وجود مكوّنٍ فطريٍ مهمٍ للقدرات المعرفية البشرية العامّة، وأنّ هناك بعضًا من هذه الخاصِيات الفطرية تعطي نهوضًا للقدرات اللّغوية البشرية التي لا يمتلكها أيّ نوعٍ إحيائيٍ آخر بشكلٍ واضح. ومع ذلك لا تثير فطرية القدرات المعرفية انشغالاً كبيرًا للّساني العرفاني المهتمّ بإثبات القدرات المعرفية العامّة في اللّغة»"[3]"، ومن هنا

1. مصطفى حدّاد، اللّغة والفكر وفلسفة الذّهن، ص: 6.
2. ينظر: مصطفى حدّاد، المرجع نفسه، ص: 13.
3. عمر بن دحمان، المرجع السابق، ص: 42.

يمكننا النّظر إلى ملَكة اللّغة أنّها ملَكة ذهنيةٌ مثلها مثل أيّ عضوٍ جسدي، خاصّةً الدّماغ، فهي تتمّ في مستوًى معيّنٍ من التّجريد، ونستطيع النظر إليها من حيث هي عضو من الأعضاء الذهنية المماثلة للقلب أو العين، فليس هناك فرق بين هذه الأعضاء الفيزيائية (الإدراكية والحركية) والملكات المعرفية"[1].

ولعل هذا يجعلنا نؤكد بأن ملكة اللغة ليست أمرا فطريا بل هي متجسدة في عالم مادي، إذ هي متضمّنة في هندسة الفكر/ الدماغ العامّة، وتدخل في علاقة مع أنظمة عرفانية أخرى تفرض عليها أن تستجيب لجميع شروطها، وإلّا فإن هذه الملكة لا يمكن استعمالها"[2]، ومن هنا فإن الأنموذج الألسني العرفاني قد رفض مقولة بأن اللغة ملكة فطرية غريزية يولد بها الإنسان، ورأى بأنها مقدرة معرفية تتواجد بالدماغ البشري ولها علاقة بالقدرات المعرفية الأخرى، هذا ما جعل «تبني المنظور المعرفي في معالجة اللغة وفق تكامل المستويات، وتفاعل المسارات: لسانيا ومعرفيا، هو في العمق تساؤل حول مجموع المعارف اللسانية التي يمتلكها العقل الإنساني بموجب احتوائه ملكة اللغة، وعن المسارات الذهنية التي يتم تفعيلها أثناء اكتساب الوقائع والكيانات اللغوية وإنجازها على حد سواء، فهما وتمثلا وتخزينا، تذكرا واسترجاعا واستعمالا... ومحاولة نمذجتها وتقييسها أيضا»"[3].

2ـالتركيز على الدلالة التصورية ورفض مقولة مركزية التركيب والإعراب:

1ـ ينظر: مصطفى حداد، المرجع السابق، ص: 50.

2ـ ينظر: صابر الحباشة، اللغة والمعرفة رؤية جديدة، ص73.

3ـ مصطفى بوعناني، الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، ص: 9ـ10.

ركز التصور الألسني العرفاني على المعنى، ورأى بأنه مكون أساسي في إنتاج اللغة مناهضا بذلك التيار التوليدي التحويلي، إذ كما هو معلوم أن اللسانيات العرفانية قد تبلورت في خضم الأفكار السائدة لدى التفكير التشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية، فوقفت عند مجموعة من هذه الأفكار لعل من أهمها "مركزية التركيب أو الإعراب" فقد عد هذا الأخير بؤرة اهتمام ومحل عناية لدى التوليديين، فكان النحو التوليدي شكلانيا يركز على الرمزنة متأثرا بالنزعة التجريبية الاستقرائية، وأصبحت «البنية التركيبية هي المصدر الوحيد للتوليدية في النحو»"[1]، أي أن التوليديين انصب اهتمامهم بالتركيب، وكيفية تشكله وتكونه، فأهملوا بذلك كل العمليات العقلية التي تشكل لنا المعنى في الذهن، ولكن بعد الانتقادات التي وجهها بعض تلامذة تشومسكي حاول إدخال المكون الدلالي في مراحل لاحقة، وبدأت تتجسد على الواقع اللسانيات العرفانية، ومثلت بذلك «ثورة مضادة لمشروع تشومسكي اللساني نفسه»"[2] التي وجهت مسار الدراسة نحو المعنى، وذهب أصحاب هذا التوجه إلى القول بأن «الأنحاء ليست إلا مجموعات من استراتيجيات إنتاج الجمل وفهمها...وأن البنية اللغوية محددة تماما بالتمثيل الإدراكي للمعنى»"[3]، وبذلك أصبح التركيز صوب «الطريقة التي يلجأ إليها المتكلّم والمخاطب لتشكيل المعنى، أو لإعادة تشكيله؛ أي أن الأولوية ستصبح للعمليات الذهنية التي تنظّم المعنى وتصوغه، وهكذا فإنّه لم يعد تصوّر دراسة اللغة ممكنا إلّا في نطاق رؤية قائمة

1ـ محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ج1، ص: 28.
2ـ محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص: 29.
3ـ محي الدين محسب، المرجع السابق، ص: 29.

على تشكل المعنى»"[1]"، وعليه فالأساس في دراسة اللغة في التوجه الألسني العرفاني هو المعنى« متخليا عن أهم مبدأ في نظرية "تشومسكي" ألا وهو أولوية النظم على كل المكونات الأخرى»"[2]".

وعلى هذا الأساس، فإن اللسانيات العرفانية لم تكن بمنأى عما نادت به العلوم المعرفية، فهذه الأخيرة كان همها الأساس والوحيد هو دراسة في «البنية الذهنية أو المعرفية وتنظيمها بتحليل الاستراتيجيات المعرفية التي يستخدمها الإنسان في عملية التفكير، وتخزين المعلومات، وعملية الاستيعاب، وإنتاج اللغة»"[3]"، فهي تهتم بدراسة العمليات العقلية المعالجة للمعلومات وأنظمة تصور المعرفة البشرية، وفي الوقت نفسه تركز على المبادئ العامة التي تنظم القدرات الإدراكية والعقلية للبشر. ومن هنا أصبح المعنى المحور الأساسي في التصور المعرفي في اتجاهه الألسني، فهو عملية داخلية إدراكية «يكمن في تفاعل الإدراك الإنساني مع التجربة، ومع التواصل الإنساني، ومع التطور البيولوجي، ومع التطور الثقافي»"[4]"، ومنه فإن التيار العرفاني ركز على تلك المفاهيم والمعاني المدركة التي تختزن في الذهن ويمكن توظيفها واستعمالها في عدة سلوكات منها السلوك اللغوي، وقد آمن هذا التوجه بالطرح الذهني الذي جعل «الدلالة

1. عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، ص: 35.
2. راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص: 9.
3. عمر بن دحمان، المرجع السابق، ص: 38.
4. محي الدين محسب، المرجع السابق، ص: 30.

عملية ذهنية أي داخلية باطنية تقوم على القول بأن المعنى ليس في الكون أو في الأشياء أو في علاقة اللغة بالواقع بل في الأبنية الذهنية»"[1].

3ـ التركيز على مقولة الواقع الذهني التصوري ورفض مقولة الصدق الدلالي:

تعد فكرة علاقة الكلمات بوقائعها الخارجية أو مقولة الماصدق المقابل للمفهوم من الأفكار التي شغلت اهتمام جل المناهج اللسانية، إذ إن الألفاظ تعبر عن تلك المفاهيم التي ترتكز في الذهن وهذه المفاهيم والتصورات لها مصاديق تجسدها وتمثلها في الواقع"[2]، فتطور العلوم بصفة عامة واللسانيات بصفة أخص، أدى إلى تطور وظهور العديد من الآراء والنظريات التي تعالج وتتناول موضوع اللغة، ولكن الغاية من دراستها اختلفت من منهج إلى آخر، فمثلا «لو ألقينا نظرة ولو سريعة إلى ما جاء في نظرية "**ريشارد منتيكيو** ***Richard Montague***" النحوية (النحو المفهومي) للنظر في الغاية التي أرادها لنحوه للاحظنا أنه أراد أساسا ضبط العلاقات القائمة بين عبارات اللغة الطبيعية من ناحية، والذوات، والأحداث الموجودة خارج اللغة؛ أي الموجودة في العالم»"[3]، مما استدعى بالدرس اللساني إعادة النظر في الأسس التي بنيت عليها، من بينها مقولة الصدق الدلالي، ولعل هذا بفعل ذلك التطور الذي عرف في مختلف الدراسات الفيزيولوجية والعصبية والذهنية التي أفرزت لنا مقولات مستجدة في البحث الألسني وتم نقض وانتقاد العديد من المسلمات التي كانت سائدة، و من تلك المقولات أن اللغة تستمد

1. راي جاكندوف، المرجع السابق، ص: 11.
2. ينظر: حسان الباهي، اللغة والمنطق بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2015م، ص: 87.
3. عبد الجبار بن غربية، المرجع السابق، ص: 34.

كيانها ومادتها الأساسية من النسق التصوري الذهني الكامن في أذهان وعقول البشر، والمتكون أساسا من جل تجاربنا وسلوكاتنا، ومن هنا أصبح للبعد التجريبي الذهنوي دورا في « نشوء المعنى وفهمه، إضافة للقدرات البشرية التي توجه التجربة، وتتحكم في إمكاناتها»"[1]

بناء على هذا، فإن التيار الألسني العرفاني يرى بأن هناك مجموعة من القدرات العقلانية تساهم في صوغ تصوراتنا ومفاهيمنا الموجودة في الواقع، إضافة إلى وجود أسس معرفية تؤثر تأثيرا كبيرا في تنظيم مفاهيمنا وفقا للأبعاد الثقافية والاجتماعية والعلمية للأفراد، ومنه فإن نسقنا التصوري يتشكل من مجموعة المفاهيم التي لا تعكس لنا الأشياء كما هي في الواقع، بل يقوم بتخزينها وفقا لعاملين هما العمليات الذهنية العقلية المترسخة في أذهان البشر، ومن تلك المنظومة الاجتماعية والثقافية التي تدخل في تكوين شخصية الفرد، إذ هي تجعله يكتسب العديد من المفاهيم، و«دراسة اللغة هي دراسة لوظيفة اللغة، فحين نقوم بأي نشاط لغوي، فإننا نستند دون وعي منا إلى مصادر ثقافية ومعرفية، ونستدعي قوالب وأطر ونرسي روابط متعددة وننسق بين أنظمة واسعة من المعلومات، ونباشر في تخطيطات إبداعية وتحويلات وتوسيعات»"[2].

ووفقا لهذا الطرح، فإن اللغة «لا ترتبط رأسا بعالم حقيقي أو فيزيائي؛ إن بين اللغة والعالم الفيزيائي سيرورة بناء واسعة، وهذه السيرورة لا تعكس العبارات اللغوية التي تنشئها، ولا العالم الحقيقي الذي تُعتبر الأوضاع فيه أهدافا للعبارات»"[3]، ومن هنا فإننا

1. منية عبيدي، التمثيل الدلالي للجملة، ص: 56.

2-*Gilles Fauconnier, CognitiveLinguistics, Encyclopedia of Cognitive Science, p1.*

3. جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 8.

بصدد الحديث عن مجموعة من المفاهيم الذهنيّة أساسها وجود هذه الأشياء في الواقع، وصورها متعلقة بما هو معالج في العقل ومختزن في الذهن، «فمعنى جملة من الجمل ليس مشروطا بعلاقتها بالواقع الذي يحدد قيمة حقيقتها ولا بالبنية النظمية المجردة بل ببنية المفاهيم التي توظف في ذهن المتكلم أو السامع وطبيعتها»"[1].

وعليه، فإن المنهج الذي اتبعته اللسانيات العرفانية في بحثها «لا يولي أهمية تُذكر لقيمتي الصدق والكذب، ولا للواقع المادي؛ وإنّما تهتم أساسًا بالطريقة التي تُعتمد في إدراك الأحداث، والحالات، وتطورها، وصياغتها صياغة لغوية»"[2]"، فهي بهذا لا تقوم بنفي العلاقة الرابطة بين الصيغ والأبنية التصورية والواقع، ولكن هذه العلاقة لا يمكن اعتبارها أساسية، وتعتبر بذلك العلاقة بين الدلالة والواقع أمرًا ثانويًّا، ولا معنى لبحثنا عن المعنى في الواقع، بل ينبغي لنا التوجه صوب الذهن من أجل أن نكشف عن الطريقة التي بها يتم بناء المفاهيم والمعاني المتعددة للغة.

وينبغي لنا أن نشير أيضا إلى أهم المبادئ والطروحات التي قامت عليها اللسانيات العرفانية في تعاملها مع اللغة، وهي:"[3]

- اللغة ليست ملكة معرفية مكتفية بذاتها.
- النحو هو البناء التصوري.
- تنبثق المعارف اللغوية في الاستخدام اللغوي.

1. راي جاكندوف، المرجع السابق، ص: 16.
2. عبد الجبار بن غربية، المرجع السابق، ص: 101.
3. عمر بن دحمان، المرجع السابق، ص: 40.

من خلال هذه الافتراضات يمكننا القول بأن اللسانيات العرفانية تؤمن بمقولة تداخل مكونات اللغة وعدم انفصالها عن الدماغ، فملكة اللغة عندها لا يمكن أن نفصلها عن باقي الملكات والقدرات المعرفية الأخرى فهي تشكل كلا متكاملا، وهي كذلك تركز على مفهوم البنية التصورية أي على تلك السيرورات والإجراءات الذهنية التي يتم من خلالها بناء وتشكل هذه البنية، بالإضافة إلى ذلك فقد جعل التصور الألسني قضايا الدلالة والمعنى بؤرة مفاهيمها الإجرائية مركزة في ذلك على البعد التداولي الوظيفي الاستعمالي للظاهرة اللغوية، وهذا ما يجعلنا نقول بأن المقاربة العرفانية مقاربة تجريبية وليست مثالية صورية كالنحو التوليدي التشومسكي.

وعلى هذا الأساس وبناء على الطرح السابق، فإن ما يميز اللسانيات العرفانية بأنها اهتمت بمنولة البحث الدلالي، فكانت نظرتها للمعنى مخالفة لما سبقها من تيارات ألسنية، فهي ترى بأن:"[1]

- بناء المعنى يساوي التصور، وهذه العملية عملية دينامية تخدم الوحدات اللغوية بموجبها كـ "مثيرات" أو "محفزات" لنسق معين من العمليات التصورية، فالمعنى عندهم هو نفسه التصور، هذا ما يجعله غير ثابت ومتغير.
- تمثيل المعنى موسوعي: وهذا يعني أن المفردات لا تمثل حزما من المعاني، ولكنها تستخدم بوصفها " نقاط دخول" إلى مستودعات شاسعة متعلقة بتصورات محددة أو مجالات معينة.

[1] ـ إيفان زفغيان وجرين ميلاني، ما هو علم الدلالة الإدراكي، ص: 80ـ81ـ82ـ

- البنية التصورية مجسدة: أي أن العلاقة بين البنية التصورية والعالم الخارجي متصلة بالتجربة الحسية، أي أن أصحاب التصور العرفاني يحاولون استكشاف طبيعة التفاعل الإنساني وعلاقته مع العالم الخارجي ومحاولة بناء نظرية في البنية التصورية متسقة مع طرقنا لمختلف خبراتنا في العالم، بينما فكرة الإدراك المجسد فتعني أن التنظيم التصوري ينشأ من الخبرة الجسدية، وهذه الأخيرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالبنية التصورية مما يجعلها تؤدي معنى.

من خلال هذا العرض والإشارات السريعة للأسس النظرية التي قامت عليها اللسانيات العرفانية تترشح لدينا مجموعة من النقاط الجوهرية والأمور المهمة التي لا يمكننا التغافل عنها منها:

- إن اللسانيات العرفانية قد حذت منحى تجريديا متحورا حول الدماغ وبنيته الداخلية، فاستحضرت بذلك الملكات والقدرات المعرفية الذهنية للعنصر البشري الإنساني في عمليات تشكل المعلومات والتصورات وتنظيمها وتخزينها.
- أعاد التوجه الألسني العرفاني الاعتبار للمعنى بوصفه قطب الرحى وبؤرة الاهتمام وموئل البحث في الاشتغال الألسني، بالإضافة إلى التركيز على السياق والاستعمال اللغوي مقتربة بذلك من التيارات اللسانية السائدة آنذاك (الوظيفية والتداولية).
- تحمل اللسانيات العرفانية طابعا معرفيا، إذ إنها تهدف إلى التركيز على فهم تلك العلاقة الوطيدة القائمة بين اللغة والمعرفة.

- إن وظيفة اللغة في ظل التيار العرفاني لا تقتصر على التواصل بل تتعداه إلى وظائف أخرى، حيث إن وظيفتها ليست مجرد الكشف عن الواقع وتمثله بل إنها تحاول وصف كل القدرات العقلية والمعرفية للمتكلمين من استدلال وتخيل وذكاء...

الفصل الثانـي:

مجالات الاشتغال الألسني

في ظلّ التّوجّه العرفاني.

1/ اللّسانيات العرفانية والحقول المعرفية المجاورة:

تُعدّ العلوم المعرفية بمختلف تخصّصاتها العامل الرّئيسي لظهور وانبثاق اللّسانيات العرفانية، فقد ساعد كلّ علمٍ ومقولاتِه النّظرية والإجرائية في بروز هذا التّوجّه الألسني الجديد، ولعلّ من بين هذه التّخصّصات علم النّفس، والذّكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، واللّسانيات، والأنثروبولوجيا، والفلسفة، حيث عمد فيها الباحثون إلى تبنّي أساليب ومناهج مختلفةٍ بغية تطوير نظريات الذّهن ودراسته دراسةً علميةً تجريبيةً ممنهجة، ومحاولة إعطاء تفسيراتٍ متداخلة ومشتركة لكيفية عمل العقل والذّهن البشري"[1]، وبهذا أصبح التّيّار العرفاني حقلاً ألسنيا بينيًا بامتياز، شاركت عدّة علومٍ ومجالاتٍ بحثية في بروزه في الأدبيات اللّسانية الحديثة والمعاصرة، وأصبحتِ العلاقة بينها وبين هذه التّوجه اللّغوي الجديد علاقة تأثيرٍ وتأثّر، و« يختصّ كلّ علمٍ معرفيٍ بمنهجٍ معيّن يؤكد صدقيته العلمية، مثل: البحث عن التّماسك الصّوري بالنّسبة إلى المنطق، وبناء جهازٍ مادّي قابلٍ للاشتغال بالنّسبة للذّكاء الاصطناعي، والملاحظة النّسقية بالنّسبة إلى اللّسانيات، والتّجريب بالنّسبة إلى السّيكولوجيا المعرفية والعلوم العصبية»"[2]. ومن هنا، سنحاول الوقوف على ذلك التّداخل المعرفي والتّآزر الفكري بين اللّسانيات العرفانية والحقول العلمية المجاورة:

1. ينظر: عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، ص31.

2. بنعيسى زغبوش، التجريب بين علم النفس وعلوم الأعصاب: اشتراك في البراديغم، واختلاف في التقنيات، وتشابه في النتائج، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 29، المجلد الثامن، صيف 2019م، ص13.

1/1ـ اللّسانيات العرفانية وعلم النّفس:

يعدّ علم النّفس المعرفي علمًا مركزيًا أساسيًا شكّل ظهور ما يعرف بالعلوم المعرفية، ولعلّ بداياتِ ظهوره كانت «كردّة فعلٍ ضدّ النّزعة السّلوكية التي بدأ في الانعتاق من هيمنتها في فترة الخمسينيات وبخاصّةٍ في أمريكا الشّمالية»"[1]، فقد مثّلت مقولات هذا العلم والتّحوّل الذي عرفه انتقال الدّراسة من الآلية الميكانيكية إلى العقلانية الذّهنية، ومنه عرف علم النّفس قفزةً نوعيةً وتغيّرت آليات الاشتغال فيه وصار «يدرس العملياتِ التي من خلالها تدخل المعلومات الحسّية إلى الدّماغ وكيف يتمّ تنظيمها وخزنها واستعادتها واستخدامها في مجالات الحياة اليومية»"[2] فاستطاع بهذه الرّؤية المغايرة اكتساب مكانةٍ في الدّراسات السّيكولوجية النّفسية وأصبحت موضوعاته تتعلّق بالمعرفة وكلّ العمليات العقلية التي تقع في إطار النّشاطات والعمليات الذّهنية العقلية، كالإدراك واللّغة ومعالجة المعلومات والتّفكير والذّاكرة والانفعال..."[3]، وبذلك تغيّرت ملامح الدّراسات النّفسية الحديثة بفعل ظهور علم النّفس المعرفي الذي قام على مجموعةٍ من الافتراضات الأساسية نجملها فيما يأتي:"[4]

- الإقرار بوجود العمليات العقلية والتّأكيد عليها.
- مراعاة معايير الصّدق البيئي في البحث.

1. بنعيسى زغبوش، المرجع السابق، ص: 34.
2. عدنان يوسف العتوم، علم النّفس المعرفي النّظرية والتّطبيق، ص: 24.
3ـ يُنظر: علي عبد الرّحيم صالح وآخرون، ومضات في علم النّفس المعرفي، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن ط1، 2013م، ص: 18.
4. يُنظر: رافع النّصير الزّغول، عماد عبد الرّحيم الزّغول، علم النّفس المعرفي، ص: 22.

- الإنسان معالجٌ نشيطٌ للمعلومات.
- مقاييس الزّمن والدّقة.
- يمكن دراسة العمليات المعرفية بتحليل الأسس السّيكولوجية للمعرفة وباستخدام مظاهر سلوكيةٍ معيّنةٍ دون الاعتماد على تفاصيل فيزيولوجية وعصبية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ علم النّفس المعرفي قد وجّه الدّراسة السّيكولوجية وجهةً جديدة، فتوجّهت صوب دراسة كلّ ما هو عقليّ معرفيّ ذهني، باعتبار أنّ الإنسان له عقلٌ وذهنٌ يستطيع أن يعالج به المعلوماتِ ويخزّنها ويسترجعها، وذلك وفق مجموعةٍ من العمليّات المعرفية العقلانية.

وينبغي لنا هنا أن نشير إلى مكوّنات هذا العلم، هذه الأخيرة التي شكّلت محطّةً فاصلةً في انبثاقه وبروزه، ولعلّ من أهمّها، نذكر:"[1]

- **الإدراك:** ويركّز هذا المجال على عمليّات الكشف عن المثيرات الحسّية ومحاولة تفسيرها، ويبحث أيضًا في الكيفية التي يتمّ فيها تفسير الإشارات الحسّية.
- **علوم الدّماغ:** حيث يستعان بها لفهم التّفسيرات العصبية، والنّتائج التي يتوصّل إليها علماء الأعصاب بغية الوصول إلى معرفةٍ كافيةٍ وتوضيح ملاحظاتهم، فجميع العمليّات المعرفية يمكن ردّها بناءً على تلك العمليات الكهروكيميائية التي تحدث في منطقة الدّماغ.

1. يُنظر: علي عبد الرّحيم صالح وآخرون، المرجع السابق، ص: 18-19.

- **الانتباه:** ومركز اهتمام هذا المكوّن اختيار الفرد لمثيراتٍ معيّنة مع تركيز شعوره عليها، إذ يمثّل العمليّة الأساسية التي من خلالها اختيار بعض الخبرات الحسّية سواء الدّاخلية أم الخارجية، مع التّركيز عليها بهدف معالجتها معالجةً معلوماتية.
- **الذّاكرة:** ويتناول هذا المجال العمليّات العقلية التي يتمّ من خلالها اكتساب المعلومات والاحتفاظ بها ثمّ استرجاعها في الاستعمال المستقبلي.
- **تمثيل المعرفة:** ويتمّ فيها استخلاص المعلومات من الخبرات الحسّية ومحاولة ترميزها وتنظيمها وضمّها إلى ما هو مخزونٌ في الذّاكرة، فهي تساعد الفرد على التّعايش مع المواقف المتعدّدة التي تعترض حياته.
- **اللّغة:** وتتمثّل في تلك القدرة التي يمتلكها الفرد في إنتاج الحروف والأصوات والمقاطع والأسماء والأفعال وغيرها من الإشارات والرّموز اللّغوية والجسدية التي اكتسبها من بيئته وتعايشه مع الآخرين.
- **النّموّ المعرفي:** ويتعلّق هذا المفهوم بالتّغيّرات النّمائية التي تطرأ على العمليّات المعرفية، وما تتعرّض لها من تغيّراتٍ وتطوّراتٍ على جميع الأصعدة (اجتماعيًا وانفعاليًا ولغويًا) للفرد.
- **حلّ المشكلات:** وأساسه ما يقوم بتنفيذه الفرد من عملياتٍ عقليةٍ معرفيةٍ من أجل الوصول إلى غايةٍ وهدف، وهذا لن يتمّ إلاّ من خلال تجاوز بعض العقبات والصّعوباتِ للوصول إلى الحلّ.

- **التّخيّل أو التّصوّر الذّهني:** وهذا المكوّن المعرفي له علاقةٌ بمفهوم التّمثيل المعرفي، فالفرد كما هو معلومٌ يكوّن مجموعةً من الصّور الذّهنية والخرائط المعرفية لكثيرٍ من المثيرات البيئية التي تحيط به ويصادفها في حياته.

وفقًا لهذه المكوّنات الأساسية والمجالات النّظريّة والإجرائية لعلم النّفس المعرفي، يمكننا القول بأنّ هذا الأخير قد أسهم إسهامًا كبيرًا في تشكّل التّيّار الألسني العرفاني، إذ إنّه أعاد الاعتبار للمفاهيم العقلانية الذّهنية من ذكاءٍ وانتباهٍ وتذكّرٍ وتخيّلٍ وتفكير، وأصبحت هذه المجالات المعرفية محلّ دراسةٍ علمية، وأعيد النّظر إلى عمل العقل البشري، وبهذا تمّ «الجمع بين اللّسانيات والسّيكولوجيا في نظريةٍ واحدةٍ تختصّ بدراسة الذّهن، ويكون الهدف منها هو التّعريف بالأنساق المعرفية، وذلك بتحديد خصائصها انطلاقًا من دراستها دراسةً مفصّلة»"[1]"، ومن هذا المنطلق التّجديدي بدأ ذلك التّجاذب المعرفي بين العرفانيات وعلم النّفس، وانتقل الدّرس الألسني صوب الدّراسة العقلانية الذّهنية لمستويات اللّغة المختلفة، وبرز على الوجود البراديغم العرفاني في الدّراسات اللّغوية المعاصرة.

2/1ـ اللّسانيات العرفانية وعلم الأعصاب:

يعدّ علم الأعصاب من العلوم المعرفية والمجالات البحثية التي تتداخل مع عدّة حقولٍ وعلوم معرفيةٍ خاصّة علم النّفس، فهو تخصّصٌ يهتمّ بـ «وصف كيف يعمل الدّماغ لكي ينتج الأفكار تاريخيًا بواسطة بعض أجزاء الدّماغ من خلال دراسة تلك

1ـ محمّد محمّد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنّظرية اللّسانية "البنيوية والتّوليدية"، ص: 187.

الأجزاء»"[1]، ومن هنا فإنّ هذا العلم قد شكّل بؤرةً ومركزًا أساسًا ضمن العلوم البينية المعرفية، وهذا ما يجعل علوم الأعصاب لها علاقةٌ بكلّ نشاطٍ دماغيٍ يقوم به الذّهن البشري وبكلّ الأعضاء التي تفرز لنا عملاً وتفسيرًا لغويًا، «فالتّغيّرات التي تحدث في البنية العصبية المواكبة للنّمو العقلي المعرفي تقف بالضّرورة خلف التّغيّر في الوظيفة المعرفية من ناحية»"[2] أخرى، ولعلّ من بين هذه الوظائف الوظيفة اللّغوية والنّشاط الكلامي للإنسان.

بناءً على هذا، فإنّ اللّغة يمكن اعتبارها عمليةً معقّدةً تدخل في إنتاجها عدّة مكوّناتٍ مادّيةٍ بيولوجية، فـ «اللّغة مقرّها الدّماغ، حيث تتكوّن وتنمو نتيجة عددٍ من العوامل المتداخلة منها ما هو استعدادٌ فطريٌ داخلي، ومنها ما هو اكتسابٌ خارجيٌ من البيئة المحيطة بالإنسان»"[3]، فالدّماغ مركزٌ أساسيٌ في الإصدار اللّغوي إذ تتوزّع العملية اللّغوي في النّصف الأيسر منها، وترتبط بواسطة عدّة خلايا عصبية ولعلّ أهمّ هذه المراكز، نجد:"[4]

- **منطقة بروكا:** هذه المنطقة موجودةٌ في مقدّمة النّصّ الأيسر من الدّماغ.
- **منطقة فيرنيك:** وتقع بالقرب من منطقة السّمع في الفصّ الصّدعي من القشرة الدّماغية.

1. حيدر لازم الكناني، علم الأعصاب المعرفي، الحوار المتمدّن، العدد 86، 2015/04/24م، مقال إلكتروني www.ahewar.org، اطلع عليه يوم 23أوت 2021م، الساعة: 21:45.
2. فتحي الزّيات، الأسس المعرفية للتّكوين العقلي وتجهيز المعلومات، دار النّشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2 2006م، ص: 1.
3. إبراهيم العصيلي، علم اللّغة النّفسي، ص: 142.
4. فتحي الزيات، المرجع السابق، ص158-159.

من هنا يمكننا القول: إنّ معالجة الإنسان للنّشاط اللّغوي تستدعي حضور عدّة شبكاتٍ عصبيةٍ معقّدة، إذ إنّ «محاولة فهم معالجة الإنسان للمعلومات تتطلّب فهم ما يجري داخل الدّماغ بدلاً من التّركيز على محاولة فهمها كعمليّةٍ معرفيةٍ مجرّدة»"[1]، منها اللّغة بوصفها عمليةً دماغيةً مصدرها عضويٌ بيولوجيٌ فطريٌ مادّي، فـ «الوظيفة اللّغوية مرتبطةٌ بمدى الاستعداد الفيزيولوجي والعصبي والجسمي والعقلي» للإنسان، وأساسها كلّ ما له علاقةٌ بذهنه وعقله ومرتبطةٌ بأسسَ مادّيةٍ فيزيولوجية.

ردفًا على ما سبق ذكره، فإنّ العملياتِ العقلية التي تصدر عن الإنسان متعلّقةٌ بالدّماغ البشري، خاصّةً العمليات التّخاطبية التي تنتقل عبر أجهزة الإدراك المتعدّدة والتي يحتويها عقل الإنسان، فجميع حواسّه تعطينا إحساساتٍ ولغاتٍ متنوّعة، إذ بواسطتها يمكن أن نتواصل مع عالمنا الخارجي، خاصّةً ما يتعلّق بالوظيفة المهيمنة (اللّغة)، والتي تعتمد الكلام وتمثّلاتِه المختلفة "[2].

وهنا نصل إلى فكرةٍ مفادها أنّ الجهاز العصبي بكلّ مكوّناته وعناصره مسؤولٌ عن العملية اللّغوية ومعالجة المعلومة، أي «أنّ الذّهن البشري منمذجٌ على شكل جهاز لمعالجة المعلومات...والدّماغ البشري سيصبح جهازًا مادّيًا من بين أجهزةٍ أخرى

1. عدنان يوسف العتوم، المرجع السابق، ص: 49.
2. يُنظر: الجمعي بولعراس، مدخل إلى اللّسانيات النّفسية العصبية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربية: المملكة العربية السّعودية، الرّياض، ط1، 2017م، ص: 103.

كالحاسبات والحواسيب»"[1]، وبهذا يصبح الجهاز العصبي شبيهًا بجهاز الحاسوب ووظيفتهما واحدةٌ، وهي معالجة المعلومات.

من خلال ما سبق يظهر لنا أنّ علم الأعصاب له أهمّيةٌ كبيرةٌ في المعرفة البشرية، خاصّة اللّغة كـ «حدثٍ وراثيٍ كامنٍ في ذهن/ دماغ المتكلّم، وتصدر عن موروثةٍ مسؤولةٍ عن إنتاجها، تسمّى بموروثة إنتاج اللّغة»"[2]، وهذه الأخيرة وجدت في الإنسان نظرًا لوجود مجموعةٍ من القدرات الكامنة بدماغه.

وفقًا لهذا، فقد أسهم علم الأعصاب في نشوء اللّسانيات المعرفية، خاصّة مع جهود بعض الباحثين في علم الوظائف العصبية للأعضاء، منهم "**ديفيد هيوبل** ***D.Hubel***" و"**ثورستين يزل** ***T.Wiesel***" حيث توصّلا إلى وجود مجموعةٍ من الخلايا التي تستجيب للخصائص المختلفة للمثيرات، وموازاة مع ذلك بدأت بحوثٌ أخرى مع "**روجر سبيري** ***Roger Sperry***" الذي توصّل إلى اكتشاف تمايزٍ بين النّصفين الكرويين للمخّ ووظائفهما، إذ إنّ النّصف الأيسر من الدّماغ له علاقةٌ بالوظائف اللّغوية، أمّا النّصف الثّاني متخصّصٌ في الحدس والابتكار والإبداع اللّغوي، ومع منتصف الثّمانينات تطوّرت هذه البحوث وتمّ إيجاد فروضٍ ونماذجَ حول عمل هذه الوظائف، كنتيجةٍ للتّعاون بين

1. بنعيسى زغبوش، نماذج تقييس الأنظمة الاصطناعية للّغة الطّبيعية، مجلّة العلوم التّربوية والنّفسية، المجلّد 04، العدد 02، يونيو2003م، ص: 42.

2. عبد العالي العامري، اللّغة ونظرية الذّهن: مبادئ معرفية وذهنية، مجلّة اللّسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربية، العدد 06، يناير2018م، ص: 9.

علم الأعصاب والذّكاء الاصطناعي، ومن هنا بدأت تتكشّف ملامح التيّار الألسني العرفاني مع ظهور علم الأعصاب المعرفي"[1].

3/1ـ اللّسانيات العرفانية والذّكاء الاصطناعي:

يعدّ علم الذّكاء الاصطناعي من العلوم المعرفية التي لاقت رواجًا في البحوث الإنسانية المعاصرة، حيث كان له الفضل في الوصول إلى نتائجَ علميةٍ دقيقة والمساهمة في حلولٍ للقضايا المعقّدة، ونظرًا لهذه الأهمّية أصبحتِ الدّراسات المعاصرة تعوّل عليه إذ هو حقلٌ وتخصّصٌ معرفيٌ يدخل «ضمن علوم الكمبيوتر وله تأثيراتٌ هامّة على تطوّر العلم المعرفي، ويتعلّق هذا الموضوع بتصميم برامجَ حاسوبيةٍ تشبه في كيفية عملها طريقةَ العمل الإنساني، ولكي يتسنّى لنا تصميم مثل هذه البرامج لا بدّ من فهم الخصائص الأساسية للتّفكير البشري»"[2"، والغاية منه محاولة صنع آلاتٍ ذكيةٍ شبيهةٍ بالإنسان تؤدّي ما يُؤدّيه البشر من المهارات الذّهنية.

وعلى هذا الأساس فإنّ علم الذّكاء الاصطناعي يقوم «على ركيزتين هما البرمجيات الحوسبية والآلة، فالبرمجيات تمثّل الذّهن البشري، والآلة بأدواتها تمثّل الجسم البشري بأعضائه»"[3]"، فهو بذلك فرعٌ من فروع علوم الحاسوب والرّوبوت يدرس كيفية جعل الحواسيب تقوم بأشياءَ يقوم بها الإنسان الذي يتّسم بسمة الذّكاء الفطري.

1. يُنظر: محمّد طه، آفاقٌ جديدةٌ في دراسة العقل، ص: 175.174.
2. رافع النّصير الزّغول، عماد عبد الرّحيم الزّغول، المرجع السابق، ص: 22.
3. الأزهر الزّناد، نظرياتٌ لسانيةٌ عرفنية، ص: 19.

بناءً على هذا، أصبح الذّكاء الاصطناعي ركيزةً أساسيةً في جميع الدّراسات، وقد انبثقت عنه عدّة مقاربات، منها المقاربة المعرفية التي يهيمن فيها تنميط الاستدلال البشري، ومقاربةٌ إجرائيةٌ يتمّ فيها البحث عن أنظمةٍ ذي فعاليةٍ مضاهيةٍ لفعالية الإنسان"[1]، وشملت هذه النّظرية الجديدة عدّة ميادين، لعلّ من أهمّها اللّغات الطّبيعية، الرّؤية بالحاسب، علم الرّوبوتات، نظرية الحساب والبرمجة الآلية، تمثيل المعارف، النّمذجة المعرفية للإدراك"[2]، ومنه دخلت نظرية الذّكاء الاصطناعي مجال الدّراسات اللّغوية، وهذا ما دفع بالدّرس اللّساني إلى اختراق فضاءاتِ التّحليل التّقاني والذّهني والرّمزي.

وبذلك تمكّنتِ اللّسانيات بفعل هذا التّطوّر التّكنولوجي والرّقمي من انتزاع مكانةٍ عليا ضمن مباحث العلوم المعرفية «وهو ما دفع إلى انبثاق مشروعية التّرافق المعرفي بين اللّسانيات والحقول المعرفية التي أفرزتها منظومة الذّكاء الاصطناعي»"[3] وقد تمخّض عن هذا بناء مشروعٍ جديدٍ تضافرت فيه جهود اللّسانيين والحاسوبيين يقوم على تطوير أنظمةٍ حاسوبيةٍ معقّدةٍ لمعالجة مستويات اللّغة برمّتها، وتقييس ونمذجة مسارات النّظام اللّغوي البشري، كما تتمّ في الدّماغ البشري، إذ إنّ اللّغة تخزّن فيه حسب الاستعارة

1. يُنظر: ذهبية حمو الحاج، العلوم المعرفية: بحثٌ في النّشأة والمفاهيم، مجلّة أبوليوس، المجلّد 06، العدد 02، جوان 2019م، ص: 40.

2. يُنظر: محمّد علي الشّرقاوي، الذّكاء الاصطناعي والشّبكات العصبية، الكتاب الأول ضمن سلسلة علوم وتكنولوجيا حاسبات المستقبل، مركز الذّكاء الاصطناعي للحاسبات، القاهرة، مصر، 1996م، ص: 29-28.

3. نصيرة بن شيحة، الأنموذج الصّوتي العربي ومسارات التّحوّل من رحاب الذّكاء الفطري إلى فضاء الذّكاء الاصطناعي ضمن أعمال الملتقى الوطني، اللّغة العربية وبرامج الذّكاء الاصطناعي، جامعة معسكر، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربية 2020، ص: 75.

الحاسوبية للكفاية اللّغوية في شكل قوانين حسابيةٍ يعبّر عنها بخوارزميات الحوسبة"[1] بغية تقديم تفسيرٍ علميٍ دقيقٍ للقدرة الذّهنية البشرية.

تماشيًا مع هذا الطّرح العلمي، بدأت تترسّخ إمكانية التّرافق المعرفي والإجرائي بين المقولات اللّسانية والحاسوبية وحتّى العرفانية، إذ إنّ التّيّار الحاسوبي استمدّ من نظرية الذّكاء الاصطناعي تقنياتِ الحوسبة والرّقمنة التي اقترحتها، أمّا التّيّار العرفاني فقد استمدّ منها المقولاتِ الذّهنية والتّصوّرات العرفانية التي ركّزت على جوانب الدّماغ البشري وقدرات الذّهن الإنساني، «وبذلك انضافت إلى الاستراتجيات التّقليدية الخاصّة بمعالجة اللّغة استرتيجية التّقييس كاختبارٍ تجريبي تتحدّد ثوابته الإجرائية داخل الانشغال الدّقيق بقضايا الذّكاء الاصطناعي»"[2]، وقدّمت لنا الآلة صورًا جديدةً لما يحدث داخل الدّماغ البشري أثناء العملية اللّغوية.

ضمن هذا الطّرح المعرفي، فقد أسهم الذّكاء الاصطناعي في نشوء النّظرية الألسنية العرفانية، ويظهر ذلك الإسهام في تقديمه كنهًا جديدًا للمقاربة العقلانية الذّهنية في معالجة المعلومات، إذ أصبح الإنسان بموجبها لا يتعامل مع المحيط الخارجي وفقَ ثنائية (مثير، استجابة)، بل أصبحتِ «العلاقة بين الذّهن والدّماغ هي نفسها العلاقة التي تربط الحاسوب من حيث إنّه نسقٌ لمعالجة المعلومات»"[3]، ولعلّ الأهمّ من ذلك أنّ فلسفة الذّهن أسهمت إسهامًا كبيرًا في وضع أسس ومقولاتٍ وتحليلاتٍ مفاهيميةً جديدةً

---

1. حافظ إسماعيلي علوي، امحمّد الملاّخ، قضايا ابستمولوجية في اللّسانيات، ص: 92
2. مصطفى بوعناني، الصّواتة المعرفية والمسارات الذّهنية للإنجاز اللّغوي، ص: 8.
3. مصطفى حدّاد، اللّغة والفكر وفلسفة الذّهن، ص: 51.

تمخّض عنها انبثاق وتوضيح مناويل ألسنيةٍ مغايرةٍ تجسّدت في التّيّار العرفاني والنّموذج الحاسوبي، ونتج عن كلّ هذا عديد الإشكالات، من بينها «مشكلة العلاقة بين العقل والجسم، ومشكلة معنى التّفكير، وهل تفكّر الآلة أم لا؟ في ضوء الذّكاء الاصطناعي»"[1].

4/1ـ اللّسانيات العرفانية والأنثربولوجيا*:

تعدّ الأنثروبولوجيا من العلوم المعرفية البينية التي تدرس الإنسان في وسطٍ بيئيٍ على أساس أنّه كائنٌ حيٌ عضوي، وبالتّالي هي: « علم من العلوم الإنسانية يهتمّ بدراسة الإنسان من حيث قيَمه (قيم جمالية، دينية، أخلاقية، اقتصادية، وثقافية واجتماعية)، ومكتسباته الثّقافية»"[2]، فهي دراسةٌ كلّيةٌ تشمل الإنسان وعلاقته بمحيطه الدّاخلي والخارجي، بالإضافة إلى ذلك، فإنّها: « تهتمّ بالملكَات العقلية كالفكر وما يمثّله من تمثّلات، ومن ثمّ علاقة هذه التّمثّلات بالفكر والواقع...وتهتمّ بصيرورة اكتساب المعارف وكيفية تثبيتها في الذّاكرة لكي تتحوّل إلى مفاهيم ورموز»"[3].

بناءً على هذه المفاهيم المتعلّقة بالأنثروبولوجيا، يمكننا القول بأنّ هذا الحقل المعرفي تخصّصٌ بينيٌ يجمع بين عدّة اختصاصاتٍ وله علاقةٌ بالتّغيّرات الحاصلة للإنسان في مختلف ظروف حياته، هذا العلم الذي جاء «تلبيةً لمطالب الكثير من

1ـ محمّد طه، آفاقٌ جديدةٌ في دراسة العقل، ص: 174.

*ـ إنّ لفظة الأنثربولوجيا كلمةٌ انجليزيةٌ مشتقّةٌ من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين: أنثروبوس ومعناه: الإنسان ولوجوس، ومعناه: علم. (يُنظر: عيسى الشّماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا دراسة)، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، د/ط، 2004م، ص: 12.

2ـ مصطفى تيلوين، مدخلٌ عامّ في الأنثروبولوجيا، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م، ص: 20.

3ـ المرجع نفسه، ص: 25.

الفلاسفة وعلماء الاجتماع الذين أكّدوا على ضرورة إخضاع ابستمولوجية العلوم والمعرفة لمكّنة الإنسان، وتقديمها عن البحوث التي تمتاح من الميتافيزيقيا والماورائيات»"[1] لتحقيق نتائج علميةٍ يقينيةٍ بعيدةٍ عن الحدس والوصف.

وعلى هذا الأساس، فقد حدّدتِ الباحثة الأمريكية/مارغريت ميد/ طبيعةَ علم الأنثروبولوجيا وأبعاده، بقولها: «إنّنا نصنّف الخصائصَ الإنسانية للجنس البشري (البيولوجية والثّقافية) كأنساق مترابطةٍ ومتغيّرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطوّرة، كما نهتمّ أيضًا بوصف النّظم الاجتماعية والتّكنولوجية وتحليلها إضافةً إلى البحث في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتّصالاته. وبصفةٍ عامّة، نسعى ـ نحن الأنثروبولوجيين ـ لتفسير نتائج دراساتِنا والرّبط بينها في إطار نظريّات التّطوّر، أو ضمن مفهوم الوحدة النّفسية المشتركة بين البشر»"[2].

انطلاقًا من هذه المقولة نستنتج أنّ علم الأنثروبولوجيا علمٌ واسع المعارف، له أبعادٌ متعدّدة، إذ إنّه يتعلّق بكلّ خصائص الإنسان البيولوجية والثّقافية، وما يحيط به من نظُم اجتماعيةٍ ونفسيةٍ وعقلية، كلّ ذلك بغية تطبيق منهجٍ علميٍ تفسيري يضبط الرّؤية الحقيقية للنّفس البشرية.

1ـ ابراهيمي بوداود، أنثروبولوجيا اللّغة بين المرام والإجراء، مجلّة أبحاث، العدد الثّاني، ديسمبر2014م، ص78.

2--*Mead, Margaret,Chaning Styles of Anthropological Work. Annual Review of Anthropology, Palo Alto, 1973, p.280*

نقلا عن: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا دراسة)، ص: 14.

على أنّه من المهمّ هنا أن نشير إلى جملةٍ من أهداف الدّراسة الأنثروبولوجية، والتي من أهمّها:"[1]"

- محاولة وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفًا كلّيًا ودقيقا، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل ما يقوم به أفرادها من سلوكاتٍ في تعاملهم في الحياة اليومية.
- وضع تصنيفٍ لمظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسةً واقعيةً تحليلية، بغية الوصول إلى أنماط إنسانيةٍ عامّةٍ في سياق التّرتيب التّطوّري الحضاري العامّ للإنسان.
- الوقوف على التّغيّرات التي تحصل للإنسان، وعلى أسباب هذا التّغير وعملياته بدقّة علمية، وذلك بالرّجوع إلى التّراث الإنساني وربطه بالحاضر.
- استنتاج المؤشّرات والتّوقعات لاتّجاه التّغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية/ الحضارية والتّنبّؤ بمستقبل الجماعات البشرية التي تتمّ دراستها.

وإذا كان أبرز ما طرحَته الأنثروبولوجيا الاهتمام بقضايا الإنسان، فإنّه لا يمكن إنكار تأثيرها في الدّراسات اللّغوية الحديثة، خاصّة النّظرية الألسنية العرفانية، وذلك من خلال فرعٍ من فروعها، ألا وهو الأنثروبولوجيا العرفانية، هذا الفرع الذي يبحث «في العلاقة بين الثّقافة والذهن، هي بحثٌ فيما به يدرك الإنسان الأشياء والأحداث والتّجارب الجارية في محيطه، ويتمثّلها فيما به يتضمّنها ويجعل منها نظامًا ذا معنى»"[2]، فهي بذلك تبحث

1ـ يُنظر: عيسى الشّماس، المرجع السابق، ص: 15.

2ـ الازهر الزّناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 21.

في التّمثّلات التي يقيمها الإنسان في ثقافته المتعدّدة وفي أنشطته التي يقوم بها في محيطه البيئي وعلاقته بالآخرين.

وعلى أيّة حال، فإنّ هذا التّدخل المعرفي يجعلنا نقرّ بالعلاقة الرّابطة بين الثّقافة والعرفانيات، «حيث تكون الثّقافة نظامًا عرفنيًا جماعيًا له بسائر النّظم الثّقافية علاقاتُ شبهٍ وعلاقاتُ تميّزٍ واختلاف»"[1]، فالبشر يختلفون في تصنيف الأشياء المحيطة بهم، وذلك بحسب ثقافاتهم وتفكيرهم، وهذا ما يجعلنا نقرّ بأنّ الأنثروبولوجيا من أهمّ العلوم المعرفية التي أسهمت في تطوير العرفانية وحاولت إثراء مباحثها وموضوعاتها، خاصّةً ما تعلّق بالثّقافة بوصفها نظامًا عرفانيًا يختلف من إنسانٍ إلى آخر بحسب ما يعيشه من ظروف حياتيةٍ وتغيّراتٍ اجتماعية.

5/1ـ اللّسانيات العرفانية واللّسانيات:

تعرّف اللّسانيات بأنّها الدّراسة العلمية الموضوعية للّغة البشرية، وهي «العلم الذي يدرس اللّغاتِ الطّبيعية الإنسانية وفي ذاتها ولذاتها، مكتوبةً ومنطوقةً كانت أو منطوقةً فقط، مع إعطاء الأسبقية لهذه الأخيرة لأنّها مادّةٌ خامٌّ تساعد أكثر على التّحقّق من مدى فعالية أدوات البحث اللّساني المعاصر... ويهدف هذا العلم أساسًا إلى وصف وتفسير أبنية هذه اللّغات واستخراج القواعد العامّة المشتركة بينها والقواعد الخاصّة التي تضبط العلاقاتِ بين العناصر المؤلّفة لكلّ لغةٍ على حدة»"[2].

1ـ المرجع نفسه، ص: 21.

2ـ عبد العزيز خليلي، اللّسانيات العامّة واللّسانيات العربية (تعاريف، أصوات)، منشورات دراسات، سال، المغرب، ط1 1991، ص: 11.

وبطبيعة الحال، فإنّ الموضوع الأساسي للّسانيات هو اللّغة كما حدّده اللّسانيون لكنّ منبع الاختلاف بينهم يكمن في الأهداف والمناهج، حيث إنّ كلّ تيّارٍ ألسنيٍ كانت له منطلقاتٌ محدّدةٌ ومنهجٌ معيّن (تاريخي، وصفي، تفسيري...)، ومن هنا نشأت وظهرت في الوجود عدّة فروعٍ ألسنية، منها: اللّسانيات العامّة واللّسانيات الوصفية، اللّسانيات التّاريخية، اللّسانيات النّظرية واللّسانيات التّطبيقية"[1].

ومما ينبغي لنا أن نشير إليه أيضًا فيما يخصّ الدّرس اللّساني الحديث، أنّ كلّ حدثٍ في تاريخ اللّسانيات أدّى إلى انبثاق أنموذجٍ ألسنيٍ جديد، كما أنّ الدّراسات اللّسانية الحديثة قد عرفت عدّة انعطافاتٍ منهجية، وتحوّلات إجرائية خاصّة مع ظهور التّيّار التّوليدي، هذا التّيّار الذي أسهم إسهامًا كبيرًا في نشوء العرفنيات في الدّراسات اللّغوية المعاصرة.

وبالتّساند إلى ما سبق، يمكننا القول بأنّ بدئية تأثير اللّسانيات في العرفانية عندما قام تشومسكي بدحض ونقض التّفسير السّلوكي للّغة (مثير، استجابة)، مؤكّدًا على فطرية اللّغة وبأنّها عبارةٌ عن نسقٍ معرفيٍ ذي أساسٍ بيولوجي، وأنّ فهم واكتساب اللّغة ناتجٌ عن اتّباع قوانين وخصائص هذا النّسق، وقد أدّت جهود تشومسكي من خلال تعاونه مع بعض علماء النّفس المعرفي إلى تأسيس علم اللّغة النّفسي الذي عُني بدراسة الأساس السّيكولوجي لوظائف اللّغة "[2].

1. للاستزادة يُنظر: محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، ص: 13-14-15.
2. يُنظر: محمّد طه، آفاقٌ جديدةٌ في دراسة العقل، ص: 173.

ولعلّ الإسهام الثّاني يظهر في نشوء اللّسانيات الحاسوبية، النّاتج «عن تعاونٍ بين اللّغويّين والمختصّين في مجال الذّكاء الاصطناعي...وهو يعمل على محورين رئيسيين، أحدهما نظريٌّ والآخر تطبيقي: فهو من النّاحية النّظرية يحاول الوصول إلى نماذج محاكاةِ فهم اللّغة وإنتاجها، وذلك بغرض فهم كيفية عمل العقل البشري عند تعامله مع اللّغة. أمّا من النّاحية التّطبيقية فهو يطبّق فنّيات الكمبيوتر في تسهيل التّعامل مع اللّغة» "1".

وعليه، فإنّ ملامح نشوء اللّسانيات العرفانية استندت إلى مرجعياتٍ ألسنيةٍ بالأساس، المرجعية الأولى تجلّت في الانطلاق من أسس ومباءئ التّيّار التّوليدي التّحويلي والتّحوّل الذي شهده الدّرس اللّساني في منتصف القرن العشرين، هذا التّحوّل الذي طال النّظرية اللّسانية السّلوكية والتّعامل الآلي الميكانيكي مع اللّغة البشرية، أمّا المرجعية الثّانية فقد تمخّضت عن نشوء العلاقة بين اللّسانيات والحاسوبيات، والتي بموجبها تمّ التّعرّف على آلية الاشتغال التي يؤدّيها الذّهن البشري.

6/1اللّسانيات العرفانية والفلسفة:

1ـ المرجع نفسه، ص: 173.

كانتِ الفلسفة ولا تزال مصدرًا أساسيًا لجميع العلوم، وهي في الأصل علمٌ تأملي و «موضوعٌ لا تتناوله إلاّ عقولٌ خاصّة»"[1]، وهذا يعني أنّها علمٌ خاصٌّ أساسه التّفكير العلمي والمنطقي والاستدلال، ولعلّ الفلسفة علمٌ يحاول الإجابة عن مجموعةٍ من التّساؤلات، منها:

- ما هذا الشّيء الذي يبحث فيه العقل البشري؟
- ما أصله، وما مصدره؟
- ما علاقته بغيره من المعاني والقضايا؟ "[2]

وإذا كان أبرز ما طرحته الفلسفة القضايا العقلية، فإنّها مسّت جميع العلوم والقضايا حتّى الغيبية الميتافزيقية، وهذا ما جعلها تُنعت بـ «أنّها وسطٌ بين اللاّهوت والعلم، فهي تشبه اللاّهوت في كونها مؤلّفة من تأمّلاتٍ في موضوعاتٍ لم تبلغ فيها بعد علم اليقين، لكنّها كذلك تشبه العلم في أنّها تخاطب العقل البشري أكثر ممّا تستند إلى الإرغام»"[3]، فأيّ علمٍ يستند في دراسته على أسس فلسفيةٍ عقليةٍ في الأغلب ستكون نتائجه يقينية.

وفي هذا السّياق، ينبغي أن نشير إلى العلاقة الجامعة بين الفلسفة واللّغة، حيث «اتّجهتِ الفلسفة في القرن العشرين نحو اللّغة، بل أصبحت فلسفة لغوية»"[4] خاصّة في الدّراسات الألسنية التي قدّمها تشومسكي لأنّها «بيّنت أهمّية بعض المسائل التي سبق

1ـ أ. س. رابوبرت، مبادئ الفلسفة، ترجمة أحمد أمين، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012م، ص: 15.

2ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 15.

3ـ حسين علي، ما هي الفلسفة؟، دار التّنوير للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص: 39.

4ـ الزّواوي بغورة، الفلسفة واللّغة، نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان ط1، 2005م، ص: 5.

للفلاسفة أن طرحوها، وخاصّةً مشكلة الاصطلاح في اللّغة وعلاقة اللّغة والفكر»"[1]، وغيرها من القضايا والمشكلاتِ الفلسفية التي سبق إليها أمثال: **أرسطو وديكارت.**

ولا شكّ أنّ الدّراسات الألسنية الحديثة لم تكن بمنأًى عن هذا البعد التّأثيري للفلسفة، إذ عمدت إلى استحضار فلسفة العقل التي مثّلت «عند عددٍ كبيرٍ من الفلاسفة، الفلسفة الأولى. والمشكلات المتّعلّقة باللّغة، والمعرفة، والأخلاق، والمجتمع والإرادة الحرّة، والعقلية، وعددٍ كبيرٍ من الموضوعات الأخرى يتمّ تناولها على نحوٍ أفضل عن طريق فهم الظّواهر العقلية»"[2]، وبالتّالي لا يمكن أن نفصل بين الدّرس اللّساني الحديث والمعاصر، وبين الدّراسات الفلسفية والمعرفية الأخرى.

ولعلّ تجلّي إسهام الفلسفة في الدّرس اللّساني العرفاني يكمن في ذلك الصّراع القديم في الفلسفة الغربية، هذا الصّراع الذي برز في ظهور اتّجاهين رئيسيين عالجا مشكلة المعرفة، هما:"[3]

- **الاتّجاه الإمبريقي:** ويمثّله فلاسفة الجزر البريطانية، مثل: لوك وهيوم ومل حيث يرى أصحاب هذا الاتّجاه أنّ العقل صفحةٌ بيضاء تتأثّر بالمحيط الخارجي، وتتكوّن المعرفة من خلال الارتباط بين هذه المثيرات.

1. المرجع نفسه، ص: 7.
2. جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2006م، ص: 8.
3. ينظر: محمد طه، آفاق جديدة في دراسة العقل، ص: 173-174.

- **الاتّجاه العقلاني:** ويمثّله فلاسفة القارة الأوروبية (ديكارت وكانط)، إذ يرى هؤلاء أنّ هناك مقولاتٍ عقليةً فطريةً في العقل الإنساني مسؤولةٌ عن المعرفة.

وفي ضوءِ هذا يظهر لنا أنّ ظهور اللّسانياتِ العرفانية قد ارتبط نتيجة التّأثّر بالمذهب العقلاني الذي يرى بأنّ الحصول على المعرفة يكون «بالتّعويل على موارد المنطق والعقل، وهذا النّوع من التّفكير لا يعتمد على معطياتِ الخبرة، بل ينطلق من الحقائق الأساسية التي يطلب أن تكون موجودةٌ وليست نابعةً من الخبرة»"[1].

2/مجالات اللّسانيات العصبية في ظلّ التّوجّه العرفاني:

1/2ـ اللّغة والدّماغ:

تعدّ اللّغة من العمليات المعقّدة التي تشترك في صنعها وإنتاجها عدّة عوامل، هذه العوامل التي تختلف بين مادّيةٍ مرئية، ومعنويةٍ مجرّدةٍ غير مرئية، فخلف اللّغة عملياتٌ نفسيةٌ وفيزيولوجيةٌ وعصبية "[2]، وهي بذلك حدثٌ فريدٌ من نوعه يختصّ به بنو البشر،

1ـ جوليان باجيني، الفلسفة موضوعات مفتاحية، المعرفة ـ الأخلاق ـ العقل ـ الدّين ـ السّياسة، ترجمة أديب يوسف شيش دار التّكوين للتّأليف والتّرجمة والنّشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، ص: 30.

2ـ يُنظر: عطية سليمان أحمد، في اللّسانيات العصبية، المعالجة العصبية للّغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة مصر، ط1، 2022م، ص: 6.

ولعلّ ما يبرز لنا أنّها من أعقد العمليات تلك البُنى العصبية المادّية التي تتحكّم في إصدارها خاصّة الدّماغ الذي «يهيمن على الفعاليات الحياتية كافّة، إذ يعمل على تنظيم الفعاليات الحسّية والحركية ويحافظ على التّوازن الحركي»"[1].

بناءً على هذا الطّرح المعرفي، فإنّ الجهاز العصبيّ للإنسان هو المسؤول على الكثير من العمليات، حيث «يسمح للكائن الحيّ بالقيام بوظائفه على النّحو الأمثل، بما يحقّق اتّصالاً وتفاعلاً متكاملين مع البيئة الدّاخلية والخارجية عن طريق التّعامل مع المثيرات الدّاخلية والخارجية، من حيث استقبالها وإدراكها وفهمها وتقييمها، ثمّ تحديد طبيعة السّلوك لتحقيق الاستجابة المناسبة التي يحقّق من خلالها الكائن عملياتِ الضّبط والسّيطرة والتّكيّف»"[2]. ولعلّ أهمّ هذه العمليات اللّغة التي تعتبر «النومن* المركزي الأكثر غموضًا في الدّماغ، بل هو النومن الأمّ، إن جاز التّعبير، الذي تتفرّع عنه كلّ (النومينات) والجواهر والأعراض الأخرى، والتي يتمكّن من خلالها بنو الإنسان من فهم شيء من غوامض هذا الكون»"[3].

ومن ثمّ، فإنّ الدّماغ هو أساس الفعل اللّغوي والكلامي لدى البشر، ووظيفة اللّغة تعود في الأساس «إلى اتّصال شريطٍ من الألياف العصبية بالنّوى العصبية تحت القشرة

1 ـ محمد جاسم عيسى، قدرات الدماغ البشري الفائقة، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2014م، ص: 15.

2ـ أنس شكشك، الهندسة النّفسية، إدارة الجسد وتشكيل الشّخصية، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1 2012م، ص: 28ـ29.

*المقصود بالنومن هنا الظّاهرة الفريدة من نوعها.

3ـ عبد الرّحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النّظرية اللّسانية العرفانية دراسات إبستمولوجية، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2019م، ص: 173.

الدّماغية التي توجد في الجزء القاعدي للمخّ»"[1]، وبالتّالي أصبح أساس اللّغة بيولوجيٌ مادّي داخلي يمكن دراستها «دراسةً تشريحيةً تشبه الدّراسة التّشريحية الأخرى للجسم البشري»"[2]، فهي مثلها مثل أيّ جهازٍ إلكترونيٍ يمكن تفكيكه أو عضو من أعضاء الجسم الذي يمكن تشريحه.

ولا شكّ أنّ علاقة اللّغة بالدّماغ البشري قد نالت دراسةً واسعةً من قِبل الباحثين عبر التّاريخ، إذ «يعود تاريخ دراسة كيفية تنظيم اللّغة في الدّماغ إلى خمسة آلاف سنة خلت»"[3]، وفي هذا الإطار بدأت تتشكّل بوادر علمٍ جديدٍ سمّي باللّسانيات العصبية (علم اللّغة العصبي)، الذي «يتعامل مع ترميز المقدرة اللّغوية في الدّماغ...فمهمّة هذا العلم بيان كيفية امتلاكنا اللّغة داخل أدمغتنا، إنّنا نتكلّم بفضل ما في أدمغتنا من قدراتٍ فطرية يحاول هذا العلم الكشف عنها وتفسيرها»"[4].

ومن الواضح هنا، أنّ اللّسانيات العصبية تعدّ علمًا من العلوم اللّغوية الحديثة التي حاولت أن تربط بين اللّغة كأساسٍ معنوي، والدّماغ كأساسٍ مادّيٍ فيزيولوجي «وهي تشكّل التّوجّه الحديث للتّساؤل البشري الدّائم حول طبيعة العلاقات التي تجمع الجسد والرّوح، وبخاصّةٍ العلاقات التي تربط الدّماغ باللّغة لدى الإنسان العاقل»"[5] ومنه تحوّلت

1ـ الجمعي بولعراس، مدخل إلى اللّسانيات النّفسية العصبية، ص: 115.

2ـ عبد الفتاح بنقدور، اللّغة: دراسة تشريحية ـ إكلينيكية، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر، ط1، 2012م، ص: 242.

3ـ محمّد إسماعيل بن شهداء، إنتاج اللّغة في الدّماغ (دراسة في علم اللّغة العصبي)، مجلّة لسان الضادّ العدد 02، رقم 01، أفريل 2015م، ص: 83

4ـ عطية سليمان أحمد، اللّغة في الدّماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2019م ص: 143.144.

5ـ المرجع نفسه، ص: 143.

دراسة اللّغة إلى العلوم العصبية الطّبية، وانتقلت «من منهج الفلسفة القائم على التّأمّل، ومنهج علم النّفس القائم على ملاحظة السّلوك، تحوّلٌ يلج بنا في عالمٍ جديد، لكنّه لم يتحرّر من علم النّفس، بل يدخل بعمقٍ في دراسة اللّغة من خلال علم النّفس وعلوم أخرى، كعلم الأعصاب وعلم التّشريح، ليسأل: ما اللّغة؟ وكيف تكون في المخّ؟»"[1]، وكيف تعالج في الدّماغ البشري؟ وما هي المراكز المسؤولة عن العملية اللّغوية وإنتاج الكلام؟

وعبر ما سلف تدفعنا هذه الإشكاليات المطروحة إلى تقصّي تلك المساراتِ التي تقطعها اللّغة للوصول إلى الدّماغ البشري ومعرفة المراكز المسؤولة عن الإنتاج اللّغوي وإصدار الكلام، حيث إنّ اللّغة تدخل إلى الدّماغ في شكل معلوماتٍ يتمّ معالجتها ويكون ذلك من خلال «القدرة على بناء تصوّراتٍ ذهنية داخل الدّماغ في الفضاء الذّهني للفرد تمكّنه من إنتاج اللّغة وإدراكها»"[2]، فآلة اللّغة الآن الدّماغ، وهو المسؤول الأوّل في تكوينها، وهذه العملية «تقوم على أساسٍ تصوّريٍ يحدث داخل الدّماغ من بناء تصوّراتٍ تقريبية للألفاظ والمعاني في ذلك الفضاء تجعل الفرد يستطيع تكوين الجمل التي يتواصل بها»"[3].

من هنا يظهر لنا بأنّ آلية عمل الدّماغ البشري في معالجة اللّغة آليةٌ معقّدة تتدخّل عدّة آلياتٍ عصبية في تكوينها، فـ «دراسة بناء الجهاز العصبي الذي ينتج اللّغة

1ـ المرجع نفسه، ص: 142.

2ـ عطية سليمان أحمد، اللّغة في الدّماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، ص: 157.

3ـ المرجع نفسه، ص: 158.

له قيمةٌ كبرى في فهمنا للعمليات البيولوجية التي تحدث أثناء إنتاج اللّغة، فاللّغة نظامٌ تحتي، أي يتمّ بناؤه وتكوينه داخل الدّماغ»"[1]"البشري، ومنه فاللّغة من هذا المنظور عمليةٌ عصبيةٌ بيولوجية إدراكيةٌ معقّدة، و«القدرة اللّغوية قدرةٌ عصبية، مع النّظر إلى أنّ النّشاط العصبيّ نفسه ذو أنطولوجيا فيزيائية، ممّا يعني أنّ النّشاط الفيزيائي للمخّ يستدعي القدرة اللّغوية»"[2]"، فالله سبحانه وتعالى قد وهبنا مجموعةً من القدرات الكامنة في أدمغتنا لتساعدنا على الإنتاج اللّغوي، ومن جملة هذه القدرات، نجد:"[3]"

أ ـ القدرة الكلامية: تظهر من خلال القدرة على الإدراك والتّعبير عن المعاني الموجودة في الذّهن، وما يحسّ من انفعالاتٍ حسّية أو معنوية، ويتمّ ذلك عن طريق التّرميز الصّوتي، فالبداية تكون بقدرةٍ ترميزيةٍ صوتيةٍ وتحويل الصّوت المنطوق إلى قيمةٍ دلاليةٍ يحقّق بفضلها التّواصل مع الغير.

ب ـ القدرة المعرفية: هذه القدرة تمكّن الإنسان من التّفكير الواعي، وتجعله مختلفًا عن كلّ الكائنات الأخرى، وهي بمثابة رغبةٍ كامنةٍ في أمخاخنا بغية التّعلّم وتصبح بعد ذلك وسيلتنا لجمع المعرفة وترسيخها في الدّماغ.

ج ـ القدرة على التّفكير الرّمزي والتّرميز الصّوتي: هذه القدرة تمكّن الإنسان من تحويل الأفكار إلى رموز نفكر بها ونحقّق بها التّواصل مع الأشياء في غيابها.

1ـ المرجع نفسه، ص: 183.

2ـ عبد الرّحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النّظرية اللّسانية العرفانية دراسات إبستمولوجية، ص: 67.

3ـ عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 91ـ92.

وممّا ينبغي الإشارة إليه في هذا السّياق مكوّنات الجهاز العصبي، هذا الجهاز الذي «يسمح للكائن الحيّ بالقيام بوظائفه على النّحو الأمثل، بما يحقّق اتّصالاً وتفاعلاً متكاملين مع البنية الدّاخلية والخارجية عن طريق التّعامل مع المثيرات الدّاخلية والخارجية، من حيث استقبالها وإدراكها وفهمها وتقييمها، ثمّ تحديد طبيعة السّلوك لتحقيق الاستجابة المناسبة التي يحقّق من خلالها الكائن عملياتِ الضّبط والسّيطرة والتّكيّف»"[1]، وينقسم هذا الجهاز في الأساس إلى قسمين رئيسين، هما:"[2]

- الجهاز العصبيّ المركزي: ويتكوّن من الدّماغ والحبل الشّوكي.
- الجهاز العصبيّ الخارجي: ويتألّف من ألياف عصبيةٍ محيطية، وألياف عصبية حركية، وهو بذلك يقسّم إلى جزأين (الجهاز العصبي الجسدي، الجهاز العصبي الذّاتي).

إنّ الجهاز العصبيّ المركزي هو الأساس في إصدار الأوامر، و«يتمّ بواسطته إجراء التّفاعلاتِ إزاء الإحساسات النّاتجة من الإثارة، كذلك يتمّ إجراء الظّواهر الغريبة الرّائعة للفكر، والإرادة، والشّعور، إلى جانب عملية الكلام، والغناء... ويستقبل المعلوماتِ ويعالجها ويرسلها، ويقوم بمعالجة الوظائف الأساسية في جسم الإنسان، مثل: التّعلّم، والقراءة، والكتابة»"[3].

1ـ أنس شكشك، الهندسة النّفسية، إدارة الجسد وتشكيل الشّخصية، ص: 29.
2ـ يُنظر: أيمن الشّربيني، علم الأنسجة، دار طيبة للنّشر والتّوزيع والتّجهيزات العلمية، (د/ط)، 2011م، ص: 79ـ80.
3ـ عطية سليمان أحمد، اللّغة في الدّماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، ص: 177.

انطلاقًا ممّا سبق، يمكننا القول بأنّ الجهاز العصبيّ يعدّ من أعقد الأجهزة التي يحتويها جسم الإنسان فهو «يسيطر سيطرةً تامّةً على جميع العمليات الحيوية (الإرادية)، التي نقوم بها بمحض إرادتنا، وكذلك العمليات الحيوية (غير الإرادية أو اللاّإرادية، التي لا قدرة لنا على تسييرها»"[1]، ولعلّ من بين عملياته الأساسية اللّغة إذ هي أساس الفكر لدى الإنسان، وبها يستطيع التّواصل مع البشر، كما أنّ «بناءنا العصبيّ هو المسؤول عن مقولتنا للأشياء موضع تجربتنا، ومن ضمنها اللّغة وعناصرها»"[2] ولعلّ من بين مكوّنات هذا الجهاز الرّئيسية الدّماغ، حيث إنّه «الآلة التي تقوم بإنتاج اللّغة، واللّغة هي المنتج النّهائي لعمل الدّماغ»"[3].

بناءً على هذا الطّرح العلمي، وتساوقًا مع ما ذكرنا آنفًا ينبغي لنا أن نقف وقفةً تحصيليةً حول المناطق الرّئيسية المسؤولة عن معالجة اللّغة في الدّماغ الإنساني.

2/2-مناطق ومراكز معالجة اللّغة في الدّماغ البشري:

يعدّ الدّماغ العضو الأساسي في الجهاز العصبي، وهو «كتلةٌ رخوةٌ رمادية اللّون من الخارج، بيضاء من الدّاخل يقرب وزنها في الإنسان العادي من ثلاثة باونداتٍ محمية داخل الجمجمة بعدّة طبقاتٍ متتاليةٍ عظمية صلبةٍ وليفية ثمّ ليّنة هلامية... تتكوّن من نوعٍ خاصٍ من الخلايا تسمّى الواحدة منها نيورونا أو الخلية العصبية يتراوح مجموعها

1ـ وفاء البيه، أطلس أصوات اللّغة العربية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط1، 1994م، ص: 1197.

2ـ عبد الرّحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص: 68.

3ـ عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 163.

بين عشرة واثنتي عشرة بليون خلية، تخطّط وتتحكّم في الحياة الإنسانية»"[1]، ويتكوّن من (المخّ، وجذع الدّماغ والمخيخ)، ويتألّف المخّ البشري من كتلتين دائريتين متماثلتين في الحجم، هما:"[2]"

- نصف المخّ الأيسر
- نصف المخّ الأيمن.

ويحتوي كلٍّ من نصفي المخّ من أربعة فصوص، إذ كلّ فصٍّ منها يؤدّي وظائف خاصّة، وهي:"[3]"

- **الفصّ الجبهي الأمامي:** ويقع في مقدّمة القشرة المخّية، ويشغل حوالي ثلث سطح نصف الكرة المخّية، ويشتمل على منطقة بروكا المسؤولة عن اللّغة.
- **الفصّ الجداري:** ويقع في جانب القشرة المخّية، ويشتمل على التّلفيف الزّاوي أحد مناطق اللّغة.
- **الفصّ الصّدغي:** ويمتدّ من مقدّمة القشرة المخّية إلى مؤخّرتها، وهو مسؤولٌ عن السّمع، ويشتمل على منطقة فيرنيك التي تمثّل منطقةً من مناطق اللّغة المهمّة.
- **الفصّ القذالى:** ويقع في مؤخّرة القشرة المخّية، ويشتمل على القشرة المخّية البصرية المسؤولة عن معالجة المعلومات البصرية.

1ـ محمّد زياد حمدان، الدّماغ والإدراك والذّكاء والتّعلّم، دراسة فيسيولوجية لماهيتها ووظائفها وعلاقاتها، دار التّربية الحديثة عمّان، الأردن، ط1، 1986م، ص: 7.

2. ينظر: رسل لوف ووانداويب، علم الأعصاب للمختصين، ترجمة محمد زياد يحي كبة، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 2010، ص: 31

3 ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 31ـ37.

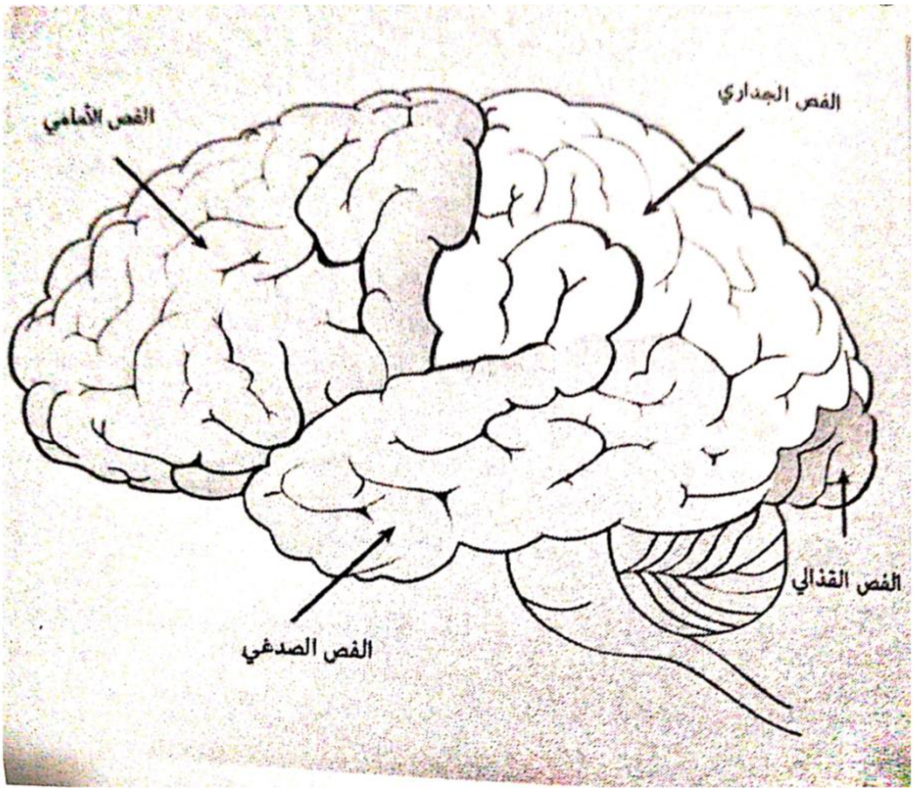

رسم تخطيطي للفصوص الأربعة للدّماغ

. ولعلّ من بين وظائفه المعالجة اللّغوية، «فاللّغة لا تعالجها طاقةٌ عامّة للتّعلّم، بل منظومات فرعية إدراكية غير متجانسة من حيث وظائفها، وليس من بينها ما يعدّ ـ وفق تصميمه ـ معالجا مركزيا عصبيًا للّغة، وهذه العملية تحدث دومًا في الدّماغ محكومة بطاقات المحرّكات العصبية الأيضية والدّيناميكية، ومعالجتها للمثيرات عبر المسارين: السّمعي والبصري، ومنضبطة بالبرنامج الجيني الدّماغي الذي يتطوّر ذاتيًا»"[1].

1ـ عبد الرّحمن طعمة، البناء الذّهني للمفاهيم، بحثٌ في تكامل علوم اللّسان وآليات العرفان، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2019م، ص: 85.

إثر هذا النّزوع العلمي العصبي، فإنّ العملية التّخاطبية اللّغوية عمليةٌ معقّدةٌ تتحكّم فيها مجموعةٌ من الأجهزة، وتنتقل عبر مساراتٍ ومراحل، هذه الأجهزة هي:"[1]"

- **أجهزة الاستقبال:** وتقتصر على دراسة جهزي الإدراك المتمثّلين في الأذن والعين، فالأذن تقوم بالاستماع واستقبال كلّ الرّسائل الشّفوية، أمّا العين فتقوم بالرّؤية والقراءة.
- **أجهزة تنفيذ الأوامر المخّية الدّماغية المجسّدة للّغة والكلام:** وتقتصر على الجهاز الصّواتي والنّطقي المتدخّلين في عملية إصدار الكلام وجهاز الكتابة المتمثّل في اليد.
- **جهاز الإدراك والتّنفيذ**، ويتمثّل في الدّماغ.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الدّماغ هو الآلية الأساسية في العملية التّخاطبية لأنّ بها يتمّ إدراك وتنفيذ ما يصدر عن الإنسان من كلامٍ وقدراتٍ ذهنية، وهو «يعمل بصورةٍ متكاملةٍ متعاونةٍ بكلّ مراكزه في معالجة اللّغة»"[2]"، كما أنّه يحاول أن «يصنع مسارًا عصبيًا من خلال بروتيناتٍ معيّنة ونبضاتٍ كهربائية معيّنة، ثمّ يحفظ هذا المسار جيّدا، وعندما يتعرّض للموقف نفسه أو للخبرة ذاتها مجدّدًا يستدعي الدّماغ المسار المحفوظ، ويقارن ويصبح الأمر سهلاً بعد ذلك»"[3]"، ولعلّ أهمّ مناطق اللّغة موجودةٌ في النّصف

1ـ يُنظر: الجمعي بولعراس، مدخل إلى اللّسانيات النّفسية العصبية، ص: 103.

2ـ عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 180.

3ـ عبد الرّحمن محمّد طعمة محمّد، بيولوجيا اللّسانيات: مدخل للأسس البيو ـجينية ـ للتّواصل اللّساني من منظور اللّسانيات العصبية، مجلّة الممارسات اللّغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 37، سبتمبر2016م ص:40.

الأيسر من المخّ، وهناك داخل المخّ مراكز أخرى تختصّ بمعالجة اللّغة وصل عددها حوالي سبعمائة منطقةٍ تقع في النّصف الأيسر فقط"[1].

وعليه، فإنّ النّصف الأيسر من الدّماغ هو الذي يسيطر على المقدرة اللّغوية و «نحوًا من تسعين في المئة من البشر، يولدون وأنصاف أمخاخهم اليسرى مبرمجةٌ لاستقبال اللّغة»"[2]، وهناك من الباحثين من أكدّ على أنّ هذه القدرة لا تتواجد «في مركزٍ واحدٍ بعينه داخل هذا النصف الأيسر، بل يبدو أنّ هناك عددًا من المراكز لكلٍّ منها وظيفته التّخصّصية التي تسيطر على أحد تجلّيات هذه القدرة من تحدّثٍ أو فهمٍ أو غيرهما»"[3]، وهذه المناطق هي:

- «**منطقة بروكا** باسم الجرّاح الفرنسي **(بول بروكاPaul Broca)** الذي أعلن عن اكتشافها سنة: 1861م، وهي تقع في الفصّ الأمامي من القشرة المخّية لنصف المخّ الأيسر وهذه المنطقة تؤدّي دورًا حاسمًا في إنتاج الكلمات والجمل، فهي المسؤولة عن استعمال المورفيمات التّصريفية والمورفيمات الوظيفية»"[4].
- **منطقة فيرنيك:** التي أعلن عن اكتشافها **(كارل فيرنيك *Carl Wernicke*)** سنة: 1872م، وهي تقع في الفصّ الصّدغي من نصف المخّ الأيسر، بالقرب من

1ـ يُنظر: عطية سليمان أحمد، في اللّسانيات العصبية، المعالجة العصبية للّغة، ص: 135.

2ـ جين إتشسن، اللّسانيات، مقدّمة إلى المقدّمات، ص: 288.

3ـ عبد الكريم محمّد جبل، بحث اللّغة والمخّ، دراسة في علم اللّغة العصبي، ص: 69.

4ـ عبد الكريم محمّد جبل، المرجع السابق، ص: 69ـ70.

القشرة المخّية السّمعية الأساسية...وهذه المنطقة لها دورٌ أساسيٌ في فهم الكلام، وكذا في اختيار الوحدات المعجمية المناسبة لإنتاج الجمل."[1].

وعلى هذا الأساس، فإن منطقتي بروكا وفيرنيك يعتبران مركزان أساسيان للعملية اللغوية، فالأولى دورها الإنتاج اللغوي، والثانية دورها الفهم والإدراك، وأي خلل أو إصابة في هاتين المنطقتين سيؤدي في الأغلب إلى اضطرابات في إنتاج وإدراك اللغة"[2].

1ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 70.

3ـ ينظر: كمال الدين عطاء الله، تعلم اللغات في ضوء التكنولوجيا واللسانيات العرفانية، مجلة التعليمية، المجلد 11، عدد 1، ماي 2021، ص317.

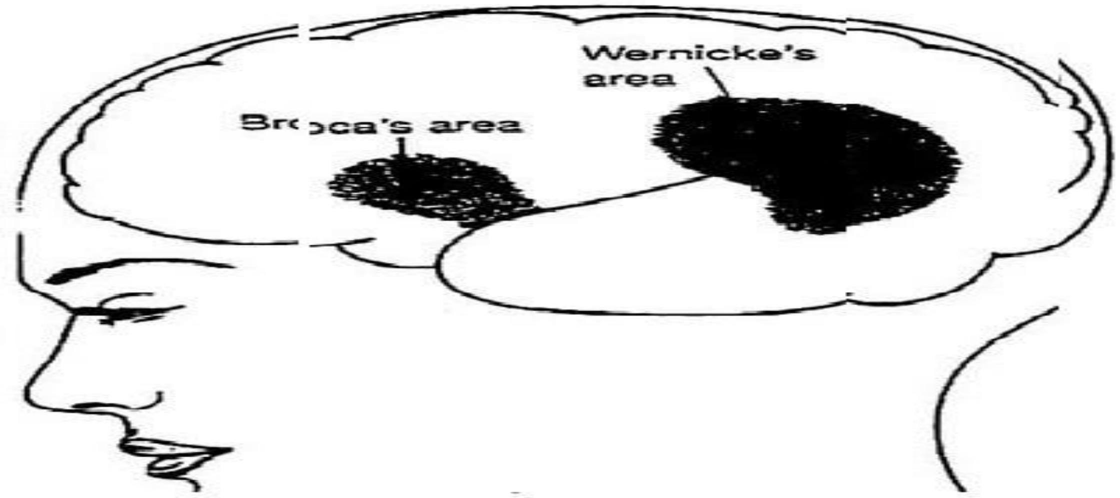

لكن رغم هذا الطّرح العلمي المعرفي، إلاّ أنّ بعض الطّروحات بيّنت بأنّ «المخّ بأكمله يسهم في صنع القدرات اللّغوية الشّاملة»"[1]، كما أنّ علماء اللّسانياتِ العصبية قد بيّنوا بأنّ مراكز اللّغة تتفاوت وتتباين من شخصٍ إلى آخر، وليس هناك منطقةٌ محدّدةٌ للاستعداد اللّغوي، بل تسهم كلّ بُنى الدّماغ في الوظيفة اللّغوية ليس وفقًا لتسلسلٍ هرمي،

1ـ عطية سليمان أحمد، اللّغة في الدّماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، ص: 163.

بل بطريقةٍ تشبه عزف الآلات الموسيقية المختلفة ليسمفونية في الأوركسترا"[1]، وذهب آخرون بأنّه لا يمكن حصر المناطق المعنية بالتّرابطات المتمركزة داخل الدّماغ بمناطق معيّنةٍ ومحدّدة"[2].

وهنا نصل إلى نقطةٍ مفادها أنّ مراكز معالجة اللّغة في الدّماغ البشري متعدّدة، فـ «الرّموز اللّسانية المفردة لا وجود لها في مكانٍ محدّدٍ في أيّ مكان، أو أنّ تكوينات المخّ الضّرورية لتحليلها موزّعة، فيما يبدو على طول وعبر مناطق كثيرة»[3] والعلم مازال في تطوّر مستمرّ، إذ بدأت تظهر دراساتٌ ونظرياتٌ ومقارباتٌ تنفي ما سبقها، وهذا كلّه بسبب ما يشهده العالم اليوم من تطوّرٍ تكنولوجي، «فقد شرعتِ التّقنيات الحديثة الخاصّة بتصوير المخّ، تستكمل معلوماتِنا بشأن مواقع مراكز اللّغة داخل المخّ»"[4].

1ـ يُنظر: سوزان غرينفيلد، تغيّر العقل، كيف تترك التّقنيات الرّقمية بصماتها على أدمغتنا، ترجمة إيهاب عبد الرّحيم علي عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 2017م، ص: 72.

2ـ يُنظر: جين إتشسن، اللّسانيات، مقدّمة إلى المقدّمات، ص: 290.

3ـ تيرنس دبليو ديكون، الإنسان..اللّغة.. الرّمز، التّطوّر المشترك للّغة والمخّ، ترجمة شوقي جلال، المركز القومي للتّرجمة ط1، 2014م، ص: 546.

4ـ جين إتشسن، المرجع السابق، ص290.

3/2ـ المعالجة العصبية لمستويات اللّغة في ظل التّوجه العرفاني:

1/3/2ـ الصّوت:

إنّ المتأمل في الدّراسات اللّغوية يجد أنّ الصّوت هو عماد وأساس هذه الدّراسات، إذ من خلال الأصوات نُكوّن لغتنا ونتواصل بها من خلال فكّ شفرات الصّوت ورموزه، «وقد تغير مفهوم العلماء حول الصّوت نتيجة التطور العلمي السريع في بحوثهم الصّوتية، فرأينا ما يحدث في الدّماغ أثناء الكلام بدقة بالغة»"[1]، ووصلتنا العديد من النّظريات والبحوث التي تطرح لنا قضايا مستجدة في الدّراسة الصّوتية، «مما دفع بالمقاربات الصّوتية إلى امتلاك مكانة جوهرية ضمن حقول المعرفة اللّغوية، وغَدَا على إثرها المكون الصّوتي جزءًا صميميًا ضمن نماذج التّنظير والتّحليل اللّساني»"[2].

ولا شكّ أنّ هذا التّحول المعرفي، قد أدى إلى دخول الصّوت في مجالات أرحب لها علاقة بالعلوم المعرفية، خاصةً علم الأعصاب ونظرية الذّكاء الاصطناعي، فطرحت عدّة نظريات في تفسير الصّوت وكيفية فك رموزه وسماعه، ومعرفة مصدره وأساسه، وتمّ تقديم تفسيراتٍ كثيرةٍ عبر تاريخ الدّرس اللّساني، فجاء الدّرس العصبي للصّوت ليربطنا بواقع الصّوت في الدّماغ البشري، وتوجّهت الدّراسة الصواتية صوب التّحليلات العصبية ونحو الدّماغ ودوره في معالجة أصوات اللّغة"[3].

1ـ عطية سليمان أحمد، في اللسانيات العصبية، المعالجة العصبية للغة، ص: 260.

2ـ الصوتيات، قضايا ودراسات، تقديم براهيمي بوداود، تأليف مجموعة من الباحثين، منشورات ألفا دوك، ط1، 2020م، ص: 15 (تقديم).

3ـ ينظر: عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 260.

وعلى هذا الأساس، تغيرت نظرتنا إلى الصّوت بوصفه مكونا فيزيائيا فيزيولوجيا يصدر عن الجهاز النّطقي للإنسان لنراه «يسير بين الخلايا العصبية عبر أسلاكها (محاور ومشابك ووصلات) في صورة إشارات كهربائّية وتفاعل كيميائي، ونبضات عصبية، لتصل إلى القشرة السّمعية المخية، لتفك رموزها هناك فتعطي الأمر بنطق الصّوت المناسب للرّد عليه من القشرة المخية السّمعية»"[1]"، وفي ضوء هذه المقاربات التّجديديّة للصّوت، أصبح الصّوت من العمليات المعقّدة التي تتم في الدّماغ، تتعاضد عليه علوم وحقول معرفية عديدة منها الكيمياء، الفيزيولوجيا، الكهرباء، الأعصاب...) بُغية فهم الصّوت وإدراك كنهه والوقوف على طبيعته العصبية الدّماغية.

وقبل الوُقوف على الطّبيعة العصبية للصّوت، ينبغي لنا الإشارة إلى طبيعته النّفسية، حيث إنّ الصّوت قد شهد مقاربات بحثية مستجدة اختلفت عمّا كان سائدًا في الدّراسات القديمة، واتجّه بذلك صوب دراسة جديدة وأفكار عميقة، وحاول العلماء دراسة النّواحي النّفسية للصّوت والولوج به إلى علم النّفس والنّفس البشرية، بغية معرفة «ما يحدث داخلها من تفاعل وصراع حتى تدرك الصّوت وتحس به قبل النطق به، فيغدو الصّوت إحساسًا لدى أبناء اللّغة قبل أنْ يكون صوتًا مسموعًا»"[2]"

ولعلّ من بين العلماء والدّارسين الذين أشاروا إلى الحقيقة النّفسية للصّوت "**ستيفن بينكر *Steven Pinker***" مشيرًا إلى فكرة وهمية الصّوت وبأنّه يحدث داخل النّفس البشرية ولا نشعر ولا نحسّ به، «فالكلام كله ـ بطبيعته ـ وهم، فنحن نسمع الكلام على هيئة

1ـ عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 261.

2ـ المرجع نفسه، ص: 261.

سلسلة من الكلمات المعزولة، لكنّ الحدود بين الكلمات لا يمكن سماعها، وسبب ذلك أنّ الكلمة في الموجة الصّوتية الكلامية، تدخل في الكلمة التي تليها من غير إشعار بهذا الدّخول... فنحن نقوم ـ ببساطة ـ بتخيل حدود الكلمة حين نصل إلى حافة قطعة صوت معينة تتوافق مع مدخل معين في معجمنا العقلي»"[1].

من خلال هذا القول تظهر لنا الطّبيعة النّفسية الوهمية للصّوت، وبأنّه متعلق بحالةٍ نفسيةٍ ذهنيةٍ، وهذا ما أكّده أيضًا في قوله: «إنّ التّتابع الصّوتي نفسه الذي نظن أنّنا نسمعه في داخل الكلمة لا يزيد عن كونه وهما»"[2] لا يحس به الإنسان ولا يمكن إدراكه، فكلام الإنسان في الكثير من المرات يكون مجرد إحساسٍ وخيالٍ ووهم ولا حقيقة له، وعلى هذا الأساس فقد أهمل "**ستيفن بينكر**" المسار العصبي للصّوت مركزًا فقط على جانبه النّفسي الذّهني القائم على الإحساس الوهمي فقط.

وفي المقابل، أشار العديد من الباحثين والعلماء إلى الحقيقة العصبية للصّوت، وطرحوا أفكارًا تجديدية متأثرين في ذلك بعلم الأعصاب المعرفي، من بينهم الباحث العربي "**سعد مصلوح**"، حيث إنّه لم ينظر إلى الخصائص الفيزيائية والفيزيولوجية للصّوت فقط، بل راح يركز على الناحية العصبية الدّماغية التي من خلالها بين كيفية «تفاعل الدّماغ ومراكزه في القشرة السّمعية المخية مع الصّوت من الإدراك إلى الإنتاج»"[3]، فهو يرى إذن أنّ الدّراسة الصّوتية التي تحقق التّواصل بين بني البشر تنطلق من عمليتين

1ـ ستيفن بنكر، الغريزة اللغوية، كيف يبدع العقل اللغة، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، الرياض، مكتبة المريخ، 2000م، ص: 203.

2ـ المرجع نفسه، ص: 204.

3ـ عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة، ص: 282.

عصبيتين هما السّمع والإدراك، فيقول في سياق ذلك: «إنّ فاعلية الكلام بما هو النّظام الأساسي للتّواصل بين البشر لا يمكن أن تتأكد من غير تحقيق الوجه الآخر من عملية التّواصل، ونعني به السّمع والإدراك، ومن هنا تقتضي الضّرورة الملحة تأمل هذه السّلسلة المتصلة من العمليات بجمع مراحلها في محاولة لاكتشاف أسرارها، وإضافة الجوانب الغامضة فيها»"[1].

وعلى هذا الأساس، فإنّ "**سعد مصلوح**" يؤكد على فكرة الدّراسة العصبية للصّوت التي تنطلق من الأذن وتصل إلى المُخ، هذا المسار الذي يعتبر مسارًا عصبيًا أساسه عُضوي إدراكي ينطلق من مقدرة سمعية أساسُها الأذن ومقدرة عصبية عضوية بيولوجية هي الدّماغ، من خلال عمليتين هما «عملية تفكيك الأصوات (كوديًا) التي يسمعها ويتلقاها ويعالجه الجهاز السّمعي العصبي، ثم عملية أخرى مهمة جدًا، هي تحويل هذه الأكواد والرموز الصّوتية إلى منظومة تلائِم جهاز التّصور الخاص عند المتلقي»"[2].

وقد شرح **سعد مصلوح** هذا المسار وبينه بقوله: «نقطة البداية ونقطة النّهاية في عملية الاتّصال اللّغوي بين متكلم وسامع هي المخ، وفيما بين النقطتين يقوم جهاز بالغُ التّعقيد من الممرات العصبية والأعصاب المحركة وأعصاب الإحساس والعضلات لدى

1ـ سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ص: 5

2ـ عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، ص: 75.

المُتكلم والسّامع بمهمة التّحكم والتّواصل، وهذا ما جعلنا نؤثر معالجة الجانب العصبي من عملية الاتّصال اللّغوي بجانب الكلام والسّمع معالجة مترابطة»"[1].

وعليه يظهر لنا توجه **سعد مصلوح** في حقيقة الصّوت بأنّه توجه عصبيّ معرفي له علاقة بآلة الدّماغ، ودراسته هذه فيها انتقال من المقاربة الفيزيولوجية النطقية الفيزيائية القديمة للصّوت إلى المقاربة العصبية الإجرائية المعرفية «تبدأ من المخ كمركز للكلام: إنتاجًا وإدراكًا ومعالجةً»"[2]، وبالتّالي فإنّ الصّوت لكي ينتقل ويحقق وجوده ينبغي له تعقب عدة مسارات تتعلق بالمتكلم والسّامع، حيث إنّ المراحل التي تنتقل بها الرسالة اللّغوية بواسطة الكلام تتضمن أربعة مستوياتٍ متعاقبةٍ ومتعاكسةٍ ثلاثة منها عند المتكلم بدايتها من المستوى اللّغوي ثم المستوى العصبي وصولاً إلى المستوى الفيزيولوجي، أمّا لدى السّامع فإنّ هذه العملية تنعكس أيْ من الفيزيولوجي إلى العصبي مع وجود مستوى رابع (الفيزيائي) عبر ذبذبات في الهواء، وهي مرحلة وسطى تقع بين المتكلم والسّامع، ومن هنا يتم نقل الكلام المنطوق ليصبح كلامًا مسموعًا»"[3].

إذن، نرى بأنّ **سعد مصلوح** يركز في مقاربته هذه على المستوى العصبي باعتباره أساس العملية التواصلية إذ به يتم وصول الرسالة من المتكلم إلى السّامع، وبذلك يمكن القول بأنّ المقاربات الألسنية في ظل التّوجه المعرفي (اللّسانيات العصبية) قد حولت وغيرت آليات الاشتغال مع الصّوت، وانتقلت به من رحاب الدّراسة الفيزيولوجية الفيزيائية

1ـ سعد عبد العزيز مصلوح، المرجع السابق، ص: 259.

2ـ عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 283.

3ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 284.

إلى فضاء أعمق يخترق الدّماغ البشري تمثل في الدّراسة العصبية النّفسية الإدراكية، ومن هنا تجاوز البحث في الدّراسات اللّغوية مقاربة الصّوت من اللّسانيات إلى ما بعد اللّسانيات، وخرج علم الأصوات عن «اللّسانيات تمامًا مثلما تقع كيمياء الألوان، بتعبير دقيقٍ خارج نظرية فن الرّسم»"[1].

2/3/2ـ النّحو:

تطور النّحو تطورًا سريعًا في الآونة الأخيرة، ونمَا نمُوًا سريعًا في ظلّ المقاربات الألسُنية الجديدة و«بصورة متدرجة في عقول علماء النّحو قديمًا وحديثًا من مرحلة النّحو التّقليدي إلى النّحو التّوليدي ثم النّحو العرفاني ليصلوا في نهاية رحلتهم إلى مرحلة النّحو العصبي»"[2]، وفي ظلّ هذا تغيرت آراء اللّغويين حول المكون النّحوي واختلفت من مدرسة إلى أخرى، فانتقل من النّحو المعياري إلى التّيار التّوليدي التّحويلي الذي يفترض وجود بنية عميقة وسطحية، وصولاً إلى الأنموذج العرفاني الذي يرى بأنّ النّحو عملية تصورية ذهنية يقوم بها المخ، ليلجَ ويطأ التيار العصبي الذي يرى بأنّ النّحو ظاهرة لغوية أساسها الجهاز العصبي يقوم بها الدّماغ البشري بمراكزه المختلفة، وبآليات جديدة لم نعهدها من قبل أتاحت له الدخول في مجالات الذّكاء الاصطناعي وتصوير المخ بالرنين المغناطيسي ***MRI**** والبث البزوتروواني ***PET******"[3].

1ـ رومان ياكبسون، محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م، ص: 75.

2ـ عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 464.

*الرنين المغناطيسي: يتم فيه استخدام ماسح ضوئي لقياس مستوى الأكسجين عند تدفق الدم في الدماغ، حيث إن المناطق ذات النشاط العصبي العالي يكون تدفق الدم فيها أعلى من المناطق ذات النشاط العصبي المنخفض، وتوفر هذه التقنية صور

وقبل أنْ نتحدث عن المعالجة العصبية للنّحو ينبغي الإشارة إلى حقيقته النّفسية، حيث إنّه لا يمكن أنْ نفصل بين ما هو نفسي وبين ما هو عصبي، «فالعمليات العقلية اللّغوية النّفسية التي تحدث في الدّماغ تظل مختفية بها حتى يتكلم المرء فتظهر، فهو يفكر قبل الكلام فيما سيقوله، وفي العناصر اللّغوية وغير اللّغوية التي تصنع كلامه»"[1]، كما أنّ العلاقة بين النّحو كفكرة مجردة وآلية عمل الدّماغ في تفاعلها مع الكلام الفعلي تظهر في تأثر النّحو بقواعده على الكلام، وهي تتجلى أيضًا في الكلام الذي يصدره الإنسان كصورة مطابقة لما هو موجود في دماغه"[2].

وبالتّالي فإنّ النّحو في ظلّ تطور الدّراسات المعرفية أصبحت له حُمولات نفسية وعصبية، كما أنّ اللّغة في ضوء هذا لم تُولد «كحدث اجتماعي إلا يوم أنّ وصل المُخ الإنساني إلى درجة من النّمو تسمح له باستعمالها، فلم يتأت لكائنين بشريين أن يخلقا لغةً فيما بينهما إلا لأنّهما كانا ممهدين لهذا العمل، فحال اللّغة حال جميع المخترعات البشرية»"[3]، فاللّغة مربوطة بالدّماغ ولا يمكننا فصلها عنه، كما «أنّه لا مناص من

أعمق للدماغ أكثر من أي طرق أخرى. ينظر:(إكرام مرعوش، جدلية البعد الأخلاقي في التسويق العصبي ـ دراسة تحليلية، مجلة الاستراتيجية والتنمية، المجلد 11/ العدد 03، أفريل2021م، ص: 108).

**البث البزوتروايي: تتطلب هذه الطريقة وجود مادة معينة ذات أثر يمكن ملاحظته ومتابعته، ويجب أن تكون هذه المادة آمنة الاستعمال عند حقنها في المريض، وعادة ما يتم حقن مادة مشعة قصيرة الأمد أو المفعول في الوريد، وهي نوع من الغلوكوز وذلك أثناء انشغال الفرد بأداء مهمة ما. ينظر:(عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي، النظرية والتطبيق، ص: 65).

3ـ ينظر: عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة، ص: 464.

1ـ المرجع نفسه، ص: 476.

2ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 477.

3ـ فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، المركز القومي للترجمة، العدد 1889، لطبعة 2014، ص: 35ـ36.

الاستنتاج أنّ للنّحو أُسُسًا عصبية محددة تبلورت في مرحلة سبقت الخمسين ألف عام الماضية، وأغلب الظّن أنّ هذا حدث في الوقت الذي ظهر فيه الإنسان الحديث كنوع مستقل من النّاحية البيولوجية»"[1]، فهذه الفكرة تؤكد ارتباط النّحو كظاهرة لغوية بعضو بيولوجي عصبي وهو الدّماغ، وقد أكّد لنا "**ديريك بيكرتون *Derek Bickerton***" هذه الفكرة في كتابه اللّغة وسلوك الإنسان منطلقًا من النّحو التّوليدي لتشومسكي بقوله: «صحيح أنّ على التّأقلم البيولوجي مهما كان نوعه الذي أنتج اللّغة أن يكون قادرًا على إنتاج كل التّأثيرات التي لاحظها النّحويون خلال العقود القلائل الماضية من البحث المكثف، وصحيح أنّنا لا نملك الآن أية فكرة عن كيفية تحقيق الدّماغ البشري لهذه التأثيرات... ولكن لا بُدّ للعلم ـ عاجلاً أم آجلاً ـ من مواجهة هاتين المشكلتين المترابطتين، وهما كيفية تطور النّحو، وكيفية تعامل الدّماغ معه»"[2]، ومنه فإنّ النّحو في نظر **بيكرتون** له أسس عصبية ومنهجه في ذلك تفسيري تحليلي انطلق من ملاحظات علمية لها علاقة بعلم الأعصاب في مراحله المتقدّمة، «فاللّسانيات العصبية بمعطياتها الجديدة وإمكاناتها المرئية وقدرتها على تفسير السُلوك اللّغوي تتيح لنا معيارًا جديدًا لتقويم التّراكيب اللّغوية. إنّه المعيار النّفسي العصبي، بمعنى أنّنا إذا لجأنا إلى التّحليل النّفسي العصبي للنّحو فإنّه سيعطينا معيارًا جديدًا، معيارًا نفسيًا عصبيًا يفسر سرّ التزامنا بقواعد النّحو بكلامنا»"[3].

1ـ ديريك بيكرتون، اللغة وسلوك الإنسان، ترجمة محمد زياد كبة، مكتبة لسان العرب، جامعة الملك سعود، 2001م، ص: 72.

2ـ المرجع نفسه، ص: 81.

3ـ عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 480.

ولاشكّ أنّ النّظرة العصبية الذّهنية للنّحو تطورت مع التّيار الألسني التّوليدي مع **تشومسكي** الذي ربط بين النّحو والذّهن وأكّد على دور الدّماغ في معالجة النّحو، وأصبح «النّحو ليس نسقًا صوريًا مجردًا، وإنمّا هو نسق عصبي، وخصائص الأنحاء هي خصائص الأنسقة العصبية المجسدة بشريًا، وليست خصائص أنسقة صورية مجردة»"[1]، وانتقل بموجبها البحث اللّساني «من دراسة اللّغة إلى دراسة النّحو الممثل في الدّماغ»"[2].

إذن، فالنّظرية التّوليدية التّحويلية قامت على أساس دراسة النّحو « الكوني... وهو مركوز في عضو ذهنيّ من الدّماغ مخصوص هو اللّغة، وكان لا بُدّ من ذكر الأسُس التي انطلق منها هذا النّحو نتيجة لفهمه وتحليله العمليات العقلية وبناء الدّماغ البشري»"[3]، **فتشومسكي** من المنتصرين لفكرة النّحو الكلي هذا النّحو الذي يُولد مع الطّفل ويتمركز في عضو بيولوجي وهو الدّماغ، وبالتّالي فإنّ التّيار التّوليدي كان «أوّل من جعل العناصر الباطنية للدّماغ البشري مركز أبحاثه عن صناعة اللّغة والتّفاعل بين البشر بها، ولهذا انطلق من دراسة عدة قضايا قامت بتحليل الدّماغ البشري وطريقة عملها»"[4].

وبذلك، بدأت تتشكل فكرة المعالجة العصبية للنّحو، أي البحث عن النّحو في دماغنا البشري، وطرحت العديد من الإشكالات حول آليات اشتغال الدّماغ في معالجته

1ـ عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات إبستمولوجية، ص: 62.

2. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ص: 64.

3ـ الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 43.

4ـ الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص: 43.

للنّحو من قبيل: «هل هناك آلة ضابطة للّغة وقواعدها؟ أم أنّه ناتج عن عمل الدّماغ كقدرة تدخل ضمن قدراته الكامنة فيه؟»"[1]، والإجابة عن هذه الأسئلة تجعلنا نُقِر بأنّ الدّماغ قد يكون هو الآلة الضّابطة لقواعد النّحو، إذ هو المسؤول عن تكوين الجمل الصّحيحة وفق قواعد نحوية دقيقة، ولعلّ هذا راجع إلى تلك القُدرات التي يمتلكها الدّماغ البشري منها، القدرة على التّعميم والاستنتاج، والقدرة على الإبداع والتّطور"[2].

بناءً على هذا الطّرح المعرفي وهذه الرؤية التّأسيسية التّجديدية التي انتقل فيها النّحو إلى رحاب الدّرس الألسني العصبي يمكن القول بأنّ هناك مناطق محددة لمعالجة النّحو في أدمغتنا، إذْ يُؤكد **بيكرتون** على أنّه «تُوجد شبكة نحوية واحدة يشكل المخيخ جزءًا لا يتجزأ منها، حيث إنّ المخيخ يعمل أساسًا على تسريع وتتمة الأعمال السّلوكية والروتينية فإنّ دوره في النّحو الذي يتطلب معالجةً آلية يجب أن يكون أمرًا متوقعًا»"[3]، وبالتّالي فإنّ **بيكرتون** يحدد منطقة معالجة النّحو في الدّماغ، إذ يلعب المخيخ دورًا رئيسًا في ذلك.

وتساوقًا مع ما ذكر آنفًا، فقد حدّد **ستيفن بينكر** مركز التّحليل النّحوي، واعتبر منطقة بروكا المسؤولة عن ذلك، هذه المنطقة التي تتمركز «في جوار الشريط الذي يتحكم في حركة الفكّين والشّفتين واللّسان، كما كان يظن أنّ منطقة بروكا تشارك في إنتاج اللّغة... لكنّه يبدو أنّ هذه المنطقة تشارك في معالجة النّحو بصفة عامة، وسيكون

1ـ عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 503.
2ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 504
3ـ ديريك بيكرتون، اللغة وسلوك الإنسان، ص: 90.

التّلف الذي يصيب النّحو أوضح ما يكون في الجمل المنتجة، وذلك أنّ أيّة زلة ستقود إلى إنتاج جملة خاطئة بشكل واضح»"[1]، فمنطقة بروكا هي الأساس العصبي في الاشتغال النّحوي لدى "**ستيفن بينكر**"، فهو يرى «بأنّ الجزء الأمامي من المنطقة المحيطة بقشرة سيليفان، وهو الجزء الذي توجد فيه منطقة بروكا، وتشارك في المعالجة النّحوية، وذلك أنّه وجد أنّ حين يقرأ النّاس جملة ما، فإنّ الأقطاب الكهربية المثبتة في مقدمة الشّق الأيسر تلتقط أنماطًا مميزةً من النّشاط الكهربي عند النُقطة التي تصبح الجملة فيها غير صحيحة نحويًا»"[2]. وعليه فإنّ منطقة بروكا وسلامتها هي مصدر العبارات النّحوية الصّحيحة.

وفي الإطار نفسه، فقد اعتبر "**ستيفن بينكر**" منطقة فيرنيك أيضًا مسؤولة عن إنتاج النّحو، هذه المنطقة التي تقع «مع المنطقتين المجاورتين لها في الرّسم التّخطيط... التّلافيف الزاوية والتّلافيف فوق الهامشية على تقاطع الطرق بين ثلاثة فصوص من فصوص الدّماغ»"[3]، ولكن في الوقت نفسه أنكر هذا الباحث فكرة وُجود النّحو في منطقتي بروكا وفيرنيك قائلاً: «لكي أكون أمينًا فإنّه يجب علي أن أشير إلى أنّه لا يعلم أحد على وجه اليقين الوظيفة التي تؤديها منطقة بروكا أو منطقة فيرنيك»"[4].

بناءً على هذا، فإنّ المعالجة العصبية للنّحو انطلقت من مقولات عِلم الأعصاب المعرفي، لكنّها لم تثمر عن نتائج كافية، وغلب عليها الحدس والوصف، ولم تحقق نتائج

1ـ ستيفن بنكر، الغريزة اللغوية، كيف يبدع العقل اللغة، ص: 390

2ـ المرجع نفسه، ص: 391.

3ـ ستيفن بنكر، المرجع السابق، ص: 391.

4ـ المرجع نفسه، ص: 394.

يقينية، وبالتّالي توجهت الدّراسات النّحوية إلى مقاربات أخرى متجاوزة بذلك المقاربة العصبية وانتقلت صوب الدّراسات الحوسبيّة والعرفانيات خاصةً مع انبثاق علم الذّكاء الاصطناعي.

3/3/2ـ الدّلالة:

تُعد الدّلالة من المفاهيم التي لاقت اهتمام الدّارسين قديمًا وحديثًا، وهي تعنى بدراسة المعنى، فالكلمة لا تفهم دلالتها إلاّ من خلال ذلك التّفاعل الحاصل بين اللّفظ والمعنى، إذ «لم تنتظر الجماعات البشرية نهاية القرن التّاسع عشر كيما تدرس قضايا الدّلالة، وتوليها اهتمامها، ومن ثم لتوظفها في إطار الفاعلية المميزة لعلم اللّغة»"[1]، فهي بهذا أساس الدّراسة اللّغوية، وبها يتم معرفة معاني الكلمات ودلالاتها المختلفة، ولا يظهر معنى الكلمات إلا من خلال استعمالها فـ« إذا تعدّد معنى الكلمة المفردة حال انعزالها تعددت احتمالات القصد وتعدد احتمالات القصد يعتبر تعددًا في المعنى، والذي يجب ألاّ يغيب عن أذهاننا دائمًا أنّ الكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السّياق»"[2]، كما أنّه «حينما نقول بأنّ لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حَدٍّ ما، إذ لا يطفو في الشّعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النّص، أمّا المعاني الأخرى جميعها فتُمحى وتبدد ولا توجد إطلاقًا»"[3]، وبهذا أصبحت اللّغة عملية اقتران «بين العبارة

1ـ فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية، نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص: 7.

2ـ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1994م، ص: 323.

3ـ فندريس، اللغة، ص: 28.

المنطوقة ومضمونها من خلال عملية التّرميز الصّوتي بوضع رمز للشيء ليصبح اسمه»"[1].

وقد اهتمت الدّراسات الألسنيّة الحديثة بالدّلالة، ونالت النّصيب الأوفر من الاهتمام، فـ "**فرديناند دو سوسير**" يُعدّ النور الذي أشاع لعلم الدّلالة كفرع من فروع علم اللّغة من خلال جهوده المبذولة حول هذا الجانب، ولعلّ أعظم ما وصلنا تناوله لموضوع المعنى وتطوره وطرق دراسته الآنية والتاريخية وقضايا أخرى تخص الدّلالة، فالمعنى عنده عبارة عن ارتباط متبادل أو علاقة متبادلة بين الكلمة أو (الاسم) وهي الصّورة السّمعية وبين الفكرة (المدلول)"[2]

ولعلّ الدّراسات الدّلالية قد حققّت نجاحًا على يَدِ الأنثروبولوجيين والسّيكولوجيين أكثر منها على يَدِ اللّغويين، خاصةً لما انبثقت على السّاحة الألسنية الدّراسات المعرفية التي حاولت الرّبط بين جميع العلوم، ومن هُنا نالت الدّلالة اهتمام جميع الدّراسات والعلوم خاصةً علم النّفس وعلم الأعصاب اللّذان قدّمَا مفاهيم جديدة للدّلالة، وأعطوا للمعنى أولوية عظمى خاصة مع ظهور التّيار التّوليدي وانبثاق مشروع الدّلالة المعرفية مع التّصور العرفاني.

إنّ الدّلالة بمفهومها النّفسي والعقلي الذّهني قد بدأت مع النّظرية التّوليدية التّحويلية خاصةً في نماذجها المتأخّرة وبروز علم النّفس المعرفي الذي رأى بأنّ «عملية فهم اللّغة والمعاني عمليات عقلية يلجأ إليها المستمع تتراوح بين عمليات تمييز الأصوات وإدراكها،

1ـ عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية (اللغة في الدماغ، رمزية، عصبية، عرفانية)، ص: 37.

2ـ ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 303.

وترجمة ما يعتقد أنّ المتكلم يريد نقله إليه مع الاستفادة من الخبرات السّابقة المخزنة في الذّاكرة ولا سيما ذاكرة الدّلالات والمعاني»"[1]، وبالتّالي فإنّ فهم الكلمات ومعرفة دلالاتها عملية ذهنية نفسية لها علاقة بقدرات الإنسان وخبراته، فيصنع تصوُرات وتمثيلاتٍ في مخه، كما يقوم بصنع رمز للكلمة يمثل الأيقونة التي تعرف بها"[2].

من خلال هذه الرّؤية، فإنّ علم النّفس المعرفي قد رفع من شأن الدّلالة معتبرًا أنّ تمثيلها في المُخ يكون من خلال تخيّلها وتصورها داخل النّفس البشرية، وهذا ما يجعلها تتمثل في أذهاننا وعقولنا مع بنية صور مجسدةٍ في فضائنا الذّهني، فهي بذلك من صنع أمخاخنا قبل النّطق والكلام، وترتبط في الأساس بأبنية مغايرة ذات دلالاتٍ ومفاهيم متعددة، ممّا يؤدي إلى إنتاج مجموعة من التّرابطات والشّبكات الدّلالية تشبه الشّبكة العنكبوتية يقوم الفرد بصنعها وتخزينها في مخه حول المعنى الواحد"[3].

إذن، فالدّلالة أصبحت مكونًا أساسيًا ومركزيًا في الفهم اللّغوي، وقد تجسّد مفهومها النّفسي والعصبي مع انبثاق العلوم المعرفية وتمازجها خاصّة علم النّفس المعرفي وعلم الأعصاب المعرفي، فمعالجة اللّغة وتحليل عناصرها في ضوء هذين العِلمين قد تغيرت وتبدّلت، إذ تبين أنّها «جهازٌ يربط بين تمثيلات الأصوات وتمثيلات المعاني، ويستعمل بطرق مختلفة هي أنساق خارج اللّغة، كالأنساق النّطقية السّمعية وأنساق الفكر»"[4]،

1ـ رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، ص: 238.

2ـ ينظر: عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة، ص: 431.

3ـ ينظر: عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 434.

4ـ عبد العالي العامري، اللغة ونظرية الذهن: مبادئ معرفية وذهنية، ص: 10.

وبهذا فإنّ مستويات اللّغة المتعددة يتم معالجتُها في الدّماغ البشري، وكل مركزٍ من مراكزه له دورٌ في معالجة مجال من مجالاتها.

بناءً على هذا الطّرح، فإنّ هناك مراكز مختصة لمعالجة الدّلالة والمعنى في المخ البشري، حيثُ تم تحديد مناطق الدّلالة من خلال تجارب قام بها العلماء لتحديدها، فقد ذكر برنارد التّجربة التي قام بها "**جيتيمان**" وزملاؤه على مجموعة من الأفراد لبيان ومعرفة أدائهم لمهام التّهجي والدّلالة والصّوت من أجل ضبط التّأثير الدّاخلي ومعرفة الفروق الفردية بين الأشخاص، وقام الباحثون بإجراء تسجيلات لهم بالرنين المغناطيسي الوظيفي أثناء تعرضهم لظرف من الظُروف، بعدها تم انتقاء الكلمات بعناية فائقة، وكانت أعداد الأسماء والأفعال متساوية في مختلف الظّروف، وتم أيضًا ضبط المتغيرات الأخرى مثل تكرار الكلمات باستخدام معالجات وآلات إحصائية"[1].

من خلال ما سبق، فقد حدّد برنارد مناطق الدّلالة ومعالجتها في الدّماغ مشيرًا إلى كيفية تحول الكلمات من رموز صوتية إلى كلام كاملٍ مفهوم من خلال عملية تعرف بترميز اللّغة"[2]، أو ما يُعرف بالتّرميز اللّغوي فـ «الطّريقة التي تمثل بها اللّغة الأشياء والأحداث والعلاقات تزودنا بطاقة اقتصادية فريدة على الاستبدال، إنّها تهيئ لنا وسيلة توليد صور متباينة لا نهائية من التّمثيلات الجديدة، كما تزودنا بقدرة استدلالية غير مسبوقة للتّنبؤ بالأحداث وتنظيم الذّكريات وتخطيط السّلوك»"[3].

1ـ ينظر: عطية سليمان أحمد، المرجع السابق، ص: 442.

2ـ المرجع نفسه، ص: 454.

3ـ عطية سليمان أحمد، اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، ص: 92ـ93.

إنّ المفاهيم الدّلالية حسب برنارد ترتبط في الأساس بالفص الصّدغي، ويعتقد بأنّ المفاهيم الأكثر عمومية ترمز في الجزء الخلفي من الجانب الأيسر للدّماغ، في حين أنّ معالجة الأشياء الاصطناعية والأدوات البشرية بتنشيط طفيف لجزء مختلف من المنطقة الصّدغية القفوية"[1]، أي أنّ معالجة الدّلالة في الدّماغ مرتبط بالفصّ الصّدغي في نصفه الأيسر.

وعليه، يمكننا القول: إنّ المُعالجة العصبية للدّلالة تُعدّ من أعقد العمليات، ومناطق تحديدها أصبح محل اختلافٍ العلماء والدّراسين، لكنْ رغم ذلك إلا أنّ الدّراسات في هذا المجال مازالت متواصلةً خاصةً في ظلّ التّطور التّكنولوجي وبرامج الذّكاء الاصطناعي التي حاولت تدارك هذه النّقائص التي لم يستطع علم الأعصاب المعرفي إيجاد نتائج يقينية فيها، فــ «بحث قضية اللّغة ملزم بالبحث في العلوم الأخرى حتى نستطيع الوُصول إلى نتيجة تقترب من الصّحة، وعليه اقترح فتح المجال لما يمكن تسميته اللّسانيات الكُوزمولوجية (الكونية)، التي يمكن من خلالها تحليل ظواهر اللّغة والتّواصل اللّساني من منظور أشمل وأعم، ومن خلال التّجربة والملاحظة والمراقبة"[2]، ومنه سنحاول الوُقوف على هذه المستويات (الصّوتي، التّركيبي، الدّلالي) وآليات اشتغالها في ظلّ علم الذّكاء الاصطناعي واللّسانيات الحاسوبية.

3/آليات الاشتغال الألسني ومستويات اللغة في ظل نظرية الذّكاء الاصطناعي واللّسانيات الحاسوبية:

1ـ ينظر: عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة، ص: 442.

2ـ عبد الرحمن محمد طعمة محمد، بيولوجيا اللسانيات: مدخل للأسس البيو ـ جينية ـ للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية، ص: 48ـ49.

1/3ـ نظرية الذكاء الاصطناعي والدّرس الألسني الحديث:

يُعد الذّكاء الاصطناعي أحد العلوم العصرية التي انتشرت انتشارًا واسعًا في الآونة الأخيرة، ولاقت الرّواج الكبير بفضل ما جلبته من تِقانات حديثة أثّرت بشكل كبير في جميع العلوم والميادين، فهو يمثل «أهم مخرجات الثّورة الصّناعية الرّابعة لتعدد استخدماته في المجالات العسكرية والصّناعية والاقتصادية والتّقنية والتّطبيقات الطّبية والتّعليمية والخدمية»"[1]، وبهذا أصبحت نظرية الذّكاء الاصطناعي واسعةَ الانتشار وتلجُ من الباب الواسع لتؤثر في مختلف الدّراسات والأبحاث، وهذا العلم يُعد أحد العلوم المعرفية التي تحاول « تطوير برامج حاسوبية معقدة لتكون قادرة على أداء مهام معرفية صعبة»"[2] تقوم بها الآلة والجهاز الحوسبي، وبهذا فقد شكّل ظهور الذّكاء الاصطناعي في القرن العشرين قفزة نوعية مكّنت «من إنتاج مجموعة أساليب تكنولوجية ناجحة استطاعت تغيير نمط الحياة التي نحياها»"[3].

وحَريّ بنا هنا أنْ نشير إلى مفهوم الذّكاء الاصطناعي وماهيته، هذا العلم الذي يعنى بـــ «محاكاة ذكاء الإنسان وفهم طبيعته عن طريق عمل برامج الحاسب الآلي قادرة على محاكاة السّلوك الإنساني المتّسم بالذّكاء»[4] الفطري، وهو كذلك «علمٌ يهتم بصناعة

1ـ أحمد ماجد، الذكاء الاصطناعي بدولة الإمارات العربية المتحدة، إدارة الدراسات والسياسات الاقتصادية، الإمارات العربية المتحدة، مبادرات الربع الأول، 2018م، ص: 3.

2ـ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، ص: 33.

3ـ بلاي ويتباي، الذكاء الاصطناعي، إعداد قسم الترجمة، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2008م، ص: 9.

4ـ أحمد ماجد، المرجع السابق، ص: 6.

آلات تقوم بتصرّفات يعتبرها الإنسان تصرفات ذكية»"[1]، أي إنّه علم تجريبي إجرائي قِوامه وأداته جهاز الكمبيوتر و«حواسيب رقمية ذات قدرات حسابية عالية تتّصف بعمومية الاستخدام...كي تنفذ خوارزمات مختلفة، مع القدرة على استقبال بيانات رقميّة كمدخلات تعمل عليها تلك الخوارزمات، وكذلك تصدير بيانات رقمية كمخرجات لعمل تلك الخوارزمات»"[2].

ولعلّ من بين التّعريفات التي قدّمت لهذا العلم نجد:"[3]

- أتمتة النّشاطات المتعلقة بالتّفكير البشري مثل صنع القرار، حل المشاكل، التّعلم...(***Bellman***, 1978)
- فن اختراع الآلات التي تستطيع تحقيق عمليات تتطلب الذّكاء الإنساني. (***ChariakandMcDermott***, 1885)
- دراسة الحاسبات التي تجعل عمليات الإدراك، التّفكير، التّصرف ممكنة. (***Winston***, 1992)

1ـ عادل عبد النور بن عبد النور، مدخل إلى الذكاء الاصطناعي، مدينة عبد الملك بن عبد الله بن عبد العزيز للعلوم التقنية، المملكة العربية السعودية، 2005م، ص: 7.

2. محمد عطية محمد العربي أحمد، الذكاء الاصطناعي ونمذجة اللغات الطبيعية، الطموح، والواقع، والآفاق، تأليف جماعي (العربية والذكاء الاصطناعي)، مباحث لغوية 59، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2019م، ص: 25.

3ـ نقلا عن: أمينة عثامنية، المفاهيم الأساسية للذكاء الاصطناعي، كتاب جماعي بعنوان تطبيقات الذكاء الاصطناعي كتوجه حديث لتعزيز تنافسية منظمات الأعمال، إشراف وتنسيق أبو بكر خوالد، تأليف مجموعة من الباحثين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، ط1، 2019م، ص: 12.

- دراسة كيفية جعل الحواسيب تقوم بأعمال يقوم بها الإنسان حاليًا بشكل أفضل. (***Rechunking***, 1991)
- فرع علوم الحاسوب المهتم بأتمتة السّلوك الإنساني ***LugarandStubblefield***, 1993)

من خلال هذه التّعريفات والمفاهيم يتّضح لنا بأنّ الذّكاء الاصطناعي قد تعدّدت تعريفاته لكن كلها تصب في ماهية واحدة وهي أتمتة السلوك البشري، وجعل الآلة تقوم بما يقوم به الإنسان (تفكّر، تتذكر، تعرف، تخزن، تسترجع...)، وكتعريف جامعٍ مُلمّ للذّكاء الاصطناعي نقول بأنّ هذا العلم فرعٌ من فروع علوم الحاسوب، يمكن من خلاله خلق وتصميم برامج للحاسبات تحاكي أسلوب الذّكاء الفطري الإنساني يتمكن من خلالها الحاسب من أداء بعض المهام بدلاً من الإنسان تتطلب التّفكير والتّفهم والسّمع والتّكلم والحركة"[1]، وقد تنوعت مجالات هذا العلم نذكر منها على سبيل الإجمال:"[2]

- النظم الخبيرة.
- إثبات النّظريات آليا.
- تفهم اللّغات الطبيعية.
- علم الروبوتات.
- تمثيل المعارف آليًا.
- التّعليم والتّعلم باستخدام الحاسبات.

1ـ ينظر: محمد علي الشرقاوي، الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية، ص: 23.

2ـ جهاد عفيفي، الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة العربية، 2015م، ص: 25.

- الوسائط المتعددة.

وعليه، فإنّه ليس من اليسير تحديد مجالات هذا العلم، فقد توسّع هذا العلم، وأصبح من العلوم المعرفية التي أثّرت في جميع الميادين والعلوم الدّقيقة وحتى الإنسانية، وعلى إثرها اتّسم الذّكاء الاصطناعي «بجوانب نظرية وأخرى تطبيقية، تتضمن الجوانب النّظرية معرفة الإطار النّظري العميق الذي يعمل في الدّماغ البشري لحلِّ المشكلات الخاصّة كالتّرجمة من لغة لأخرى، وتتضمن الجوانب التّطبيقية التّعامل مع الرّياضيات الخوارزمية والتي هي مجموعة من القواعد ترتب بشكل معين لتعطي نتائج مماثلة للنّتائج التي نجدها لدى الإنسان »"[1]، وهذا ما استدعى ظهور اتجاهين لنظرية الذّكاء الاصطناعي هما:"[2]

- اتّجاه استعاري تشبيهي يسلط الضّوء على طبيعة ذكاء البشر ومحاولة تمثيل وتشبيه الآلة بالإنسان أو مطابقته والتّفوق عليه.
- اتجاه إجرائي تطبيقي أساسه بناء نظم خبيرة تعرض السلوك الذّكي للآلة بغض النّظر عن مشابهته لذكاء الإنسان.

بناءً على هذا، فإنّ مقولات واتجاهات نظرية الذّكاء الاصطناعي قد أثّرت في جميع العلوم منها علوم الكمبيوتر، علم الأحياء، علم النّفس، الرّياضيات، الهندسة، علم اللّغة (اللّسانيات) وغيرها، والرّسم الآتي يبين هذا التأثير:"[3]

1ـ رضا بابا أحمد، اللسانيات الحاسوبية: مشكل المصطلح والترجمة، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، جامعة تلمسان، الجزائر، ص: 17.

2ـ ينظر: جهاد عفيفي، المرجع السابق، ص: 24.

3ـ ينظر: عبد الله موسى، أحمد حبيب بلال، الذكاء الاصطناعي، ثورة في تقنيات العصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2019م، ص: 181.

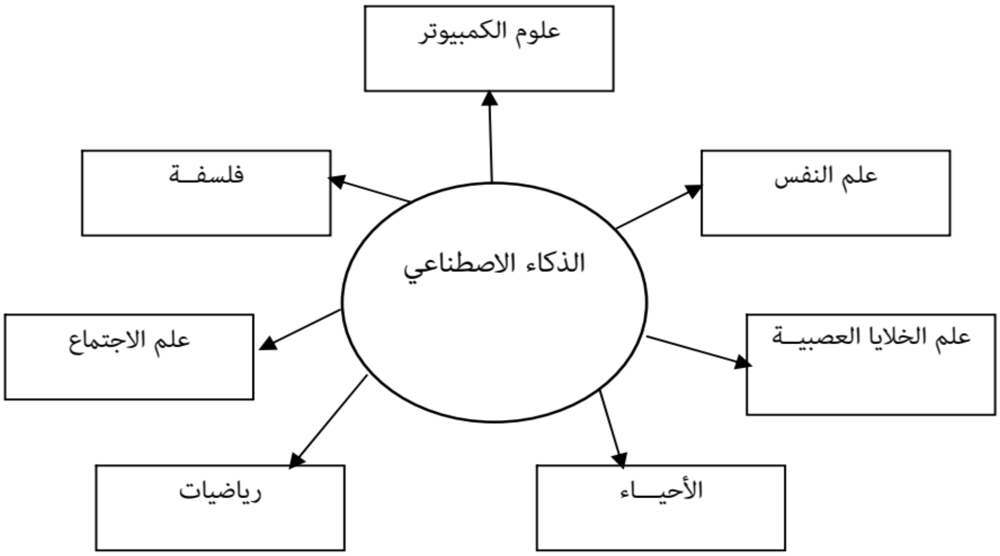

إذن، فقد كان تأثير هذه النّظرية كما أشرنا سابقًا على عديد العلوم والمعارف منها مجال وميدان اللّغويات، فقد شهدت الدّراسات الألسنية الحديثة والمعاصرة عدّة انعطافاتٍ وتحولاتٍ منهجية وإجرائية بفضل التّطور العلمي والتّكنولوجي الذي شهده العالم وظهور العلوم المعرفية التي كان لها كبير الأثر في هذه التّحولات، فقد «أحدثت اللّسانيات بانخراطها في مجالات الذّكاء الاصطناعي تحولاً جوهريًا في آليات المقاربة اللّغوية، أدى إلى انبثاق معرفة ألسنية مغايرة تغيرت بموجبها الشّروط المنهجية والإجرائية التي تنهض عليها المقاربة الألسنيّة»"[1]، خاصةً مع انبثاق الأنموذج الألسني التّوليدي الذي جعل الدّرس الألسني يتجه صوب فضاءاتِ التّحليل المعرفي وتِقنيات الرّقمنة والحوسبة، و«حاول تشومسكي أن يصوغ اللّغة صياغة رياضية، وأن يلحق القواعد المحددة لهذه

1ـ نصيرة بن شيحة، الأنموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من رحاب الذكاء الفطري إلى فضاء الذكاء الاصطناعي، ص: 78.

اللّغة بإطار توليدي حسابي مبرمج»"[1]، كما أنّه اعتبر اللّغة بنية معقدة أساسها النّظام الحوسبي الآلي، حيثُ يقول في سياق ذلك: «فاللّغة ـ باختصار ـ يبدو أنّها في جوهرها نظام حوسبي غنيّ مُعقّد البنية بدقة كاملة، وصارم في عملياته الأساسية»"[2]" وهذا ما أدّى إلى الانفتاح على استراتيجيّات جديدة قِوامها الجهاز الحوسبي الآلي الذي فرضته نظرية الذّكاء الاصطناعي التي تنص على إمكانية برمجة الحاسوب ليكون عقلاً بشريًا وله قدرات ومعارف تسند للإنسان فقط"[3]"

وبهذا، تمكنت اللّسانيات ـ بفعل هذه التّحولات ـ أن تُؤسس لنفسها مكانًا جديدًا وتصنع لها موقعًا مميزًا وجادًا قِوامه التِّقانة والرّقمنة والحوسبة التي نادت بها نظرية الذّكاء الاصطناعي، واتّجه الدّرس الألسني حينها إلى «الإغراءات التي أتاحها الزّمن التّقني»"[4]"الرّقمي التّفاعلي التّجريبي، وفتنة الآلة وما تمخّض عنها من برمجيات وخوارزميات، هذا كُله أثّر في الدّراسات اللّغوية وأدّى إلى تلاقي وتداخل مجال الحاسوبيات والذّكاء الاصطناعي بالدّرس الألسني، فـ «الاتّصال بين اللّسانيات والحاسوبيات يتجلّى بشكل واضحٍ مع النّحو التّوليدي»"[5]"الذي حقّق لنا التّرافق والتّوافق

1ـ عمر ديدوح، فعالية اللسانيات الحاسوبية العربية، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ الجزائر، العدد الثامن، ماي2009م، ص: 88.

2ـ نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص: 107.

3ـ ينظر: عبد الله موسى، أحمد حبيب بلال، المرجع السابق، ص: 29.

4ـ الصوتيات قضايا ودراسات، تقديم بوداود براهيمي، ص: 15.

5ـ بابا أحمد رضا، توليد الجمل في اللسان العربي (دراسة لسانية حاسوبية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014/2013، ص: 66.

بين الحاسوب واللّغة ، ومن هنا انبثقت موجة ألسنيّة جديدة عرّفت باللّسانيات الحاسوبيّة أو علم اللّغة الحاسوبي.

2/3جدلية العلاقة بين الحاسوب واللّغة:

شهدت الثّورة التّكنولوجية في الآونة الأخيرة تطورًا سريعًا، ومرد ذلك ظهور آلات وتقانات وأجهزة إلكترونية حديثة أثّرت في جوانب الحياة تأثيرًا إيجابيًا، ولعلّ من بين هذه الأجهزة الحاسوب الذي «صار علامة فارقة وسمة بارزة لمجتمع المعرفة، ذلك المجتمع القائم على تداول المعرفة وتناقلها واتّخاذها وسيلة مهمة لتطوير المجتمعات ماديًا وبشريًا»"[1]، فهو بذلك يُعد وسيلة وتقنية طال تأثيرها جميع العلوم والمجالات والأبحاث منها البحث اللّغوي، و«أصبحت شريانا من شرايين»"[2] الدّراسات اللّسانية، وصارت هذه التّقنية تمثل أساسًا مركزيًا في بحوث اللّغة ومستوياتها المختلفة صوتًا وصرفًا ونحوًا ومعجمًا ودلالة، حيث تمّ استفادة المختصين في علوم الحاسوب من الصّياغات الشّكلية التي تم وضعها من قبل علماء اللّغة لتطبيقها آليًا وحاسوبيًا، وبهذا التقت اللّغة والحاسوب و«أخذت العلاقة بينهما طابعًا تبادليًا»"[3] أساسُه استعمال الآلة في دراسة اللّغة، فالتّطور

1ـ وليد أحمد العناتي، الدليل نحو بناء قاعدة بيانات للسانيات الحاسوبية العربية، جامعة البترا الأردنية الخاصة، ص: 84.

2ـ عمر محمد أبو نواس، نحو معجم مفهرس للمصطلحات العربية الموحدة في ضوء اللسانيات الحاسوبية ومشروع الذخيرة العربية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، يونيو 2013م، ص: 7

3ـ نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، مؤسسة تعريب، 1988م، ص: 113.

الذي حدث في مجال الحاسوب من حيث القدرة والكمية، وسرعة أدائها وتوصيلها، إنّما هو في ذاته تطوير للأداء اللّغوي في مجال اللّغات الإنسانية»"[1].

من هنا يمكن لنا إيراد أسباب هذا التّداخل والتّلاقي والتي من أهمها:"[2]"

- تطور الدّرس الألسني وخضوع مختلف مستوياته للمعالجة الرّياضية والمنطقية والإحصائية خاصةً مع انبثاق التّيار التّوليدي التّحويلي.
- تطور علوم الاتّصال والمعلوماتية التي تعنى بدراسة وقياس كمية المعلومات.
- الوثبات التي شهدها ميدان علوم الحاسوب خاصةً مجالات نظرية الأوتوماتيات، وتصميم لغات البرمجة، ونظم التّشغيل والتّرجمة.
- ظهور تِقانات وبرمجيات وتطبيقات حوسبية جديدة لها علاقة بمعالجة اللّغات البشرية.
- تقدم علم الإحصاء الرّياضي، ونفوذ أساليبه إلى مجال الدّراسات اللّغوية.
- تفشّي وانتشار الحواسيب الشّخصية والمنزلية يطوعها المستخدم بلغته الخاصّة ويخضعها للّغات برمجية تحاكي قدرات اللّغة الطّبيعية وخصائصها.
- ظهور حواسيب سريعة تحاول تطوير نظم هندسية لمعالجة اللّغة آليًا في ظلّ القيود التي يفرضها المكان والزمان والكلفة.

1ـ سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط2، 2008م، ص: 530.

2ـ ينظر: نبيل علي، المرجع السابق، ص :114ـ 115ـ 116.

- ظهور وانبثاق النظم الخبيرة التي تحاكي مهام الخبراء البشريين خاصةً المتعلقة بتشخيص الأمراض وتقديم استشارات فنيّة وقانونية، وبعض النّظم الآلية للتّعليم الذّاتي.
- انتشار استخدام الحاسوب في مجال التّعليم وتعلم اللّغات وتعليمها.
- دخول تطبيقات الحاسوب في جميع العلوم الإنسانية (التّاريخ، علم الاجتماع، المنطق، الأدب، اللّغة، النّقد...).

بناءً على هذه الأسباب السّابقة الذكر، يمكننا القول بأنّ تأثير الحاسوب قد شمل الدّراسات اللّغوية واللّسانية وجعلها تتّجه نحو الدّقة العلمية والتّجريبية والرّمزنة، بالإضافة إلى ذلك فقد «استلهم الحاسوبيون حصيلة أبحاث اللّسانيين لتطوير خوارزمات تقبل الإدماج في برمجيات حاسوبيّة صُمّمت لأجل إنجاز معالجة آليّة للغات الطّبيعية وتفسير المحللات الصّرفية والتّركيبية الملائمة لوصف اللّغة الطبيعية»"[1]، وبهذا أصبح «الحاسوب وسيلة للدرس اللّغوي...(و) اللّغة هي وسيلة الحاسوب في تطوير مصمماته ونظمه»"[2] وجميع برامجه، ومنه اجتمع علم اللّغة مع علوم الحاسوب لتتولد لنا موجة بحثية ألسنية جديدة في البحث اللّساني عرفت باللّسانيات الحاسوبية أو علم اللّغة الحاسوبي، و« من هنا توجهت أنظار العلماء إلى الإفادة من ديناميات اللّغات الإنسانية في بناء النّظام اللّغوي للحاسوب»"[3].

1ـ امحمد الملاخ، حافظ إسماعيلي علوي، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص: 104.
2ـ نبيل علي، المرجع السابق، ص: 128ـ129.
3ـ سمير شريف استيتية، المرجع السابق، ص: 527.

3/3مفهوم اللّسانيات الحاسوبية:

تُعد اللّسانيات الحاسوبية من المفاهيم التي عرفت انتشارًا في الدّراسات الألسنيّة الحديثة والمعاصرة، فقد أدّى ظهور الحاسوب في القرن العشرين وتطور تطبيقاته وبرامجه واشتغال علماء اللّغة وبلغات متعددةٍ بهذه البرامج والتّطبيقات الجديدة إلى انبثاق علم بيني جديد يندرج ضمن علم اللّغة التّطبيقي (اللّسانيات التّطبيقية) يعرف بـ (اللّسانيات الحاسوبية، علم اللّغة الحاسوبي، اللّغويات الحاسوبية، الهندسة اللّسانية أو اللّغوية)"[1]، ومنه فإنّ هذا العلم علمٌ بيني حديث يجمع «بين اللّسانيات وعلم الحاسوب المعني بحوسبة جوانب الملكة اللّغوية»"[2] وبالتّالي فإنّ اللّسانيات الحاسوبية(الرتابية)* علم تتمّ به دراسة اللّغات الطّبيعية البشرية من وجهة نظرة حاسوبية رقمية أساسُها قولبة اللّغة إلى رموز رياضية جبرية يفهمها الجهاز الحوسبي الإلكتروني.

كما أشرنا سابقًا، فإنّ اللّسانيات الحاسوبية فرعٌ بيني نصفه ينتمي إلى مجال اللّغويات (لساني)، ونصفه الآخر حاسوبي هندسي، إنّه تخصص معرفي «تتلاقى فيه علوم الحاسوب وعلوم اللّسان، وهو ميدان علمي وتطبيقي واسع جدًا كما هو معروف إذ يشمل التّطبيقات الكثيرة كالتّرجمة الآلية، والإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية، وتعليم

1ـ ينظر: محمود سليمان الجعيدى، مشاريع حوسبة علوم اللغة العربية، مجلة علوم اللغة،كتاب دوري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، المجلد 11، العدد 03، 2008م، ص: 201ـ202.

2ـ نهاد الموسى، حصاد القرن في اللسانيات، ضمن كتاب حصاد القرن المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص: 47.

*ـ اللسانيات الرتابية مصطلح أطلقه الشيخ عبد الرحمن الحاج صالح. (ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 230.

اللّغات بالحاسوب»"[1] وغيرها من التّطبيقات الخاصة بالدّراسات اللغوية واللّسانيات، وعليه فهي مجال تتلاقح وتتداخل فيه التّصورات الألسنية والتّقانات الحاسوبية الآلية، أساسه الحاسوب بوصفه آلةٌ تقوم بكثير من الأنشطة والأعمال اللّغوية التي يؤديها العقل البشري، فهو «علمٌ بيني ينتسب إلى اللّسانيات من جهة التّنظير اللّساني، وينتسب إلى علوم الحاسوب من جهة تطبيق النّظريات الرّياضية والمنطقية»"[2].

بناءً على هذا، فإنّ علم اللّغة الحاسوبي يعد فرعًا أساسيًا من فروع نظرية الذّكاء الاصطناعي خاصةً جهاز الحاسوب وبرامجه المختلفة التي أصبحت تفيد جميع الدّراسات والنّظريات، إذ «لابُدّ من الاستفادة من التّقنية الحاسوبية في الدّراسات اللّغوية، فقد أضحى استخدام الحاسب الآلي في الدّرس اللّغوي منتشرًا انتشارًا واسعًا مما أدى بدوره إلى نهوض كثير من الفروع اللغوية كالترجمة والتصريف ونحوها»"[3]، وبالتالي فقد تشارك في هذا التّوجه كل من اللّغويين والحاسوبيين ليُأسّسوا فرعًا جديدًا قِوامها المُعالجة الآلية للّغة والهندسة اللّغوية.

وممّا ينبغي الإشارة إليه هنا هو أنّ اللّسانيات الحاسوبية أصبحت «مرادفًا للمعالجة الآلية للغة الطّبيعية»"[4] لأنّ هدفها كما هو معلوم محاولة بناء وإنشاء برامج حاسوبية تقوم بمعالجة مستويات اللّغة، وبالتّالي فإنّ «منحى اللّسانيات الحاسوبية هو لساني أكثر

1. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، دار موفم للنشر، الجزائر، 2012م، ص: 231.
2. وليد أحمد العناتي، الدليل نحو بناء قاعدة بيانات للسانيات الحاسوبية العربية، ص: 84-85.
3. أحمد علي، سامي عبد الحميد، محمود عبد العزيز، حوسبة اللغة العربية بين الواقع والمأمول (منهج مقترح لأقسام اللغة العربية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز)، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ص: 3927.
4. بابا أحمد رضا، توليد الجمل في اللسان العربي (دراسة لسانية حاسوبية)، ص: 57.

منه حاسوبي بمعنى أنّ الباحثين فيها يهتمون بالوصف الصّوري للّغة بدلاً من اهتمامهم بالمشاكل الخوارزمية التي يمكن أن تصادف لدى القيام بعملية الصورنة»"[1]"والتّحليل اللّغوي، كما أنّه عن طريق البرامج المحوسبة نستطيع تصميم وإنشاء برامج لدراسة الظّواهر اللّغوية بجميع مستوياتها الصّوتية والصّرفية والتّركيبية والدّلالية"[2]"، من هنا تنقل الحوسبة الدّراسة اللّغوية من الوصف إلى التّوصيف من المعالجة الوصفية التّفسيرية إلى المعالجة الآلية الهندسيّة التّجريبية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ اللّسانيات الحاسوبية ميدان بحثي دقيقٌ يمكن إدراجه ضمن العلوم الصّلبة* الرّقمية التي تركز على التّجريب والهندسة والآلة في معالجة اللّغة، فهي «محاكاة العقل البشري في فهم الظاهرة اللّغوية تنظيرًا وإنجازًا، ولذلك جمع هذا الحقل من المعرفة بين اللّسانيات والذّكاء الاصطناعي والإعلامية والرّياضيات والمنطق بهدف نقل الذّكاء البشري إلى الذّكاء الحاسوبي، ممّا يمكّنه من تحليل النّظام اللغوي تحليلاً آليًا متعدد المستويات وبأسرع وقت ممكن»"[3]"، هذه المحاكاة التي تسعى إلى جعل الآلة تقوم بما يقوم به العقل البشري ،تستدعي حضور وتمازج عدة علوم ومجالاتٍ منها الرّياضيات والمعلوماتية وعلم المنطق، وعلم الذّكاء الاصطناعي.

4/3المجالات التّطبيقية للسانيات الحاسوبية:

1ـ المرجع نفسه، ص: 57.

2ـ ينظر: سمير شريف استيتية، المرجع السابق، ص: 531.

*العلوم الصلبة: هي العلوم الأساسية الدقيقة التي تشمل الكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلوم الأحياء.

3ـ خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص: 30ـ31.

تعددّت وتفاوتت مجالات اللّسانيات الحاسوبية وتطبيقاتها العملية باعتبارها مجال وميدان بحثي إجرائي تحليلي توصيفي لمستويات اللّغة، ولعَلّ من بين مجالاتها البحثية الرئيسة التي ذكرها نبيل علي في كتابه اللّغة العربية والحاسوب نجد:"[1]"

- الإحصاء اللّغوي.
- التّحليل والتركيب اللغويان.
- الفهم الأوتوماتي للسّياق.
- تحليل النّصوص أو الإنتاج اللّغوي
- ميكنة المعجم.
- التّرجمة الآلية.
- تعليم اللّغة باستخدام الحاسوب.

ومن زاوية أخرى، فإنّ بعض المتخصّصين في مجال علم اللغة الحاسوبي يرون بأنّ هذا المجال يرتكز ويستند في الأساس على ثلاثة أنواع ومن التّطبيقات والمعالجات الحاسوبية، وهي:"[2]"

- تطبيقات التّرجمة الآلية (الإلكترونية).
- تطبيقات نظم الاسترجاع الآلي المعلومات.
- تطبيقات الأنظمة التّفاعلية.

1ـ نبيل علي، المرجع السابق، ص: 130ـ131.

2ـ ينظر: محمود سليمان الجعيدى، مشاريع حوسبة علوم اللغة العربية، ص: 215.

فهذه التّطبيقات السّابقة الذّكر تبرز لنا مدى تأثير الحاسوبيات في جميع الدّراسات، فقد «ضربت بعمق في كل العلوم النّظرية والتّطبيقية، وتطورت هذه التّطبيقات (البرامج) بشكل ملحوظ مع نهايات القرن الماضي وبدايات هذا القرن، مع التّطور السّريع والمتلاحق لوسائل الاتّصال والبرمجة»"[1]، فشملت الدّراسات اللّغوية وطال تأثيرها مستويات اللّغة بصفة عامة صوتًا وصرفًا ونحوًا ومعجما ودلالةً، وعليه سوف نحاول الإشارة إلى آليات اشتغال هذه المستويات في ظل نظرية الذّكاء الاصطناعي والحاسوبيات.

5/3المعالجة الآلية لمستويات اللّغة في ظل نظرية الذّكاء الاصطناعي والحاسوبيات:

تُعد اللغة بجميع مستوياتها من الأنظمة والمجالات التي طالتها نظرية الذّكاء الاصطناعي، حيثُ «إنّ حوسبة معالجة اللّغة تعتبر أحد أهم تطبيقات الذّكاء الاصطناعي والذي يهدف إلى محاكاة الذّكاء البشري»"[2]، باعتبار أنّ العمليات التي تجري في الذّهن البشري تشبه إلى حد كبير ما تقوم به الآلة، ومن هنا فإنّ معالجة اللّغة في ظلّ الذّكاء الاصطناعي تمر بمستويات عدة بدءًا من الصّوت وصولاً إلى الخطاب"[3].

1. المرجع نفسه، ص: 223.

2ـ وليد بن عبد الله الصانع، طرق ومستويات اللغة في الذكاء الاصطناعي، ضمن كتاب خوازميات الذكاء الاصطناعي في تحليل النص العربي، مباحث لغوية 61، مؤلف جماعي، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، ط1، 2019م، ص: 17.

3ـ المرجع نفسه، ص: 17.

1/5/3ـ طبيعة اشتغال الصّوت في رحاب نظرية الذّكاء الاصطناعي:

يُعد الصّوت أوّل مستوى من مستويات اللّغة، فـ «الصّوت الإنساني مادة اللّغة الأولى في الدّراسة اللّغوية»"[1]، وهو منطلق وأساس أيّ دراسة لسانيّة «يعنى بتناول أصغر جزءٍ لغويّ هو المقطع، قبل أن يساهم في التّشكيل الكلامي»"[2]، أيْ إنّه قاعدة الدّراسة اللّغوية وهو مبحثها الرئيس.

والمعلوم أنّ الدّراسة الصّوتية قد شهدت « تحولات منهجية وإجرائية ارتقائية تشكّلت معالمها تساوقا وبواكير انبثاق معالم الدّرس الصّوتي التّراثي وصولاً إلى تلك المرحلة الفيصلية التي انخرطت ضمن مشروع لساني اخترق مجال الذّكاء الاصطناعي»"[3]، وبذلك دخل الصّوت مرحلة جديدة تجاوزت الدّراسات التّراثية القديمة وتوجه نحو الآلة والمقاربة الحوسبيّة، و «لم يعُد الدّرس الصّوتي يركن إلى الفاعلية الفذة التي ينتجها الذّكاء الطبيعي، والقراءات التّأملية لهيئات الأداء التّلفظي»"[4] بلْ اتّخذ سبيلاً تجديديًا من خلال مواكبته للتّطور التّكنولوجي الذي شهده العالم، وبالتّالي «لم تكتف النظرية الصّوتية (الفونتيكية) باستثمار المعارف الإجرائية التي تطرحها المباحث الفيزيولوجية والفيزيائية وما تمخض عنها من تفاصيل تشريحية وأكوستيكية، وإنّما اختبرت الإمكانات التي أفرزتها نظرية الذكاء الاصطناعي التي اعتمدت على ثوابت إجرائية تتّسم

1ـ عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية، الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992، ص: 5.

2ـ براهيمي بوداود، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، رسالة ماجستير، إشراف مكي درار، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2007/2006م، ص: 3

3ـ الصوتيات، قضايا ودراسات، تقديم براهيمي بوداود، تأليف مجموعة من الباحثين، ص: 15.

4ـ المرجع نفسه، ص: 15.

بتقنيّة عالية، اكتسبت ملامحها بفعل اختراق الفضاءات المعرفية ذات البُعد الإدراكي العصبي والملمح التّقني الرّقمي»"[1].

بناءً على هذا الطّرح، فإنّ الدّراسة الصّوتية في ظلّ الرّقمنة والحوسبة قد حقّقت تقدمًا ملحوظًا في كل الجهات من خلال ارتكازها على الطُرق التّجريبية والاستخدام الأوسع للآلات، فاكتسبت بذلك مكانةً وأهمية استطاعت بفضلها إنجاز مشروعات ألسنية كبيرة في هذا العصر"[2].

وممّا ينبغي الإشارة إليه هنا هو أنّ علم الأصوات يُعدّ «أحد فروع علوم اللّسانيات، ويشكّل المستوى الأدنى من مستويات الدّراسات اللّغوية، حيث تكون المستويات الأعلى (علوم الدّلالة والنّحو والصّرف والمعاجم) عقلية مجردة بينما الصّوتيات علمٌ ملموس»"[3]، ونظرًا لهذا أصبح المجال الأرحب للمقاربة والمعالجة الآلية، وما ساعد على ذلك هو أنّه علمٌ «يتعلق بأصوات اللّغة من حيث مخارجها وخصائصها الأكوستيكية وسماعها، وله ارتباط مُباشر بعلم لساني آخر أعلى منه وهو الفُونولوجيا الذي يشمل دراسة النّظام الصّوتي للّغة وعلاقة الأصوات ببعضها و تأثير بعضها على بعض»"[4].

1ـ نصيرة بن شيحة، الأنموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من رحاب الذكاء الفطري إلى فضاء الذكاء الاصطناعي، ص: 81.

2ـ ينظر: إفيتش ميلكا، اتجاهات البحث اللساني، ص: 184.

3 ـ منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات الحاسوبية، مؤلف جماعي (مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية)، مباحث لغوية 30، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، 2017م، المملكة العربية السعودية، ص: 13.

4 ـ المرجع نفسه، ص: 13.

بناءً على هذا، فإنّ علم الأصوات والفونولوجيا عِلمَان لا يمكن أنْ نفصل بينهما، فقد «ظلّ علم الأصوات على العموم ثانويًا ومساعدًا للفونولوجيا، وعلمًا يعتني بالواقع المادّي والملموس، وعلمًا قائمًا على الملاحظة والقياس والتّجريب، في حين بقيت الفونولوجيا علمًا أساسيًا يعتني بالواقع الذّهني للتّنظيم الصّوتي وقائمًا على التّجريد والشكلانية»"[1].

وبهذا، فقد أصبح علم الأصوات علمًا مستقلاً بذاته، له أهمية وشأنٌ مثله مثل العلوم الصّلبة التي ترتهن إلى إغراءات الآلة والزمن التّقني التّكنولوجي، ولعلّ الصّوت اللّغوي يمرّ بمراحل يمكن الإشارة إليها قبل الحديث عن المعالجة الآلية له، وهي:"[2]

- **مرحلة الإصدار:** يمثلها الجانب النّطقي للمتكلم، أي خروج الأصوات من فمِ المتكلم، وهذا مجال علم الأصوات النّطقي أو العضوي أو الفيزيولوجي.
- **مرحلة الانتشار:** وتتمثل في الذّبذبات أو الموجات الصّادرة من فم المتكلم والمنتشرة في الهواء لتصل إلى المُستمع وهذا مجال علمُ الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي.
- **مرحلة الاستقبال:** وتتمثل في الجهاز السّمعي لدى السّامع وكيفية وُصول الصّوت الصّادر عن المتكلم والمنتشر في الهواء، ليصل إلى أذنه، وهذا مجال اختصّ به علمُ الأصوات السّمعي.

1 ـ مبارك حنون، في الصواتة الزمنية، الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003م، ص: 39.

2 ـ راضية بن عريبة، الصوت اللغوي والحوسبة الآلية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، المجلد 1، العدد 2، 2009م، ص: 95.

انطلاقًا ممّا ذكرنا سالفًا، لمراحل انتقال الصّوت اللّغوي يظهر لنا بأنّ الصّوت البشري من مرحلة الإصدار إلى مرحلة الاستقبال يمكن إخضاعه لمعالجة آلية رقمية تستدعي وُجود آلاتٍ وتِقاناتٍ مخبرية، وبجميع أنواعه المذكورة سابقًا (النّطقي، الأكوستيكي، السّمعي).

وتأسيسًا لما تقدم، فإنّ الدّراسة الصّوتية بجميع تمظهراتها وتجلياتها قد دخلت مرحلة الدّراسة العلمية التي «انعطفت بسيرورة الطّرح الصّوتي من إطار التّنظير السّطحي والتّقسيم الفيزيولوجي المجرّد إلى رحاب ترتاد أفق المُعاينة الآلية، ممّا أفضى إلى إفراز عددٍ من الدّراسات العلمية»"[1]، وذلك من خلال استعمال آلات وأجهزة مخبريّة ساعدت «على إعطاء إجاباتٍ صحيحةٍ لتساؤلاتٍ أساسيةٍ كثيرةٍ في الصوتياتِ، بل إنّ هذه الآلات قد ساعدت على توسيع دائرة الهُموم العلميّة، وبسط مجال البحث الصّوتي على نحوٍ فاق أحلام الباحثين»"[2] والدّارسين آنذاك.

وبذلك، فقد تمخض عن هذا التّحول دخول علم الأصوات ضمن العلوم الدّقيقة الصّلبة حيث «جرى إدخال تحسينات جذرية على طرق التّحليل المنضبطة في الصّوتيات، وذلك بفضل الإلكترونيات»"[3] والبرمجيّات الجديدة، التي استطاعت أن تُعالج الصّوت معالجةً آلية قِوامها الرّمزنة، فبظهور هذه البرامج المنبثقة عن علم الذّكاء الاصطناعي، استطاع الدّرس الصّوتي أن يتطور وأن يُؤسس قاعدةً صلبةً له ومكانةً

1 ـ نصيرة بن شيحة، المرجع السابق، ص: 85.
2 ـ ميلكا إفيتش، المرجع السابق، ص: 182.
3 ـ المرجع نفسه، ص: 182.

بين العلوم الأخرى من خلال الاعتماد «على قواعد علمية صلبة فيما يتعلق بجمع قواعد البيانات ذات العلاقة بأصوات اللّغة أو الدّراسات والاستنتاجات ممّا مهّد لتطبيقات عملية في حياة النّاس كاكتساب أصوات اللّغة (بالنّسبة للأطفال كلغةٍ أُمّ، وللكبار كلغةٍ أجنبية، وعلاج عيوب التّخاطب، واختبارات اللّغة، والتّعرف على المتحدّث، والتّواصل مع الآلة صوتيًا، والتّعرف الآلي على الكلام، وتوليد الكلام آليًا»"[1]، وعليه فقد ساعد كل هذا التّطور والتّنقل العلمي من تيسير الدّرس الصّوتي، «وأصبح من المُمكن تعويض النّقص في الوسائل واستغلال الآلة استغلالاً جيدًا يعين على التّثبت ممّا تقرره الملاحظة»"[2].

ومن هنا، فقد كان للذّكاء الاصطناعي فضلٌ كبيرٌ في تطوير مجالات البحث الصّوتي، حيث ظهرت عديد البرامج التي تعالج الصّوت معالجة آلية خاصة في جانبه الأكوستيكي، إذ «ساهم الفيزيائيون وعلماء الأعصاب والتّشريح في دراسة الكلام فدخل إلى الوصف العضوي للأصوات الوصفُ الفيزيائي لما يحدث أثناء انتقال الصّوت إلى السّامع، واستفاد اللّغويون كذلك من الأجهزة التي يستعملها الفيزيائيون وعلماء التّشريح والأعصاب»"[3]، ولعلّ من بين هذه البرامج والأجهزة جهاز المطياف" **sepctrograph**"، الذي «أحدث ثورةً حقيقيةً في الصّوتيات، وهو جهاز يجعل رؤية الصّوت ممكنة، فالحزم المكونة التي تميز الأصوات تظهر للعين على هيئة خطٍ»"[4]،

---

1 ـ منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات الحاسوبية، ص: 16.

2 ـ سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة السعودية، ط1، 1983م، ص: 10.

3 ـ عبد الرحمن أيوب، تحليل عملية التكلم وبعض نتائجه التطبيقية، مجلة عالم الفكر، الألسنية، المجلد العشرون، العدد الثالث، 1989م، ص: 29.

4 ـ ميلكا إفيتش، المرجع السابق، ص: 184.

كما أنّه يمكن من رؤية الإشارة الصّوتية بثلاثة أبعاد: الزّمن والتّردد وشِدّة كُلّ تردّد مما سهّل على الباحثين والمطورين دراسة الأصوات اللّغوية وتطوير النُظم الإلكترونية والحاسوبية ذات العلاقة بها»"[1].

وعليه، فإنّ جهاز المطياف يعتبر من الأجهزة الفاعلة التي أدّت إلى تطوير الدّراسات الصّوتية، حيث «أثبتت تسجيلات أجهزة الرّسم الطّيفي جدواها، فحين تتحول ظاهرة أكوستيكية إلى ظاهرةٍ مرئية تتوافر إمكانات أكبر لرصد ما هو حيوي لتحقيق الوضوح»"[2]، واليقينية بعيدًا عن التّخمين والرّيب، إذ «تمكّن الإنسان مع نهاية القرن العشرين من التّحول إلى التّقنية الرّقمية، حيث تحول الموجة الصّوتية إلى أرقام يمكن التّعامل معها بسهولة في الحفظ أو الإرسال والاستقبال أو التّحليل والتّشفير»"[3].

ولعلّ من بين برمجيات تحليل الموجات الصّوتية المفتوحة التي يستخدمها مؤخرًا دارسُو موجات الكلام وكذلك مُطورو النظم الحاسوبية ذات العلاقة بها، نجدُ برنامج ***Praat***، ***WaveSurfer***، ***Wasp*** ...وغيرها.

ويُعد برنامج **برات** ***Pratt*** من البرامج الحاسوبية المعالجة للصّوت اللّغوي آليًا، وهو« يعمل على معالجة الموجات الصّوتية، قام بإعداده كل من **ديفيد وينك** ***David Weenk***، **وبول بورسما** ***Paul Borsma*** من معهد علوم الصّوتيات بجامعة

1 ـ منصور بن محمد الغامدي، المرجع السابق، ص:21.
2 ـ ميلكا إفيتش، المرجع السابق، ص: 185.
3 ـ منصور بن محمد الغامدي، المرجع السابق، ص: 26.

أمستردام»"[1]، هذا البرنامج المُستحدث في ضوء تطبيقات الذّكاء الاصطناعي والحاسوبيات قد شكّل نقلةً نوعيةً للدّرس الصّوتي، إذ إنّه «يمكّن من أداء مهام عديدة لتحليل الصّوت، ويسمح بإجراء عمليات التّركيب الآلي في الكَلام، وتوظيفٍ مختلف البيانات القاعدية لــ (التّحليل الصّوتي، والبناء الكلامي، والنّحو...)»"[2]

كما تتلخص مهام برنامج برات الحاسوبية في:"[3]

- تسجيل الملفات الصّوتية السّمعية التي توضع قيد التّحليل.
- إجراء تحاليل صوتية، وأكوستيكية على مستوى المقاطع (سبكتروغرام، تحليل الحزم الصّوتية).
- تغيير الخصائص الفيزيائية للصّوت (تصفية، ترشيح، محاكاة، تبدلات التّنغيم)
- إحداث التّركيب الكلامي من خلال (تفعيل مؤثرات صوتية جديدة، وتغيير البيانات القاعدية الرّقمية).
- استعمال البرنامج كأداة تعليمية للنّطق السّليم.
- إجراء التّحاليل والمراجعات الإحصائية لمختلف الأبعاد من خلال الدّراسات الصّوتية.

1ـ جاسم محمد زهراء، طريقة عمل برنامج برات وتحليل القصائد صوتيا ومخبريا، المخبر الصوتي، جامعة ذي قار، كلية الآداب، ص: 2.

2 ـ ابراهيمي بوداود، الطبيعة الفيزيائية لمنطوق الهمزة العربية، الملتقى الوطني اللغة العربية والتقانات الحديثة، الجزء الأول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018، ص: 283.

3 ـ المرجع نفسه، ص: 283.

بناءً على هذا، فإنّ الدّرس الصّوتي في ضوء معطيات الذّكاء الاصطناعي قد عرف قفزةً نوعيةً، جعلته ينتقل من المرحلة السّطحية السّاذجة التي تعتمد الوصف، إلى مرحلة متطورة تعتمد التّوصيف والتّحليل التّجريبي الرّقمي بواسطة الحاسب الآلي الذي كشف عن «تفاصيل دقيقة عن الجهاز الصّوتي عن طريق علوم التّشريح ووظائف الأعضاء والصّوتيات، وهذه العلوم في الأزمنة المتأخرة اعتمدت على علوم وتقنيات طُورت من قبل متخصصين في الهندسة الكهربائية والإلكترونيات والحوسبة»"[1]. ولعلّ من بين الأجهزة التي استخدمت في معالجة الصّوت اللّغوي في ضوء نظرية الذّكاء الاصطناعي والحاسوبيات نجد:"[2]

- **الأشّعة السّينية (إكسن):** التي تستعمل لدراسة موقع كل عضوٍ من أعضاء الكلام عند أيّ نقطة في أثناء الكلام.
- **جهاز المطياف الصّوتي:** الذي يحول الكلام إلى صورٍ مرئيةٍ، تُظهر ذبذبة الكلام وأبعاده الزّمنية، وتفاوت درجات شدّته بحسب مصدره، فيتعرف القارئ من خلاله على مواقع الحركات، ومقادير المُدود والغُنن والتّنغيم والنّبر.
- **مقياس انسياب الهواء:** لقياس كمية الهواء الخارجة من الجهاز الصّوتي، المصاحبة لنطق كل صوت من أصوات اللّغة في أثناء الكلام.
- **منظار الحُنجرة:** لتصوير أعضاء النّطق في الحلق والحنجرة في أثناء الكلام.

1 ـ عبد الله بن مهدي الأنصاري، الدرس النحوي في ضوء الحاسب الآلي، المؤتمر الدولي اللغة العربية ومواكبة العصر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2012، ص: 254.

2 ـ المرجع نفسه، ص: 255.

- **مكهار العضلات:** وهُو يستخدم لتعيين عضلة نطق الصّوت اللّغوي من بين العضلات التي تُقارب مائة عضلةٍ تتحكم في الجهاز الصّوتي.
- **رسام الحنك الإلكتروني:** الذي يستخدم لمتابعة التصاق أجزاء اللّسان بالحنك والمراحل التي تمُر بها.
- **رسام الحنجرة الإلكتروني:** ويُستخدم لمتابعة حركة الوترين الصّوتيين ووضعهما في أثناء الكلام.

في ضوء هذه النّقلة العلمية وإزاء هذا التّحول الذي شهدته الدّراسة الصّوتية، سنحاول الحديث عن المعالجة الآلية للصّوت اللّغوي، والذي يتم وفق مرحلتين أساسيتين هما:"[1]

أ-مرحلة ما قبل المُعالجة: وتتم خلالها عدة عمليات وتشمل:

- التقاط الصّوت في شكل موجة تحمل قيمًا تماثلية مع تخزينه.
- التّرشيح وفيه يتم تصفية الصّوت وعزله عن المتحدث لوضع قواعد صوتية خاصة به.
- التّكميم: ويتمُ فيه تحديد كمية الصّوت من أجل رقمنته وترميزه.
- التّقطيع: الإشارة الصّوتية غالبًا ما تكون مستمرة ولذلك تُقطّع إلى عيناتٍ للدراسة

ب-مرحلة ما بعد المعالجة: أيْ بعد معالجة الصّوت عن طريق البرنامج ويتمُ فيها:

- تصنيف العينة الصّوتية.

---

1 ـ راضية بن عريبة، محاضرات في اللسانيات الحاسوبية، ألفا دوك للنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2017م ص: 57ـ58.

- تعرف الحاسوب على العيّنة الصّوتية بعد معالجتها آليًا، وبعد تحويلها إلى قيمٍ رقميةٍ عن طريق البرنامج الذي يعرض الصّوت في شكل صور طيفية متعددة الألوان والدّرجات مزودة بمعطيات.
- التّحويل وأخذ القرار، حيث يقوم الحاسوب بتحويل العيّنات من قيم رقميةٍ إلى قيمٍ تماثلية لكي يتمكن المعالج اللّغوي الحاسوبي من فهمها، وضبط النّتيجة وأخذ القرار.
- حفظ المعلومات المستنتجة خلال المعالجة الآلية في ملف وإخراجها وقت الحاجة (التّخزين).

وفقًا لهذه المراحل، فإنّ المعالجة الآلية للصّوت اللّغوي أساسُها برمجي تقنيّ رقميّ، تتضافر فيها جهود كُل من بين الحاسوبي واللّغوي، ويمكن أن نشير لتلك المعالجة حسب المخطط الآتي:"[1]

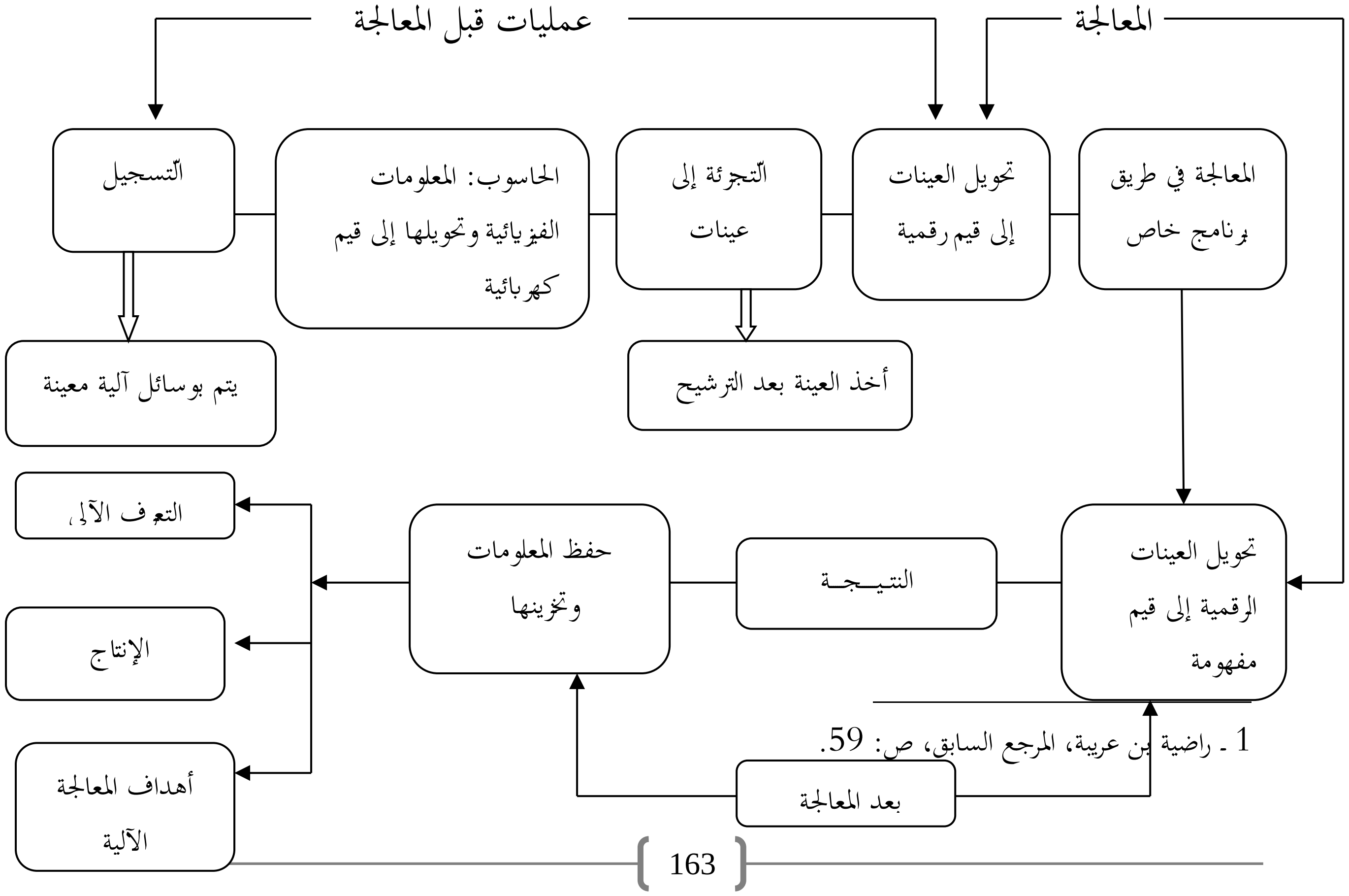

1 ـ راضية بن عريبة، المرجع السابق، ص: 59.

ـ المعالجة الآلية للصّوت اللّغوي ـ

وفي أثناء هذه المعالجة الآليّة للصّوت اللّغوي، لابدّ للدارس أنّ يستعين بأجهزة التّسجيل والتّحليل اللاّزمة والمتمثلة في:"[1]"

- المسجل: هذا الجهاز الذي يقوم بتسجيل الصّوت الوارد إليه عبر ميكروفون ثم يعيده بعد عملية التّسجيل مباشرة
- السّماعات والميكروفون.
- مكبر الصّوت.
- الحاسوب.
- البرنامج: ومهمته القيام بالتّحليل وعرض النّتائج بدقّة متناهية سواء في التّمثيل البياني للموجة الصّوتيّة المراد معالجتها، أم أثناء التّحليل الطّيفي لها، وتُوجد عدّة برامج لتحليل الصّوت مثل برنامج محلل الصّوت ***Speech Analyzer***
- القُرص: اللّين أو الصلب وذلك لحفظ المعلومات وتخزينها واسترجاعها عند الحاجة.

استنادًا إلى ما تمّ الإشارة إليه سابقًا، فإنّه يمكننا القول بأنّ آلية اشتغال الصّوت في ضوء نظرية الذّكاء الاصطناعي والحوسبة اللّغوية عملية معقدة تستند إلى معالجة ذهنية عصبية قِوامها الجانب الذّهنوي للصّوت، حيث يتم تزويد الآلة ببرمجيات حاسوبية تعكس

1 ـ راضية بن عريبة، المرجع السابق، ص: 60.

لنا التّمثلات الذّهنية الخفية للصّوت، ومعالجة حاسوبية مخبرية أساسُها الواقع الإنجازي للصّوت اللّغوي وذلك من خلال تزويد البرامج والآلات بالمادة الصّوتية المنطوقُة.

2/5/3طبيعة اشتغال النّحو في رحاب نظرية الذّكاء الاصطناعي:

يُعدّ النحو من مستويات اللّغة المهمّة، وهو ثالث المستويات بعد المستوى الصّوتي والصّرفي، حيث «يتّصل بمجالات الدّراسات اللّغوية الرّئيسة بعامّة، لأنّها إمّا تمهيدٌ لخطواته الأولى، كالأصوات والبنى الصّرفية، وإمّا مكوّناتٌ لنظامه وأنساقه كالمفردات المعجمية والأدوات التّركيبية، وإمّا مفاهيم إطاره العامّ الذي تنبئ عنه الجمل ودلالات المضامين»"1"، أي، إنّ المستوى النّحوي مستوًى أساسيٌ لجميع المستويات الأخرى، ولعلّ هذه الأهمّية تجعله من المكوّنات التي نالتِ الحظّ الأوفر من الدّراسة والمعالجة التّطبيقية والحاسوبية، إذ «تحتلّ أبحاث التّركيب (النّحو) الجزء الأكبر من الدّراسات التّطبيقية، حيث اعتمدت في الغالب على النّظرية التّوليدية التّحويلية، كما نجد عند ميشال زكريا في دراساتٍ عديدة، مثل (الألسنية التّوليدية والتّحويلية وقواعد اللّغة العربية» "2"، وعليه فهو يمثّل صلب الدّراسات اللّغوية الممتزجة مع الحاسوبيات وبرامج الذّكاء الاصطناعي، إذ «مع تطوّر نُظم المعالجة الحاسوبية وتطوّر بحوث علم اللّغة الحاسوبي ثبت بما لا يدع مجالاً للشّكّ، فشل نظام الأنماط اللّغوية، حيث يتناقض في جوهره مع

1ـ عبد الله بن مهدي الأنصاري، المرجع السابق، ص: 247.

2ـ نورة مطلق سعد الوطري، مريم سعيد بالعجيد، حوسبة النّحو العربي بين الواقع والمأمول، مجلّة فصل الخطاب، مجلّد10، رقم03، سبتمبر2021، ص: 263.262.

لانهائية التّركيبات اللّغوية»"[1]" والتّنوّع اللّغوي ومنه فالنّحو يعدّ «بمثابة تجريدٍ للظّاهر اللّغوي من خلال أبجديةٍ نحويةٍ يطلق عليها (لغة وصف اللّغة) أو (ميتا ـ لغة) التي تشتمل كلّ الرّموز والاصطلاحات التي تستخدم لتوصيف القواعد والعلاقات النّحوية» "[2]".

وعلى هذا الأساس، اتّجهتِ الدّراسات صوب المعالجة الحاسوبية للنّحو، هذه المعالجة التي تقوم فيها المحلّلات النّحوية «على تعيين التّحليل الصّرفي والنّحوي للكلمة عن طريق البحث في القواميس المرفقة التي تحتوي على جميع التّحليلات الصرفية المحتملة للكلمة، حيث تقوم المحلّلات النّحوية بالرّجوع إلى سياق النّصّ لاختيار التّحليل الصّرفي المناسب» "[3]"، ومنه فإنّ التّحليل الحوسبي للنّحو قوامه التّحليل الصّرفي للكلمات، والدّرس النّحوي لكي يكتمل حاسوبيًا مشروطٌ باكتمال أركان ومستويات التّحليل عامّة، وهي: "[4]"

- التّحليل الصّوتي الدّقيق للمواد اللّغوية لأمن اللّبس.
- التّحليل الصّرفي الكامل والدّقيق لجميع مفردات اللّغة، ولا سيما الأوزان والصّيغ.
- التّحليل التّركيبي الشّامل للسّياقات المحتملة لكلّ لفظة.
- التّوصيف الكتابي ـ الإملائي ـ الدّقيق لكلّ كلمة.

1ـ محمود سليمان الجعيدى، مشاريع حوسبة علوم اللّغة العربية، مجلّة علوم اللّغة، ص: 245.

2ـ علي نبيل، اللّغة العربية والحاسوب، ص: 336.

3ـ مجدي صوالحه وإيرك أتول توظيف قواعد النّحو والصّرف في بناء محلّلٍ صرفي للّغة العربية، جامعة ليدز المملكة المتّحدة، ص: 1.

4ـ يُنظر: عبد الله بن مهدي الأنصاري، المرجع السابق، ص: 262.

وفقًا لهذا، فإنّ التّحليل النّحوي الحاسوبي بحاجةٍ إلى كلّ المستويات السّابقة لكي يحقّق نتائج يقينية، إذ أهمّ ما يستفيده «الدّرس النّحوي من خدمة الحاسب الآلي تحليل الأصوات إلى عناصرها التي تكوّنت منها...ذلك أنّ الصّوت يتكوّن من أجزاء متنوّعةٍ متفاوتةٍ في درجاتِها من جهة الطّول والقصر، والرّقة والفخامة...وغيرها»"[1] ويحتاج إلى التّحليل الصّرفي الذي يعدّ الخطوة الثّانية بعد التّحليل الصّوتي، فهو يعتمد على تنظيم الوحدات الصّرفية وترتيبها مع وضع رمزٍ لكلّ وحدةٍ ليتعرّف عليها الجهاز الآلي"[2]

وحريٌ بنا هنا أن نشير إلى أنّ حوسبة النّحو تمرّ بخطوات، مثلها مثل الأنظمة الصّوتية والصّرفية والدّلالية والتّركيبية، ولعلّ من أهمّها: "[3]

أ- الخطوة التّمهيدية: وتكون من قبل مصمّم الحاسب، حيث يقوم بالنّمذجة وتقسيم النّظام الآلي إلى أجزاء وتكويناتٍ داخليةٍ بطريقةٍ يكون بها كلّ جزءٍ مستقلاً نسبيا، ثمّ يقوم المبرمجة بتصميم نموذجٍ مجرّدٍ ومبسّط، ثمّ يطوّره شيئًا فشيئا.

ب - الخطوة اللّغوية: ويتمّ فيها تحليل الجملة لفهم معناها وتحديد جميع عناصرها وأجزائها لمعرفة طبيعتها، وينفّذ هذا حاسوبيًا بترجمة لغة الجملة المُدخلة في الحاسوب إلى أجزاءَ مجرّدةٍ دلاليةٍ غير مركّبة، عن طريق الرّمز أو تحويلها إلى لغةٍ مصطنعةٍ من اللّغات

1- عبد الله بن مهدي الأنصاري، المرجع السابق، ص: 263.
2- يُنظر: المرجع نفسه، ص: 267.
3- يُنظر: المرجع نفسه، ص: 270-271.

التي صمّم الحاسوب عليها، كاللّغة الخاصّة بأنظمة إدارة قواعد البيانات، ولمعرفة الخصائص النّحوية والصّرفية آليًا يتبع غالبًا طريقان، هما:

- عرض النّصّ المراد تحليله على قواعد وقوانين لغويةٍ قد أعدّت وبرمجت في الجهاز الآلي سابقا.
- تخزين عددٍ كبيرٍ من النّصوص المحلّلة يدويًا في الجهاز الآلي، لكي تكون نموذجا لغويًا يقاس عليه.

بناءً على هذه الخطوات، فإنّ المعالجة الآلية للنّحو هدفها ترميز القاعدة النّحوية وتحويلها إلى لغةٍ اصطناعية، وذلك من خلال «إعادة صياغة قواعد النّحو واللّغة صياغةً رياضيةً منطقيةً في شكل نماذج هندسيةٍ يفهمها الحاسوب ويتمكّن من التّعامل معها بمرونةٍ بغرض معالجة تلك البيانات لإخراج النّتائج في صورة معلوماتٍ لغويةٍ آليةٍ مفيدة»"[1]، وبهذا تصبح هندسة النّحو وحوسبته ضرورةً ملحّة، لأنّها أساس المعالجة الآلية للّغات الطّبيعية، وبها تتكوّن المنظومة النّحوية التي تمتاز بالمرونة والسّهولة، فـ «الإفادة من التّقنية الحاسوبية في الدّراسات النّحوية أصبح ملحًّا في عصرنا، هذا لأنّ استخدام الحاسب في الأعمال اللّغوية قد انتشر انتشارًا واسعا، وقد نهضتِ الدّراسات اللّغوية على هذا الأساس نهوضًا يضاهي التّطوّر الحديث في سائر أنماط النّشاط البشري» "[2].

1ـ نورة مطلق سعد الوطري، مريم سعيد بالعجيد، حوسبة النّحو العربي بين الواقع والمأمول، ص: 264.

2ـ أحمد علي لقم، حوسبة النّحو العربي (الواقع ــ المعوّقات ــ التّحدّيات)، مجلّة الدّراسات الإسلامية والفكر للبحوث التّخصّصية، المجلّد 6، العدد 1، يناير2020م، ص: 155.

وعلى هذا الأساس، وفي ضوء هذا التّطوّر المعرفي الذي عرفته الدّراسات اللّغوية الحاسوبية سنحاول الوقوف على أهمّ طرائق ومحلّلات النّحو الحاسوبية، والتي نذكر منها: "[1]"

- **التّحليل السّطحي:** وهذا التّحليل يهدف إلى معرفة المكوّنات النّحوية التي تحتويها الجملة دون معرفةٍ للعلاقات التي تربط بين عناصرها من تكرارٍ وترابط، فغرض هذا التّحليل إذن هو الحصول على نتائج قليلةٍ في عناصر ومكوّنات الجملة، لكنّ ذلك يكون بسرعةٍ كبيرةٍ ومؤكّدة، وعليه فهذا التّحليل له فائدةٌ كبيرةٌ من حيث التّطبيقات الآلية للمعالجة النّحوية، مثل التّرجمة والتّلخيص الآلي وفهم الجمل دلاليا، لكنّ فائدته تكمن في تقطيع الجمل ومعرفة مكوّناتها، ثمّ استخراج الصّفات منها.
- **التّحليل بالمتابعة:** هذا التّحليل يعتمد على ربط كلمات الجملة مع بعضها، حيث كلّ كلمةٍ نحدّد مكوّناتها (أداة التّعريف، الضّمائر، الاسم، الفعل...).
- **تقنية العلامات:**_يعتمد هذا التّحليل على وضع علاماتٍ مرتبطةٍ بالمداخل المعجمية تحدّد نوعها: (التّذكير، التّأنيث، وحالتها: المفرد، الجمع، وهذه العلامات تكون خارج سياق الجملة، وفي هذه الحالة فإنّ البرمجيات لا تقبل إلاّ ما يوافق هذه القواعد.

1ـ يُنظر: فارس شاشة، المعالجة الآلية للّغة العربية: إنشاء نموذج لساني صرفي إعرابي للفعل العربي، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2008م، ص: 34ـ36.

كما ظهرتِ العديد من الطّرق التي تعالج النّحو آليًا بالاعتماد على النّظريات اللّسانية والتي من أهمها نذكر: "[1]"

- **طريقة القوانين والمقاربة اللّغوية:** هذه الطّريقة بدأت مع ظهور أوّل محلّلٍ نحويٍ مع بداية الخمسينيات، الذي حاول تمثيل الجملة في نماذج، واقترح "**بارهيل *Barhille***"، تحديد الجملة نهائيًا في أشكال والتّعبير عنها باللّغة الآلية، كما ظهرت نظرية البرمجيات الصّغيرة التي أدّت إلى ظهور طريقةٍ تعتمد على حالةٍ نهائيةٍ تعالج بها الجمل وتحلّلها إلى مكوّناتها وعناصرها الجزئية وترتيبها، وجميع المعلومات الصّرفية والنّحوية فيها.
- **الطّريقة المعرفية:** وهذه الطّريقة تعتمد على المعرفة التي تستفيد من برامج الذّكاء الاصطناعي وتقنيات الأنظمة الخبيرة، ولعلّ أهمّ المشاريع التي اعتمدت هذه الطّريق عمل ***Geta***، حيث تمّ دمج نظامٍ خبيرٍ في قاعدة لغوية للتّرجمة لتصحيح التّرجمة الآلية والتّصحيح الآلي.
- **الطّريقة التّصنيفية:** وهي إحدى نتائج تطوّر برامج الذّكاء الاصطناعي في المعالجة الآلية للّغة، والمبدأ الأساسي لهذه الطّريقة أنّ المعلوماتِ موجودةٌ في البيانات، لذا يجب معالجتها لتحديد مبادئ التّصنيف وعند التّحديد فإنّ الآلة تقوم بالتّصنيف الآلي للمعلومات الجديدة التي تدخل عليها.
- **الطّريقة الإحصائية:** وأساس هذه الطّريقة الإحصاء، وقد عرفت واستعملت في البداية للبحث عن المعلومات والمعالجة الآلية للّغة والتّحليل النّحوي، بعدها

1. يُنظر: فارس شاشة، المرجع السابق، ص: 42_43_44.

ارتبطت بإنجاز قواعد بياناتٍ نصّية ضخمة، وترتكز هذه الطّريقة على حساب ***N-grammar***، أي نسبة تردّد الكلماتِ في نصٍّ ما، فهي تمكّننا من معرفة تردّد الكلمات داخل النّصّ ثمّ يتمّ ترتيب النّتائج المقترحة بحسب نسبة هذا التّردّد.

أمّا في بلادنا العربية، فقد ظهرت بعض المشاريع التي يمكن أن تكون نواةً أولى لحوسبة النّحو العربي، وهي: "[1]"

- مشروع المشكل النّحوي الحاسوبي.
- مشروع المعرّب النّحوي الحاسوبي.
- مشروعا المدقّق النّحوي، والمدقّق الإملائي الحاسوبي.

وخلاصة القول حول المعالجة الآلية للنّحو أو ما يعرَف بالنّحو الحاسوبي، أنّ المحلّلات والمشاريع السّابقة الذّكر، قد ظهرت في ضوء تطوّر برامج الذّكاء الاصطناعي، ولكن رغم ذلك إلاّ إنّها لا تزال في بداية الطّريق، فمعالجة النّحو حاسوبيًا «ليس بالشّيء السّهل أو اليسير، وذلك لما تنفرد به لغات البشر من خصائص قواعدية، كالمرونة النّحوية في التّقديم والتّأخير والحذف والإبدال النّحوي»"[2]" وغيرها، كما أنّ هذا الميدان البحثي ما زال يحتاج إلى جهودٍ كبرى من قبل اللّغويّين والحاسوبيين، فعلم النّحو الحاسوبي يمكن وضعه «على الخريطة العالمية من خلال ضمّه لقائمة العلوم المنضبطة

1ـ محمود سليمان الجعيدى، مشاريع حوسبة علوم اللّغة العربية، ص: 251. وللاستزادة يُنظر الصّفحات: من 252 إلى 259.

2ـ يُنظر: فارس شاشة، المرجع السابق، ص:44.

لغويًا والمهندسة حاسوبيا»، وتبقى الجهود متواصلةً فيه خاصّة في ضوء ظهور برامج جديدةٍ ومستحدثة تسعى إلى وضع وبناء قاعدة بياناتٍ وأنطولوجيات لجميع لغات العالم.

3/5/3ـ طبيعة اشتغال الدّلالة في رحاب نظرية الذّكاء الاصطناعي:

تعدّدت مستويات اللّغة في الدّرس اللّساني، وقد عُدّت «الدّلالة إحدى فروعِ علمِ اللّسانيات...وقِمّة الدّراسات اللّغوية»"[1]، فالمُستوى الدّلالي من أهمِ المستوياتِ كَونُه أساسٌ لفهم المَعاني والدّلالات، لذلك كان مَحلّ اهتمام الدّارسين منذُ القِدم إلى يومنا هذا، فـ «قد شهد مفهوم الدّلالة خلال الحقباتِ الزّمنية الماضية تراكماتٍ معرفيةٍ مختلفةٍ إلى أنْ دخلنا حقبة القرن الواحد والعشرين، وبدأنا نرى تطبيقًا جديدًا لعلم الدّلالة يسخر معطيات عصر تِقنية المعلوماتِ ويتفاعل معه»"[2].

وعلى هذا الأساس، فقد أصبحت الدّلالة من الأنظمة اللّغوية التي اهتّم بها الباحثون وشكّلت ميدانًا شمله التّطور التّكنولوجي والذّكاء الاصطناعي، لكنّه كان أكثر «تعصبًا على جهاز الحاسوب، وذلك عائدُ إلى أنّ الدّلالة من أقلِ المستويات اللّغوية فيما يخُص التّباين اللّغوي»"[3]، وعليه فقد كان المستوى الدّلالي أعقدَ المستويات تحليلاً في البرنامج الحاسوبي التّقني لأنّه أساسُ المنظومة اللّغوية في فهم المعاني والدّلالات،

1 ـ هند بنت سليمان الخليفة، نوال بنت إبراهيم الحلوة، عريب بنت عبد الله العويشق، عالية بنت عمر باحنشل علم الدلالة والأنطولوجيا، من منظور حوسبة اللغة العربية، مباحث لغوية 29، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2017، ص: 5.

2 ـ المرجع نفسه، ص: 5.

3 ـ عيجولي حسين، تصميم طرق معالجة لغوية لتلخيص النصوص العربية، إشراف محمد عباس، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018/2017، ص: 29.

وهوّ مستوى يتكأُ على المستويات الأخرى في الدّراسة التّحليلية فـ «المُعالجة الآلية للنّحو لا تكفي لمعالجة اللّغات الطّبيعية، بل لا بُدِّ من المُعالجة الدّلالية، ولا نستطيع معالجة اللّغة آليًا دون محاولة السّيطرة على المعنى»"[1]، ولا يمكن فهم المعاني والدّلالات دون معرفة للمستوى النّحوي التّركيبي، فـ «من المُعترف به عمومًا أنّ قواعد أيّةَ لغةٍ تنتج كثيرًا من الجُمل غير المقبولة من عدّة أوجُهٍ، وغالبًا ما نصِفُ على الأقلّ نوعًا واحدًا من اللاّمقبولية بالقول، إنّ الجُمل مدار البحث ليس لها معنىً أو هراء»"[2]، وهذا ما يعني أنّ المستوى النّحوي والدّلالي متداخلان، حيث «إذا حدث قصور في أيّ مستوى من مُستويات التّحليل اللّغوي، فإنّ الأمر نفسه سيحدث في المُعالجة الآلية فكُل ما لا يستقيم للتّحليل اللّغوي بدونه فلا تَتِم المعالجة الآليّة إلا به، لأنّها مبنيةٌ عليه»"[3]، كمَا أنّ «الاعتماد على التّحليل النّحوي وحده يُؤدي إلى إنتاج جُمل غير منسجمة في معناها، أو بلا معنىً على الإطلاق، فهناك قيودٌ غير نحويّة تحدد التّوارد المُمكن بين المفردات داخل الجُمل»"[4].

بناءً على هذا الطّرح، فإنّه يمكن القول بأنّ مُستويات اللّغة كلها تكمِّل بعضها البعض في المُعالجة الآليّة، وعلى الرّغم من أهمية الدّلالة في التّحليل اللّغوي ودورها في معالجة اللّغات الطّبيعية وتمثيلها وهندستها في الحاسوب، إلا أنّ جُلّ الدّراسات قد ركّزت

1 ـ عشري محمد علي محمد، مبادئ المعالجة الآلية للغة العربية "الدلالة نموذجا"، المجلة العلمية بكلية الآداب، ص: 129.

2 ـ جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1980م، ص: 39.

3 . عشري محمد علي محمد، المرجع السابق، ص: 129.

4 ـ المرجع نفسه، ص: 129.

على الفروع والمُستويات الأخرى (أصوات، صرف، نحو)"[1]، لكون المُستوى الدّلالي والمعنى يُمثّلان « مشكلةً كبرى بالنّسبة للنّظم الآليّة، فتعدد المعنى للكلمة الواحدةِ وحساسية السّياق في تحديد دلالة الكلمة، واختلاف الدّلالة باختلاف الثّقافاتِ، كُل ذلك يجعل المُعالجة الآليّة للدّلالة تنطوي على مُفارقاتٍ يصعُب بسببها تمثيل هذا المستوى أو توصُيفه حاسوبيًا»"[2].

وممّا لا شكّ فيه أنّ الدّلالة قد أصبحت من المُستويات المُهمّة في التّحليل الحوسبي، وعلى قِلّة الدّراسات حولها، إلا أنّه قد «بزغت تصورات جديدةٍ في المعنى بعضها نجح أنْ يتشكّل في نظرية وبعضها لم يستقر بعد»"[3]، فتعدّدت مباحثها وطرائق تحليلِها حاسوبيًا وانتقلت بذلك إلى مرحلة جديدةٍ تجاوزت فيها تلك الطروحات التّراثية القديمة، وهذا ما أدّى بالدّرس الدّلالي إلى الانعطاف نحو «البحث عن الحُقول المعرفية المُشتركة ـ سياقات الخطاب ـ التي يتحرك ضمنها المفهوم، بعيدًا عن الهيئاتِ الشّكلية التي تتخذها الصّيغ الكلامية، وذلك اعتمادًا على أكبر قدرٍ من الخوارزمياتِ وقواعد البياناتِ الجامعة لأسيقة الألفاظ ضمن مدوناتها الأصل»"[4]، وعليه دخلت الدّراسات الدّلالية مجال الذّكاء الاصطناعي وواكبت كُلّ الحقول المعرفية الأخرى، وتُشكل لنا في البحث اللّساني الحوسبي ما يعرف بعلم الدّلالة الحاسوبي الذي يُعنى بـ «دراسة طُرق البناء والتّفكير الخاصّة بعمليات اللّغة مع تمثيل تعبيرات اللّغة الطّبيعية، وهو ما يمكن

---

1 ـ ينظر: عشري محمد علي محمد، المرجع السابق، ص: 129.

2 ـ عيجولي حسين، المرجع السابق، ص: 30.

3 ـ هند بنت سليمان الخليفة وآخرون، المرجع السابق، ص: 24.

4 ـ مصمودي مجيد، المعالجة الدلالية للغة من المعجم المحوسب إلى الأنطولوجيا، مجلة جسور المعرفة، المجلد 06، العدد 03، سبتمبر2020، ص147.

إدراجه ضمن تطويع الكمبيوتر لفهم لغة البشر»"[1]، وبما أنّ علم الدّلالة علمٌ يهتم بدراسة المعاني والدّلالات والمفاهيم، أصبحت الأنظمة الحاسوبية تهتمُ بتوظيفه بسبب اكتساح الشّبكة العنكبوتية (الويب) جميع مظاهر الحياة، فانبثق في السّاحة التّكنولوجية ما يعرف بـ"**الويب الدّلالي *Semantic Web***"، هذا الأخير الذي يمثل شبكة بيانات للمعنى، وهو يُمكّن البرامج الحاسوبية من التّعرف على هذه البيانات، وبهذا يتم الاستعانة بالأنطولوجيا لتفسير وفهم هذه البيانات، وربطها، ومن ثَمّ يمكن تمثيل الويب الدّلالية بنسيج مترابطٍ من المستنداتِ التي تحتوي على معلوماتِ محولةٍ إلى معطيات يستطيع الحاسوب قراءتها وفهم محتواها ومن ثم تقييمها "[2]، وعليه فقد «ظهرت فكرة "الويب ذات الدّلالات والمعاني اللّفظية"، أو ما يطلق عليه بالإنجليزية مصطلح ***Semantic web*** والتي هي امتداد للويب الحالية ولكن تختلف عنها بأنّها تتفهم مدلولات الألفاظ والمعاني البشرية»[3]، وبالتّالي أسهم هذا التّحول في إعطاء رؤية مستقبلية للدّرس الدّلالي وهذا ما أدّى إلى ظهور شبكاتٍ وبرمجياتٍ أخرى تحاول نَمذجَة وهندسة وتَقيّيس المعنى والدّلالة

---

1 ـ عايدة حوشي، مدخل إلى هندسة الدلالة "المقدمة المختصرة لعلم الدلالة الحاسوبي لأنستازيا كورنيلوفا نموذجا"، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد الأول، المجلد الثاني، ماي2021، ص: 119.

2 ـ ينظر: هند بنت سليمان الخليفة وآخرون، المرجع السابق، ص: 5ـ6

3 ـ حنان أحمد، الشبكات الدلالية العربية ودورها في إثراء المحتوى العربي على الأنترنت، المجلة المصرية لعلوم المعلومات، مج7، ع1، 2020، ص: 11.

*ـ الأنطولوجيا في الأصل مصطلح فلسفي ذو أصل يوناني يعني الوجود، يهتم بدراسة الموجودات الكونية وبيان العلاقات بينها بهدف اكتشاف أصول العالم وموجوداتها والوصول إلى فئاته وأنواعه وعلاقاته، أما اصطلاحا فهي تعني مجموعة من المفاهيم المترابطة بعلاقات ذات معنى حتى يسهل ربط الأشياء الموجودة ببعضها ببعض (ينظر: هند بنت سليمان الخليفة، نوال بنت إبراهيم الحلوة، عريب بنت عبد الله العويشق، عالية بنت عمر باحنشل، علم الدلالة والأنطولوجيا، من منظور حوسبة اللغة العربية، ص: 16.

ولعلّ أهمّ هذه الشّبكات والبرمجياتِ الأنطولوجيا*، التي تُعدّ «أحد أهم مكونات الويب الدّلالية، وحجر الأساس لعمله»[1]، حيث إنّه بفضل «التّطور التّقني وحوسبة اللّغة أصبح بالإمكان تمثيل الدّلالة بواسطة كيانات تُدعى **أنطولوجيا** ***On-tology***، والتي تُستخدم للتّعبير عن تمثيل شكلي للمعرفة عبر تحديد جملة من المفاهيم المختلفة والمتعلقة بمجال معين وعلاقاتها مع المفاهيم الأخرى»"[2]"، ومن ثَمّ فقد أخذت الدّراسة الدّلالية مَنحى آخر أساسُه التّمثيل الشّكلي الرّقمي للمعرفة.

وفي ضوء هذا التّحول المعرفي، فقد قدّمت الشّبكات الأنطولوجية معطياتٍ جديدةٍ للمفاهيم الدّلالية، إذ بها أصبح «الحاسب الآلي يصِلُ لمُستوى فَهمٍ وإدراكٍ للمعاني قريب من فهم وإدراك الإنسان»"[3]"، وصار بناءُ الأنطولوجياتِ «من أهمّ التّحديات التي تواجه بناء الويب الدّلالي، وذلك لأنّها توفرها يعتبر بمثابة البِنية الأساسية للويب الدّلالي»"[4]"، وامتاحت بذلك المنظومة الدّلالية طريق المكنة في تمثيل المفاهيم والموجودات عبر البرامج الحوسبية المُختلفة.

فمصطلح الأنطولوجيا رغم أنّه مصطلح فلسفي إلاّ أنّه «أُدخل من قبل أوائل الباحثين في مجال الذّكاء الاصطناعي في فترة الثّمانينات من القرن العشرين وذلك لِنمذَجة المعرفة، لذا فهي تُعدّ من أحدث التّطبيقات الحَاسوبية لتمثيل ومُعالجة الدّلالة للغاتِ الطّبيعية وذلك للوصُول إلى فهم للمعرفة البشرية وتمثيلها بشكلٍ مُمنهج يُسهّل

1 ـ حنان أحمد، المرجع السابق، ص: 11.
2 ـ هند بنت سليمان الخليفة وآخرون، ص: 5.
3 ـ حنان أحمد، المرجع السابق، ص: 11.
4 ـ المرجع نفسه، ص: 11.

على الحَاسوب معالجته واستنباط المَعارف منه»"[1]، فهيّ بذلك شبكةُ تطبيقية تُعنى بالمُعالجة الآلية للدّلالة وتوصيفها وهندستها، حيثُ إنّ هذه المُعالجة تحتاج «مقدارًا كبيرًا من المعلوماتِ عن مختلف جوانب اللّغة، وهذه المعلومات يجب أن تكون مرتبة ومبوبة بنسق معين، وليس هناك أفضل من ترتيب هذه المُعلومات من قواعد البيانات»"[2]، هذه الأخيرة التي تمتاز بدرجةٍ كبيرةٍ من الدّقة العِلميّة، «فموضوع تقنين المعاني والدّلالة على جانب كبيرٍ من الصّعوبة بالنّسبة للّغات الحديثة»[3] وهي تحتاجُ إلى دراسةٍ واسعةٍ من قبل رواد الذّكاء الاصطناعي، وعليه فقد انفتح البحث الدّلالي «على حقولٍ إجرائية أخرى متعدّدة يتقدّمها الإجراء الأنطولوجي، كآليّة الذّكاء الاصطناعي التي لها مكنْة تُحاكي الدُماغ البشري، حيث أصبح بالإمكان تمثيل الدّلالة بوساطة كيانات تدّعي أنطولوجيا ***Ontology***»"[4] وتُعرف في المجال الحوسبِي المعلوماتي « بأنّها مجموعة من عناصر التّمثيل الأوليّة التي يمكن من خلالها بناء نماذج لمجال معرفي أو مُصطلحات علمية، وعناصر التّمثيل الأولية هذه عادةً ما تكون أصنافًا (أو مجموعات)، وخصائص (أو سِماتٍ)، وعلاقاتٍ (أو صلاتٍ بين المصنفات)»"[5]"

---

1 ـ هند بنت سليمان الخليف وآخرون، المرجع السابق، ص: 6.

2 ـ محمد زكي خضر، نحو معالجة الدلالة في اللغة العربية عبر قواعد البيانات: دراسة أولية لنص القرآن الكريم، المؤتمر الوطني السابع عشر للحاسب الآلي (المعلوماتية في خدمة ضيوف الرحمن)، جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة، 2004م، ص: 1

3ـ المرجع نفسه، ص: 1.

4 ـ مصمودي مجيد، المعالجة الدلالية للغة من المعجم المحوسب إلى الأنطولوجيا، ص: 147.

5 ـ هند بنت سليمان الخليفة وآخرون، المرجع السابق، ص: 28.

وكما أشرنا سابقًا، فإنّ الأنطولوجيا تُعدّ من أحدث الشّبكات الإلكترونية في المجال الحوسبي الدّلالي، وهي بذلك «شقّ مهم من علم الدّلالة، وهو علمٌ بدأ يأخذُ مكانته حديثًا لارتباطه بهندسة المعرفة والتّدبير الدّلالي الحاسوبي»"[1] ولعلّ من أهمّ مكونات وعناصر الأنطولوجيا نجِد:"[2]

- الموجُودات والكائنات.
- الأنواع والفئات المصنّفة والطبقات تحتها.
- الوظائف وتشمُل (الحدث والمنفذ والمحور والأداة والمكان).
- السِّمات الدّلالية للموجودات وفروعها.
- العلاقات الدّلالية بين الموجودات وفروعها.

بناءً على هذا، فإنّ الأنطولوجيا أساسُها تصنيفي يحاول تصنيف المفاهيم ووضع السّمات والوظائف والعلاقات الدّلالية بينها، وهدفها بذللك يكمن في «بناء مرجع رقميّ مُوحد للمصطلحات والمفاهيم والعلاقات في مجال مُعين، ليتمّ استخدامها في تبادلٍ ونشر المعلومات حول المفاهيم وهيكلتها في مجال مُعين، ليتمّ استخدامها في تبادل ونَشر المُعلومات حول المفاهيم وهيكلتها بين المُختصين، أو في البرامج الحاسوبية وتوضيح الافتراضات الضّمنية وبيانها بجلاءٍ لإزالة اللّبس في المفاهيم»"[3]

1 ـ هند بنت سليمان الخليفة وآخرون، المرجع السابق، ص: 24.
2 ـ المرجع نفسه، ص: 16.
3 ـ المرجع نفسه، ص: 28.

ومن هُنا أصبح الاهتمام كبيرًا بكيفية تنظيم المعلومات والمفاهيم وهو ما أدّى إلى ضرورة ابتكار برامجَ وشبكاتٍ من أجل تطوير البحث الدّلالي، ومنه أصبحت الشّبكات الدّلالية تحظى «بمكانةٍ مهمّة في بيئة المعلومات لِكونِها من أكثر الأدوات فاعلية في تنظيم المعرفة، وبوصفها تمثيلٌ رسميٌّ للمفاهيم والعلاقات الموجودة ضمن مجال مُعين»"[1]، ولعلّ من بين البرامج الأنطولوجيّة والتي تسعى إلى تمثيل الدّلالة نَجد:

- **برنامج "بروتيجي":** هو البرنامج الأشهر في مجال بناء الأنطولوجيا وتحريرها، وهُو من إنتاج جامعة ستانفورد الأمريكية في الثّمانينات الميلادية...وقد صُمم لجمع البياناتِ وتنظيمها والبرنامج يحدث باستمرار"[2]، كما أنّه «من أشهر محررات الأنطولوجيا بما يتمّيز من واجهةٍ رُسوميةٍ سهلة الاستخدام، علاوةً على أنّه مجانِي ومفتوح المَصدر»"[3]
- **برنامج جولد:** وهذا البرنامج يحاول توصيف اللّغويات، ويُعطي صورةً نظامية لمُعظم التّصنيفات والعلاقات المُستخدمة في الوصف العلمي للّغات البشرية، والهدف منهُ تحديد وتخزين معرفي مماثل لمعرفة خبير لغويّ متمكّن، ومحاولة برمجة المعرفة المُتاحة في هذا المجال (اللّغوي)، كما أنّ جولد يمكّن من عملية الاستنتاج الأوتوماتيكي للبيانات اللّغوية وتُساعد في إنشاء المفاهيم الأساسيّة من خلال تحديد أي طريقة بحث ذكي سيتم استخدامها"[4].

1 ـ هند بنت سليمان الخليفة وآخرون، المرجع السابق، ص: 11.
2 ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 41.
3 ـ المرجع نفسه، ص: 95.
4 ـ المرجع نفسه، ص: 87.

وخُلاصةُ القول حول المُعالجة الدّلالية في ضوء معطيات الذّكاء الاصطناعي واللّسانيات الحاسوبية، أنّها نَالت الحظّ الأوفر من الدّراسة والتّحليل إلا أنّها ما زالت في مراحلها الأولى وتحتاج إلى بذلٍ جهودٍ من قبل المُختصّين في مجال الحوسبة وعِلم الدّلالة والحاسوبي، لكي تصل إلى درجةٍ كبيرةٍ من التّطور، وتفتح بذلك آفاقًا جديدةً للدّرس اللّغوي، خاصةً المجال الأنطولوجي الذّي سيمنح «للسانيّات الحاسوبية فرصةً أكبر في خدمة الشّبكة الدّلالية والمُحتوى اللّغوي حاسوبيًا، ممّا سيُيسّر تِقانَة اللّغاتِ التّي أصبحت مقياسًا لحضارة الأممِ وتقدّمِها وبقائِها»"[1].

1 ـ هند بنت سليمان الخليفة وآخرون، المرجع السابق، ص: 24.

الفصل الثالث:

طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في الثّقافة الألسنية العربية.

1/ الموقف الألسني العربي من اللّسانيات الغربية

إنّ المطّلع على الموقف العربي من المنجز اللّساني الغربي يجد أنّه قد تعدّدتِ المواقف وتنوّعت وتباينت باختلاف رؤى الباحثين وثقافتهم، فتشعّبتِ المسالك أمامهم، ووجدوا سبيلاً ومسلكًا يقودهم نحو التّراث العربي الخصب، ورأوا أنّه لو تمّ بعثه وإحياؤه لكان دافعًا نحو العزّة، كما وجدوا سبيلاً مغايرًا يوجّههم صوب المستقبل الذي يؤول بهم إلى الرّقي والتّطوّر الذي لحقته الأمم الغربية وما شهدته من علوم ومعارف متنوّعة، ثم رأوا بأنّ الجمع بين المسلكين السابقين(المسلك التّراثي التّأصيلي والمسلك الثّقافي المعاصر المستقبلي) قد يؤدّي بهم صوب العزّة والتّقدّم"[1]"، وذلك من خلال «محاولة التّوفيق بين التّراث والبحث اللّغوي الغربي الحديث»"[2]"

وعليه، فقد تعدّدتِ المواقف والرّؤى من البحث اللّساني الغربي، وانقسمت في أغلبها إلى تيّارين:

1/1ـ التّيّار الأوّل: (القبول المطلق للّسانيات الغربية)

وهو تيّار حداثي نهضوي تبنّاه مجموعةٌ من الباحثين ممّن انبهروا بالدّراسات الغربية ووصل بهم الأمر إلى درجة العماء والارتماء في أحضان الثّقافة الغربية"[3]"، ورأوا بأنّها الأنموذج الأمثل لنموّ الدّرس اللّغوي العربي، رافضين بذلك كلّ ما له علاقةٌ

1ـ يُنظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د/ط)، 1990، تقديم المؤلّف.

2ـ فاطمة الهاشمي بكّوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث، دراسة في النّشاط اللّساني العربي، إيتراك للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص: 3.

3ـ يُنظر: عبد العزيز حمّودة، المرايا المقعّرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص: 25.

بالتّراث، وذلك من خلال «تطويع اللّغة العربية، وجعلها مسايرةً للتّطوّر الحضاري»"[1]، مؤكّدين على «أنّنا لا نتوفّر على درسٍ لسانيٍ عربيٍ قائمِ الذّات واضح المعالم والحدود، له خاصّيته النّظرية والمنهجية وبرامجه العلمية الرّاهنة والمستقبلية، فاعل في المحيط ويواكب التّطوّر محلّيا وعالميا»"[2].

تأسيسًا على هذا، فقد ظهرت طائفةٌ تناقض الطّائفة السّلفية الماضوية، وتمجّد المنجز اللّساني الغربي، هذا الأخير الذي دخل السّاحة العربية عن طريق التّصادم مع العرب نتيجةً للتّرجمة والتّأليف والإبداع، وعليه فقد تمّ قبول اللّسانيات الغربية وذلك «من خلال إماتة التّراث والاستغناء عنه اعتمادًا على المنطلقات الغربية وخصوصًا التّجريبية، البنوية، والتّوليدية التّحويلية»"[3].

وعليه بدأتِ الكتابات التّمهيدية للسانيات العربية المتأثّرة بالدّرس اللّساني الغربي والتي يغلب عليها الجانب الانفعالي التّأثيري الإغرائي للقارئ العربي ومحاولة إقناعه بتصوّرات اللّسانيات الغربية الحديثة"[4]، وعليه تنوّعتِ الكتابات اللّسانية العربية المتأثّرة بالتّيّارات الغربية، ولكنّها لم تخرج عن إطار العمل التّرجمي، إذ عدّت التّرجمة اللّسانية من أهمّ الأبواب التي يمكن بها للباحثين العرب أن يسهموا في نشر الدرس اللساني

---

1. مصطفى غلفان، اللّسانيات في الثّقافة العربية الحديثة، حفريات النّشأة والتّكوين، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص: 4.

2. المرجع نفسه، ص: 5.

3. أوريدة عبّود، اللّسانيات في الوطن العربي بين الرّفض والقبول وموقف النّظرية الخليلية منها، مجلّة اللّسانيات المجلّد: 25، العدد 1، ص: 236.

4. يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة، دراسةٌ تحليليةٌ نقديةٌ في قضايا التّلقّي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص: 127.

الحديث في بلادنا العربية نشرًا سليمًا بعيدًا عمّا يكتنف الكثير من الأعمال الصّادرة بالعربية التّبسيط اللّساني وبعض الخلل والاضطراب"[1].

بناءً على هذا الطّرح، فإنّ الفكر اللّساني العربي الحديث لن يعرف النّموّ والتّطوّر في نظر أصحاب التّيّار النّهضوي، فهم يرون بأنّ «اللّحاق بالغرب المتقدّم استوجب الاطّلاع على العلم المادّي الغربي، وهذا مطلبٌ لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بالتّرجمة عن اللّغات الغربية، فشكّلت قضية التّرجمة ومشاكلها أحد الاهتمامات البارزة عند النّهضويين»"[2"، أي أنّ تطوّر الدّرس اللّساني العربي لن يتحقّق إلاّ من خلال الاطّلاع على الأعمال التي جادت بها البحوث والدّراسات الغربية.

ولعلّ بدايات هذا التّأثّر والاتّصال بين العرب والغرب كان بعد عودة مجموعة من الباحثين العرب من الجامعات الغربية وانبهارهم بعلم الأوروبيين، معتبرين هذا العلم نوعًا من السّحر، مؤكّدين على فكرة أنّ خدمة الدّرس اللّغوي العربي لم تبق من مهامّ لسانيات التّراث، وإنّما عادت هذه المهمّة للّسانيات الغربية "[3"، ومن هنا يمكننا القول بأنّ هذا الرّأي قد شكّل تيّارًا مناقضًا للتّيّار السّلفي التّراثي، فهو يناهض هذا الأخير ويناقضه، ويدعو إلى اتّباع الفكر الغربي النّهضوي، وهذا ما يؤكّده عبد القادر الفاسي الفهري في قوله: «من الخطإ الاعتقاد أنّ الآلة الواصفة للّغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورةً إلى مفاهيم القدماء وأصولهم، أو بعبارةٍ إلى الفكر النّحوي العربي القديم، لقد بيّنّا في عدّة مناسباتٍ أنّ هذا التّصوّر خاطئ، وأنّ الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء ليس لها أيّ امتيازٍ في وصف العربية، بل هي غير لائقةٍ في كثيرٍ من

1ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 194.

2ـ حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 24.

3ـ يُنظر: محمّد الأوراغي، نظرية اللّسانيات النّسبية دواعي النّشأة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010 ص: 38.

الأحوال»"[1] فاللّسانيات الغربية هي الجديرة بالاتّباع لتطوير اللّسانيات العربية الحديثة، والأخذ بها سبيل لانبثاق أفكارٍ لسانيةٍ عربيةٍ جديدة، فـ «قد كان هذا العمل إلزاميًا على الدّرس اللّساني العربي، فهو ما يعطي المسوّغات النّظرية له، ويميّزه عن سائر النّظريات في اللّغة»"[2]، إذ إنّ «النّماذج الغربية أثبتت كفايتها الوصفية، وليس هناك ما يمكن أن يشكّك بهذه السطحية، ولا أحد يستطيع بشيءٍ من الجدّية، اللّهمّ إلاّ إذا كان الأمر يتعلّق بشعوذة، أن يدّعي أنّنا بحاجةٍ إلى نموذجٍ آخر يبنى بالاعتماد على العربي لوصفها»"[3].

فالنّاظر إلى هذا الموقف، يستنتج بأنّ التّيّار الحداثي تيّارٌ عربي تغلب عليه النّزعة الغربية لا التّراثية، فالمعرفة اللّسانية في أصلها معرفةٌ حديثةٌ يجب تجريدها من أيّ تأريخ وتأصيل، لأنّ ذلك يسيء إلى الفهم الصحيح، ويبعدنا عن الانخراط والتأثر بمنجزات العصرنة والحداثة"[4] غير أنّ الملاحظ هو «تقديم اللّسانيين العرب للنّظرية اللّسانية الغربية قد اتّخذ مسارًا خاصّا، فاللّسانيون العرب لم يُعنوا بالتّطور التّأريخي للنّظرية اللّسانية المعاصرة وتقديم مدارسها واتّجاهاتها، ولم يُعنوا كذلك بالبحث في الأسس النّظرية والمعرفية لهذه النّظرية، بل إنّهم حاولوا ما يمكن أن نسمّيه: (تعريب النظرية»"[5] أو التّرجمة اللّسانية.

1. عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية، ص: 60.
2. فاطمة الهاشمي بكّوش، المرجع السابق، ص: 22.
3. عبد القادر الفاسي الفهري، المرجع السابق، ص: 57.
4. ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 71.
5. فاطمة الهاشمي بكّوش، المرجع السابق، ص: 2322.

ومن هنا «اضطرّ اللّغويون العرب إلى الكتابة بالتّرجمة، ورأوا بأنّها الحلّ الأنسب والوحيد لفهم الدّرس اللّساني الغربي فهمًا صحيحًا وسليما» "[1]" ولعلّ من بين الأعمال المترجمة في مجال اللّسانيات نجد:"[2]"

- علم اللّغة العامّ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز.
- محاضرات في الألسنية العامّة، ترجمة يوسف غازي.
- دروس في الألسنية العامّة، تعريب صالح القرمادي ومحمّد الشّاوش ومحمّد عجينة.
- فصول في علم اللّغة العامّ، ترجمة أحمد نعيم الكراعين.
- محاضرات في علم اللّسان العامّ، ترجمة عبد القادر قنيني.

بالإضافة إلى كتب أخرى للمترجم حمزة بن قبلان المزيني، نذكر منها:"[3]"

- اللّغة ومشكلات المعرفة لنعوم تشومسكي.
- الغريزة اللّغوية: كيف يبدع العقل اللّغة لستيفن بنكر.
- دلالة الشّكل في مرآة اللّغات الأوروبية المعاصرة، أو "محاسن العربية في العيون الغربية" لديفيد جستس.
- آفاقٌ جديدةٌ في دراسة اللّغة والذّهن لتشومسكي.

إضافةً إلى ما سبق يمكن لنا أن نشير إلى مجموعةٍ من الكتب اللّسانية المترجمة التي ساعدت على فهم اللّسانيات الغربية واحتوائها، منها على سبيل المثال نذكر:

1ـ نسيمة زيداني، الكتابات اللّسانية العربية الحديثة بين واقع التّأييد والرّفض بالمناهج الغربية، مجلّة الآداب واللّغات والعلوم الإنسانية، المجلّد: 4، العدد: 7، جانفي2021، ص: 239.

2ـ يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 200ـ 201.

3ـ حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 210ـ 211.

- مدخل لفهم اللّسانيات لروبير مارتان، ترجمة عبد القادر المهيري.
- النّظريات اللّسانية الكبرى من النّحو المقارن إلى الذّرائعية لماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، ترجمة محمد الرّاضي.
- معجم اللّسانيات لجورج مونان، ترجمة جمال الحضري.
- نظرية تشومسكي اللّغوية لجون ليونز، ترجمة حلمي خليل.
- اللّسانيات لجان بيرو، ترجمة الحوّاس مسعود ومفتاح بن عروس.

كما تُرجمت العديد من المقالات اللّسانية إلى العربية منها:

- ترجمة مندور لمقال: مايي "علم اللّغة" 1946.
- ترجمة كتاب "اللّغة" لفندريس" سنة: 1950،

كما تم إنشاء مراكز عربية خاصّة بالبحث اللّساني (تونس سنة: 1946م) و(الجزائر سنة: 1971م)"[1].

من خلال هذه الأعمال والجهود العربية التي حاولت ترجمة أهمّ كتب اللّسانيات يمكن القول بأنّها جهود ساعدت على فهم واستيعاب الدّرس اللّساني الغربي خاصّةً ما تعلّق بالجانب المفاهيمي المصطلحي للّسانيات، «فعلم اللّسانيات لم يحظ بعد بالأهمّية التي حظي بها في الغرب»"[2]، لهذا بدأتِ الكتابات التّمهيدية العربية في علم اللّسانيات، وانتقل من مرحلة التّرجمة والتّعريب إلى مرحلة التّأليف من أجل فهم المنجز اللّساني الغربي وإعادة قراءته وفق التّفكير العربي، فظهرت كتابات لسانيةٌ عربيةٌ تعرف بعلم اللّغة الحديث تحاول التّبسيط والتّقديم التّعميمي والتّيسير نذكر من بينها:"[3]

1ـ ينظر: مصطفى غلفان، اللّسانيات في الثّقافة العربية الحديثة، ص:147.
2ـ حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 56.
3ـ يُنظر: مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص: 146.

- علم اللّغة لعلي عبد الواحد وافي سنة: 1941.
- مناهج البحث في اللّغة لتمام حسان سنة: 1955.
- اللّغة بين المعيارية والوصفية لتمام حسان سنة: 1957.
- علم اللّغة: مقدّمة للقارئ العربي لمحمود السّعران سنة: 1962.

2/1ـ التّيّار الثّاني: (التّيار التّوافقي)

اتّخذ هذا التّيار موقفًا وسطا، حيث حاول الجمع بين التّراث العربي القديم والحداثة فالتّراث اللّغوي يتجلّى في كلّ «ما تركه لنا العرب القدامى من أعمالٍ جليلةٍ انطلقت كما هو معروفٌ من دراسة القرآن للحفاظ على لغته، وذلك بطريقةٍ علميةٍ وهو الاستقراء للنّصّ القرآني»"[1]، أمّا الحداثة فإنها إعادة تفسير التّراث القديم طبقًا لحاجيات العصر، فالقديم يسبقه الجديد، والأصالة أساسها المعاصرة ومواكبة الجديد، والوسيلة تؤدّي إلى الغاية، التّراث هو الوسيلة لذلك ، والتّجديد هو الغاية والهدف من خلال المساهمة في تطوير الواقع، وحلّ جميع مشكلاته، مع القضاء على أسباب معوّقاته، وفتح المغاليق التي تمنع أي محاولة للتطوير والازدهار"[2].

بناءً على هذا، فقد تبنّى التّيار التّوافقي موقفًا وسطيًا محاولةً منه للأخذ برأي التّيار التّراثي السّلفي، والأخذ كذلك من التّيّار الحداثي النّهضوي، فقد رأى بأنّ هذا الجمع قد يؤدّي بالدّرس اللّساني العربي إلى التّطوّر وإفراز مقولاتٍ حداثيةٍ تجمع بين تراثنا العربي، بما فيه من مادّة لغويةٍ عظيمةٍ والمنجز اللّغوي الغربي بما فيه من أفكارٍ

1ـ عبد الرّحمن الحاج صالح: السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنّشر، الجزائر 2012، ص: 7.

2ـ ينظر: حسن حنفي، التّراث والتّجديد موقفنا من التّراث القديم، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، ط4، 1992، ص: 13.

لسانيةٍ جديدة، فـ «التّراث اللّغوي العربي هو تراث عظيمٌ وأثرٌ باقٍ على صروف الدّهر، وليس هذا بغرض تضخيم قيمته الإبداعية بالمغالاة في الاستنباط والتّأويل ولا لإسقاط مفاهيم لسانيةٍ دخيلةٍ عليه، بل تأكيدًا لقيمته العلمية، وتعليقًا للهوّة التي يرى البعض أنّها تفصله عن العلوم اللّسانية الحديثة، وتأكيدًا لأهمّية الإفادة من النّظريات الحديثة في إعادة قراءة تراثنا اللّغوي للوصول إلى فهمٍ أفضل للعربية»"[1]

إنّ هذا التّيّار يرى بأنّ التّراث هو المثال والأنموذج الذي ينبغي لنا الانطلاق منه والحداثة هي الوسيلة لتطوير هذا التّراث، إذ ينبغي الانطلاق من الدّرس اللّساني العربي القديم ومواكبته بالتّيّارات اللّسانية الغربية الحداثية، حيث إنّ «للتّراث اللّغويّ العربيّ في ضوء اللّسانيات منزلةٌ ذات بعدٍ حضاري، تقوم على أساس استرداد هذا التّراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد في محاولةٍ جادّةٍ لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي، وتأصيل البحث اللّساني المعاصر في الظّاهرة اللّغوية العربية»"[2]

وممّا لا شكّ فيه، فإنّ هذا الرّأي كان قد شكّل رؤيةً تجديديةً في الدّرس اللّساني العربي الحديث، وأصبح الاتّجاه السّائد و «الأكثر حضورًا ونفوذًا في حقل الدّراسات اللّسانية العربية الحديثة، هو ذلك التّيّار الذي يحاول التّوفيق بين الفكر اللّغوي القديم واللّسانيات في إطار ما سمّي بالقراءة، أي قراءة التّراث اللّغوي القديم في ضوء النّظريات اللّسانية الحديثة»"[3]، وبالتّالي فقد انبثق هذا الاتّجاه وتوجّه إليه العديد من الباحثين والدّارسين المتعمّقين في التّراث والمتأثّرين بالدّراسات اللّغوية الغربية الحديثة.

---

1. معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتّجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلّية التّربية للبنات، قسم اللّغة العربية، 2014 ص: 17.

2. حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة، ص: 131.

3. مصطفى غلفان، في اللّسانيات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص: 105.

ولعلّ من أهمّ الباحثين الذين تبنّوا هذا الاتّجاه نجد الشّيخ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح الذي يعدّ «ظاهرةً فريدةً من نوعها في الوطن العربي، لأنّه تتلمذ حتّى مرحلةِ الدّكتوراه في جامعة الأزهر، فهضم وفهم النّظرية اللّغوية التّراثية القديمة، وبعدها ذهب إلى جامعة باريس فتتلمذ على أساتذتها في موضوع اللّسانيات الحديثة

فهضمها وفهمها على نحوٍ دقيقٍ جدّا، وبذلك استطاع أن يعالج بعض القضايا اللّغوية العربية المعاصرة ذات الإشكاليات المعرفية»"[1]. فهو أحسن من مثّل هذا التيّار وأسّس لعديدِ النّظرياتِ التي جمع فيها بين التّراث اللّساني العربي والنّظريات الغربية الحديثة.

وعليه، فإنّه ينبغي الجمع بين التيّار التّراثي العربي والتيّار الحداثي الغربي، لأنّ في ذلك تقدّمٌ في الدّرس اللّساني، والفصل بينهما غير ممكن، فالعديد من علماء الغرب على الأرجح قد أولَوا تراثنا العربي اهتمامًا ، وجاءت أغلب أعمالهم تحمل كثيرا من العمق والتّحليل والدّراسة بقدر يجعلنا نؤكّد أنّهم استطاعوا الإجابة عن كثيرٍ من القضايا والمشاكل اللّغوية، في لغتنا العربية، ولعل ما مكّنهم من الوصول إلى ذلك إحاطتهم الواسعة باللّغات السّامية الأخرى، وعليه جاءت دراساتهم تربط بين التّراث اللّغوي العربي القديم، ونظريات البحث اللّغوي الحديث"[2]، أي أنّ الدّرس اللّساني الغربي الحديث قد استفاد من التّراث الإنساني، خاصّةً الدّراسات اللّغوية العربية نحوًا وبلاغة.

وعلى هذا الأساس، تعدّدتِ الدّراسات العربية التي حاولت أن تؤسّس لدرسٍ لسانيٍ حداثي، وذلك من خلال المزاوجة بين ما جاء في النّظريات اللّغوية العربية القديمة وما

1. حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة، أسئلة اللّسانيات، حصيلة قرنٍ من اللّسانيات في الثّقافة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص: 115.

2. ينظر: حسام البهنساوي، أهمّية الرّبط بين التّفكير اللّغوي عند العرب ونظريات البحث اللّغوي الحديث (في مجالي مفهوم اللّغة والدّراسات النّحوية)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م، ص: 3.

تمّ إنجازه من نظرياتٍ لسانيةٍ غربية، ومنه «بدأت عبارة اللّسانيات العربية تشقّ طريقها تدريجيًا إلى الأدبيات اللّغوية العربية الحديثة»"[1]"، ومن خلال هذا تمّ الوصول إلى توصيفٍ جديدٍ للّغة، ورؤيةٍ تجديديةٍ في الدّرس اللّساني العربي.

ولعلّ من بين الدّراسات التي حاولتِ الجمع بين اللّسانيات العربية والمنجز اللّساني الغربي نجد دراساتٍ اهتمّت بالنّظرية التّوليدية وحاولت تطبيقها واستثمارها في قواعد اللّغة العربية، ودراساتٍ اهتمّت بالنّحو الوظيفي، هذه الكتابات التي استطاعت إلى حدٍّ كبيرٍ «السّموّ بالدّرس اللّساني العربي وتوجيهه وجهةً صحيحةً تتّسم بالدّقة والضّبط، وهذا ما تعبّر عنه كتابات عبد القادر الفاسي الفهري ذات السّمة التّوليدية وكتابات أحمد المتوكّل ذات التّوجه الوظيفي»"[2]".

فمن الجهود العربية التي طبّقت نماذج النّظرية التّوليدية التّحويلية على اللّغة العربية نجد:

- الألسنية التّوليدية التّحويلية وقواعد اللّغة العربية لميشال زكريا "[3]".
- نحو الأحوال لمحمّد علي الخولي "[4]".
- نظرية الدّلالة التّصنيفية لمازن الوعر "[5]"
- المحاولات التّوليدية الشّمولية لعبد القادر الفاسي الفهري"[6]"

1. حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 7 (التقديم).
2. حافظ إسماعيل علوي، امحمّد الملاّخ، قضايا إبستمولوجية في اللّسانيات، ص: 293.
3. يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 269.270.271.
4. يُنظر: المرجع نفسه، ص: 272.273.274.
5. يُنظر: المرجع نفسه، ص: 277...281.
6. يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 282...314.

أمّا نظرية النّحو الوظيفي فقد تجسّدت من خلال أعمال وجهود الباحث أحمد المتوكّل الذي هدف من خلاله إلى «تأسيس نحوٍ وظيفيٍ للّغة العربية، نحوٌ في إمكانه رصد كلّ القضايا المتعلّقة بهذه اللّغة... والقيام بمشروعٍ للسانيات اللّغة العربية في كلّ مستوياتها»"[1]، ومن مؤلّفات أحمد المتوكّل في هذا المضمار نجد:"[2]

- اللّسانيات الوظيفية
- دراساتٌ في نحو اللّغة العربية الوظيفي
- من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية
- الوظائف التّداولية في اللّغة العربية
- قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النّصّ.
- قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية، البنية التّحتية أو التّمثيل الدّلالي التّداولي.
- آفاقٌ جديدةٌ في نظرية النّحو الوظيفي.

إنّ هذه الكتابات السّابقة الذّكر، قد حاولت أن تنمّي البحث اللّساني العربي وترقّيه من خلال طرح قضايا مستجدّةٍ في الدّراسات اللّسانية الغربية، فتغيّرتِ بذلك النّظرة إلى لغتنا العربية وأصبح يُنظر إليها في ضوء الدّراسات اللّسانية على أنّها لغةٌ طبيعيةٌ لا تختلف في شيءٍ عن باقي اللّغات الأخرى، كما أن التّجديد في البحث اللّساني العربي لم يعد مقصورًا على الباحثين المستعربين، كما كان عليه الأمر في بداية القرن العشرين، بل إنّ بعض كتابات "الفاسي الفهري" و"المتوكل" ساهمت

1. يُنظر: المرجع نفسه: ص: 348.
2. للاستزادة يُنظر: المرجع نفسه، ص: 350...402.

بشكلٍ كبير في إغناء بعض النّماذج اللسانية الغربية، وبالتّالي تبيّن أنّ الممارسة العربية لم تعد مجرّد تطبيقٍ حرفيٍ أعمى، كما يدّعي البعض ذلك، بل أصبحت تكتنفها بعض الملامح التجديدية"[1]

وفي ضوء هذه الكتابات اللّسانية التجديدية، ظهرت في الآونة الأخيرة دراساتٌ تقارب الأنموذج اللّساني التّوليدي عُرفت بالعرفانيات، لذلك سنحاول الوقوف على طبيعة التّلقي العربي لهذا الأنموذج الجديد والوقوف على أهم الجهود والأعمال العربية التي جسّدت هذا التّصوّر والمجال الألسني الجديد.

2/ طبيعة التّلقي العربي للّسانيات العرفانية:

تعدّدتِ المواقف وردود الأفعال العربية ممّا وصلنا من كتاباتٍ في اللّسانيات العربية، سواءٌ أ كانت مترجمةً أم كتبًا تأليفيةً تيسيرية، وقد تأثّر الباحثون العرب بالنّماذج اللّسانية التي ظهرت في البلاد الغربية، وحاولوا إيصالها للبلاد العربية « فإلى حدود اليوم نجد الواقع اللّساني العربي واقعًا تيّاريا، وليس واقعًا هادئًا متوحّدا، إذ لا يجمع اللّسانيون على نموذج واحدٍ ووحيد، يمكن أن نعتبره نموذجًا إرشاديا، بتعبير توماس كون، بل نجد كمًّا هائلاً من النّظريات والنّماذج، تدّعي كلّها أعلى مستويات الكفاية»"[2]، ولعلّ من بينها نجد الأنموذج اللّساني العرفاني، الذي وصل إلى البلاد العربية في الآونة الأخيرة مع نهاية الثّمانينات وبداية التّسعينيات

إذ يظلّ البحث في هذا المجال متأخّرًا عند العرب، لولا بعض الدّراسات والأعمال التي تظهر الفينة بعد الأخرى"[3]، فاللّسانيات العرفانية لم تنتشر في البلاد العربية و

1ـ ينظر: حافظ إسماعيل علوي، امحمّد الملاّخ، المرجع السابق، ص: 293.

2ـ حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 61ـ62.

3ـ يُنظر: الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 30ـ31.

«لم تتثبّت أقدامها بعد بالقدر الكافي... اللّهمّ ومضاتٍ تلمع بين الحين والحين...ولكنّها في الأعمّ، نتاج جهدٍ فرديٍ خالص»"[1].

تأسيسًا على ذلك، سنحاول الوقوف على طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللّسانيات العربية، ورصد وكشف أهمّ الأعمال والجهود العربية الحديثة، والتي في الأغلب لم تخرج عن الإطار التّرجمي، والإطار التّأليفي.

1/2 ــ تلقّي اللّسانيات العرفانية عبر أدوات الفعل التّرجمي:

كانتِ التّرجمة ولا تزال من العوامل التي أدّت إلى نموّ وتطوّر البحث اللّساني العربي، إذ هي «أداةٌ من أدوات تحديث الثّقافة العربية، ومدخلٌ مهمٌّ لتجاوز ذهنية ما كان، إلى ذهنية ما هو كائنٌ ناجز، ومفتاحٌ للدّخول إلى الإنجازات العلمية والمعرفية المعاصرة، التي تشكّل مظهرًا من مظاهر الوضعية المعرفية الحديثة»"[2]، بالإضافة إلى ذلك فإنّ التّرجمة تعد «الوسيلة المثلى بامتياز لتخليص النّصّ المصدر من الضبابية الدلالية التي قد تعيق سبيله في اللّغة الهدف»"[3] وتؤدي به إلى مدار جديد ورؤية مغايرة.

ولعل من بين الإنجازات اللّسانية العربية المعاصرة نجد اللّسانيات العرفانية، التي دخلتِ البلاد العربية في بدايتها عبر أدوات الفعل التّرجمي، فالمعلوم «أنّنا أمّةٌ مستهلكةٌ للعلم وليست صانعة لها، وأوّل خطوات تأصيل العلم أن نقوم بترجمته ترجمةً صحيحةً القصد منها العلم لا الأغراض الأخرى»"[4]، من هنا سنحاول رصد وإحصاء هذه

1. مبروك سعيد عبد الوارث، في إصلاح النّحو العربي، دار القلم، الكويت، 1985، ص: 173. (نقلاً عن حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة، ص: 188).
2. حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة، ص: 193.
3. محمد خاين، النص الإشهاري بين الترجمة والتكييف، مجلة المترجم، العدد 15، جوان 2007م، ص106.
4. حمزة بن قبلان المزيني، مراجعاتٌ لسانية، كتاب الرّياض، رقم79، يونيو2000، ج1، ص: 88.

الأعمال ونقف على طائفةٍ من الكتب والمؤلّفات والبحوث المترجمة إلى اللّغة العربية في مجال اللّسانيّات العرفانية.

وفي هذا الصّدد، يمكن لنا أن نقسّم هذه الأعمال إلى قسمين، القسم الأوّل يخصّ الكتب المترجمة بصفةٍ كاملةٍ وشاملة، والقسم الثّاني منه نحاول الوقوف على التّرجمات الجزئية والتي تتضمّن بحوثًا ومقالاتٍ وفصولاً من كتبٍ تمّ ترجمتها إلى العربية.

1/1/2ــ القسم الأوّل: يتضمّن هذا القسم تلك المؤلّفات والكتب المترجمة إلى العربية، وقد كانت هذه التّرجمة كاملةً شاملةً من أجل التّعريف بالأنموذج اللّساني العرفاني ونقله نقلاً «سليمًا بعيدًا عمّا يكتنف ـ مع الأسف ـ الكثير من أعمال التّبسيط اللّساني الصّادرة بالعربية أصلاً من خللٍ واضطراب»"[1]، بناءً على هذا سأحاول تكشُّف ورصدَ وإحصاءِ هذه الأعمال وذكر الأهمّ، منها وهي:

ـ كتاب: علم الدّلالة والعرفانية:

يعدّ كتاب علم الدّلالة والعرفانية من الكتب المهمّة في ميدان اللّسانيات العرفانية وهو كتاب لـ "**راي جاكندوف**""[2]، وقد تمّت ترجمته ونقله من اللّغة الإنجليزية إلى اللّغة العربية من قِبل المترجم "**عبد الرّزاق بنور**""، كما قام بمراجعته الباحث المترجم

1. حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص: 194.

2. وِلد عالم اللّغة الأمريكي راي جاكندوف في: 23جانفي 1945، وتتلمذ على يد "تشومسكي، وغيره من كبار علماء اللّغة، ثمّ انتقل إلى دراسة علم النّفس والفلسفة والموسيقي، وهو يدرس حاليًا في جامعة "توفنس"، بالولايات المتّحدة الأمريكية، حيث يدير بمعيّة "دانيال دينات" معهد العلوم العرفانية، بعد أن ترك جامعة "برانديس"، عُرف جاكندوف باختصاصه في علم الدّلالة، وهو يعدّ اليوم رائد نظرية علم الدّلالة التّصوّري التي تبنّاها علماء اللّغة مثل "ستيفن بنكر"(1989)، و"بوستيوفسكي"(1995)، والباحثون في علم النّفس مثل "جرزيكيفيتش" و"سكوت(2003) والفلسفة مثل "بوزي")1991) و"هورست"(2002 و2009) والرّياضيات مثل: "زفارت"و"فركوبل"(1994).(يُنظر: راي جاكندوف، علم الدّلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرّزاق بنور (مقدّمة المترجم، ص: 5).

"مختار كريم"، وقد ترجم برعاية المركز الوطني للتّرجمة في تونس عام: 2010م ضمن سلسلة "مقالات اللّغويين""[1]".

ـ كتاب: دلالة اللّغة وتصميمها:

يعدّ كتاب دلالة اللّغة وتصميمها من الكتب المهمّة والدّراسات الجادّة في مجال اللّسانيات العرفانية، وهو كتاب لباحثين متخصّصين في ميدان اللّسانيات، وهم: "راي جاكندوف"، و"نعوم تشومسكي"، و"**زينو فندلر** ***Zeno Vendler***"، وقد تمّت ترجمته ونقله إلى العربية من قبل ثلاثةٍ من الباحثين العرب، وهم: "**محمّد غاليم**" **و**"**محمّد الرّحالي**" **و**"**عبد المجيد جحفة**"، وقد جاء هذا الكتاب كمشروعٍ يهدف إلى « ترجمة نصوص لسانيةٍ مؤسّسة حديثةٍ ومعاصرة؛ وذلك لتمكين المعرفة اللّسانية في الفكر والثّقافة العربيين، ودعم الأبحاث اللّسانية الرّائدة التي ينجزها اللّسانيون المغاربة والعرب بشكلٍ عامّ، وربط الجسور في مجال البحث العلمي العربي بين اللّسانيّات وعلوم معرفية متعدّدة، على غرار ما هو قائم في مراكز البحث المتقدّمة في أوروبا وأمريكا وآسيا، وأهمّ ما يميّز النّصوص المترجمة أنّها تبرز مستوى التّطوّر الذي وصلت إليه اللّسانيات، وتطرح قضايا وإشكالاتٍ معرفية تتداخل فيها الفلسفة والمنطق وعلم النّفس وعلم الأحياء والحاسوبيات، وعلوم أخرى دقيقةٌ متقدّمة»"[2]".

يتضمّن الكتاب نصوصًا مترجمة، النّصّ الأوّل لجاكندوف، «أسس النّظرية الدّلالية الحديث ويناقش أبرز المواقف من المعنى اللّغوي، كالمركزية التّركيبية لدى ممثّلي التّيّار الرّئيس للنّحو التّوليدي التي مفادها أنّ المكوّن التّركيبي هو المصدر الوحيد للقدرة التّوليدية في اللّغة وآراء تشومسكي المتنافرة حول ما يفيده مصطلح "

1ـ للاستزادة يُنظر: راي جاكندوف، علم الدّلالة والعرفانية، (مقدّمة المترجم، ص: 5).

2ـ ر. جاكندوف، ن.تشومسكي، ر.فندلر، دلالة اللّغة وتصميمها، ص: 7.

الدّلالة"، ومفهوم لغة الفكر وطابعها القصدي عند فودور، والمعالجات السّياقية التي تعتبر المعنى شيئًا آخر غير ظاهرةٍ ذهنيةٍ أو جزءًا من المحيط، كاعتباره مرادفا للاستعمال السّياقي أو بناءً اجتماعيا..ويناقش جاكندوف أبعاد هذه المواقف انطلاقًا من نظرية الدّلالة التّصوّرية التي تضع دراسة المعنى في إطار دراسة الذّهن/الدّماغ الوظيفي وشبكة العمليات المعرفية التي يقوم عليها»"[1]

أمّا النّصّ الثّاني لتشومسكي فـ «إنّه يعيد وضعَ المشروع اللّساني ضمن مجالٍ طبيعيٍ ومعرفيٍ واسعٍ هو مجال علم النّفس المعرفي ذي الأسس الإحيائية»"[2].

والنّصّ الثّالث لـ**فندلر** الذي يعدّ «مفصلاً هامّا في التّاريخ المعاصر للبحث اللّغوي الدّلالي، وذلك بطرحة لأوّل مرّةٍ بوضوح الأسئلة التّالية: كيف تميّز اللّغة بين أنواع الأحداث؟ وكيف تبني في نحوها هذه الفروق؟ يذهب فندلر إلى أنّ ذلك يتمّ من خلال التّمييز بين خطاطاتٍ زمنية متباينة، وبذلك فالفروق زمنية، ولأوّل مرّة يتمّ الارتكاز على نوعٍ من الاستدلال في بناء ما سيعرف، فيما بعد بالمقولات الجهية»"[3].

ـ كتاب: مدخل في النّحو العرفني:

1ـ ر. جاكندوف، ن.تشومسكي، ر.فندلر، المرجع السابق، ص: 7ـ8.

2ـ المرجع نفسه، ص: 8.

3ـ المرجع نفسه، ص: 9.

يعدّ الكتاب مدخلاً أساسيًا في فهم نظرية النّحو العرفاني للّساني **رونالد لانقاكر** "***Ronald Langacker***"[1] وقد ترجمه إلى العربية الباحث التّونسي "**الأزهر الزّناد**"[2]، وهو كتاب «يفيد الباحثين المبتدئين في اللّسانيات والمختصّين فيها، وفي الحقول المعرفية المجاورة لها (علم النّفس، الفلسفة، علم الاجتماع...)، بما يتضمّن من مادّةٍ علميةٍ عميقة دسمةٍ متنوّعة، عمل صاحب النّظرية **رونالد لانقاكر** على بلورتها طيلة خمسة عقودٍ من الزّمن في دروسه وبحوثه»"[3].

ـ كتاب: مدخل في نظرية المزج:

وهو كتاب لـ:"**مارك تورنر** ***Mark Turner***"، نقله إلى العربية الباحث الأزهر الزّناد، يتضمّن مجموعةً من المحاضرات والمقالات المترجمة التي قدّمها **مارك تورنر** لطلبة اللّسانيات في كلّية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة خلال نوفمبر :2010، وقد جُمعت في مقدّمةٍ ومحاضرتين بحكم القضايا التي طُرحت فيها"[4].

ـــ كتاب: الصّواتة المعرفية والمسارات الذّهنية للإنجاز اللّغوي:

1ـ لساني أمريكي بقسم اللّسانيات جامعة كاليفورنيا بسان ديغو، ولد في: 27 ديسمبر 1942، وهو من أبرز الأعلام المؤسّسين لتيّار اللّسانيات العرفاني، ولجمعية اللّسانيات العرفنية العالمية التي كان رئيسها لمدّة عامين (1997ـ1999)، وهو معروفٌ بنظريتة الموسومة بالنّحو العرفني، وله فيها مقالاتٌ وكتب كثيرة (يُنظر: رونالد لانقاكر، مدخل في النّحو العرفني، ترجمة الأزهر الزّناد، دار سيناترا، معهد تونس للتّرجمة، ط1، 2018، غلاف الكتاب، الجهة الخلفية).

2ـ أستاذ التّعليم العالي بجامعة منوبة (الجمهورية التّونسية)، مدرّسٌ باحثٌ في اللّسانيات العرفنية وفي التّرجمة له مقالاتٌ وكتبٌ بلغاتٍ متنوّعة، وأعمال عديدة في التّرجمة، من كتبه: دروس في البلاغة العربية: (1992) نسيج النّصّ: (1993)، نظريات لسانية عرفنية: (2010)، فصول في الدّلالة: (2010)، نصوصق في التّرجمة الإنجليزية(2010)، النّصّ والخطاب: مباحث لسانية عرفنية (2011)، اللّغة والجسد (2017) وغيرها من المؤلّفات... (يُنظر: رونالد لانقاكر، مدخل في النّحو العرفاني، المرجع السّابق، غلاف الكتاب، الجهة الخلفية).

3ـ رونالد لانقاكر، المرجع نفسه، الغلاف، الجهة الخلفية.

4ـ للاستزادة يُنظر: مارك تورنر، مدخل في نظرية المزج، ترجمة الأزهر الزّناد، جامعة منوبة، تونس، وحدة البحث، اللّسانيات العرفنية واللّغة العربية، 2011.

يعدّ هذا الكتاب من الكتب المهمّة التي حاولتِ الرّبط بين اللّسانيات العرفانية ومستويات اللّغة من صواتةٍ ومعجم، وهو مجموعةٌ من المقالات المترجمة من الفرنسية إلى اللّغة العربية، من إعداد وترجمة الباحث **مصطفى بوعناني** "[1]" وقدّمه الأستاذ الدّكتور مبارك حنون"[2]"، فهذا الكتاب حسب قول مصطفى بوعناني «ملفّ أوّل من ملفّاتٍ معرفيةٍ نعتزم من خلالها معالجة العديد من قضايا اللّغات الطّبيعية واللّغات الاصطناعية باعتماد المقاربات المعرفية، إنّه بحثٌ في الدّور الذي يلعبه المكوّن الصّوتي في الإنجاز اللّغوي»"[3]"، كما يتوخّى المترجم من خلاله إلى ربط الدّراساتِ اللّسانية العرفانية بالصّواتة، وذلك لـ «تقريب فكرٍ لسانيٍ صوتيٍ معرفيٍ غربيٍ حديث، للباحثين المهتمّين بهذا المجال في وطننا العربي الكبير، بلغةٍ عربيةٍ تتوخّى أن تتحقّق منها أفضل شروط التّواصل»"[4]".

2/1/2ـ القسم الثّاني: يتضمّن هذا القسم مقالاتٍ وبحوث مترجمة في مجال اللّسانيات العرفانية، تحوي في أغلبها مفاهيم أوّليةً ونظرياتٍ تخصّ الأنموذج اللّساني العرفاني، ولعلّ من بين هذه الأبحاث، نجد:

ـ مقالات في مجلّة فصول:

مجلّة فصول مجلّة فصلية محكّمة، أصدرت في العدد: 100، والموسوم بـ "الإدراكيات" مجموعةً من المقالات المترجمة إلى اللّغة العربية، نذكر من بينها:

1ـ أستاذ اللّسانيات العربية واللّسانيات المعرفية بكلّية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، مدير مختبر العلوم المعرفية (يُنظر: مصطفى بوعناني، الصّواتة المعرفية والمسارات الذّهنية، الغلاف).

2ـ أستاذ باحث في اللّسانيات العربية (تخصّص صوتيات) بجامعة محمّد الخامس، الرّباط، أكدال، ومدير أكاديميةٍ سابق (يُنظر، الصواتة المعرفية، ص: 3، الهامش).

3ـ مصطفى بوعناني، المرجع السابق، ص10.

4ـ المرجع نفسه، ص: 12.

- مقال: اللّغة والدّماغ لـــ: "**كاثرين بايلز *Catherine Bayles***"[1]، ترجمة عبد الرّحمن طعمة"[2].
- مقال: طبيعة اللّسانيات الإدراكية لـ: "**فيفيان إيفانز *Vyvyans Evans***"[3] **وميلاني جرين *Melanie Green***"[4] ترجمة عبده العزيزي"[5].
- مقال: هل توجد لسانياتٌ إدراكيةٌ، لـــ: "**كاترين فوكس *Catherine Fox***"[6]، ترجمة لطفي السّيّد منصور"[7].
- مقال: ما هو علم الدّلالة الإدراكي، لـــ: "**ففيان إيفانز وميلاني جرين**"، ترجمة أحمد الشّيمي"[8].
- مقال: مكانة علم الدّلالة في العلوم العرفانية المعاصرة لـ: "**ميهابو أنطوفيتش**"[9] ترجمة حليمة بوالرّيش"[10].
- الأسلوبية العرفانية لـــ: "**بيتر ستوكويل *Peter Stockwell***"[11]، ترجمة رضوى قطيط"[12].

---

1. أستاذة بقسم علوم الكلام والسّمع، جامعة أريزونا، الولايات المتّحدة الأمريكية (يُنظر: مجلّة فصول العدد: 100، ص: 15.

2. مدرّس العلوم اللّغوية واللّسانيات العرفانية العصبية بقسم اللّغة العربية، كلّية الآداب، جامعة القاهرة، مصر (يُنظر: مجلّة فصول، العدد: 100، ص: 15)

3. خبير اللّغويات والتّواصل، ويقوم بالتّدريس في عددٍ من الجامعات الأوروبية (مجلّة فصول، ص: 38)

4. أستاذ مساعد في اللّغويات في جامعة سكس، إنجلترا (مجلّة فصول، ص: 38).

5. باحثٌ ومترجمٌ مصري (مجلّة فصول، ص: 38).

6. مديرة الأبحاث ومنسّق البرنامج الإدراكي في المركز الوطني للبحث العلمي، فرنسا.

7. مترجمٌ مصري.

8. أستاذ الأدب الإنجليزي، عميد كلّية الألسن، جامعة بني سويف، مصر (مجلّة فصول، ص: 78).

9. أستاذٌ مساعدٌ بقسم اللّغة الإنجليزية، كلّية الفلسفة، جامعة نيش، صربيا (مجلّة فصول، ص: 96).

10. أستاذٌ مساعد، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر (مجلّة فصول، ص: 96).

11. أستاذ اللّسانيات الأدبية، كلّية الآداب، جامعة نوتنهام، المملكة المتّحدة (مجلّة فصول، ص: 106).

12. مدرّس اللّغويات، قسم اللّغة الإنجليزية، كلّية الألسن، جامعة عين شمس، مصر (مجلّة فصول، ص: 106).

- الاستعارة الاصطلاحية من وِجهة نظرٍ عرفانية، لـ: "**إيزابيل أوليفيرا *Izabel Oliveira*** "[1]"، ترجمة حسن دواس"[2]".
- مقال: الدّراسة الإدراكية للفنّ واللّغة والأدب، لـ: "**مارك تيرنر *Mark Turner***"[3]"، ترجمة رانية خلاف"[4]".
- مقال: مقالتان في إدراكيات النّصّ الشّعرين لـ: "**لارزيا بيليخوفا *Larzia Beligova***"[5]"، ترجمة وتقديم محي الدّين محسب.
- مقال: انهيار الحاجز بين الدّراسات الأدبية واللّسانيات "مدخل إلى الشّعريات الإدراكية"، **لمارجريت هـ. فريمان *Margaret Freeman*** "[6]"، ترجمة محمّد سمير عبد السّلام"[7]".
- مقال: السّرديات والعلوم العرفانية "علاقةٌ إشكالية"، لـ:" **ماري لورريان *Marie Lorraine***"[8]" ترجمة زهير القاسمي"[9]".
- مقال: مسائلٌ معرفيةٌ في النّقد الأدبي "مسائل إبستيمولوجية"، لـ: "دوى فوكيمه"[10]"، ترجمة محمّد بن الرّافه البكري"[11]".

---

1. أستاذ اللّغات الأجنبية، جامعة السّوربون الجديدة، باريس، فرنسا (مجلّة فصول، ص: 123)
2. أستاذٌ محاضرٌ في الآداب العالمية المعاصرة، قسم اللّغة والأدب العربي، جامعة 20أزت 1955، سكيكدة الجزائر، ص: 123).
3. أستاذٌ بجامعة ماريلاند، كوليدج بارك، الولايات المتّحدة الأمريكية (مجلّة فصول، ص: 133).
4. كاتبةٌ ومترجمةٌ مصرية (مجلّة فصول، ص: 133).
5. أستاذ العلوم الفيلولوجية، جامعة كيرسون، أوكرانيا (مجلّة فصول، ص: 142).
6. أستاذ العلوم الإنسانية، كلّية المجتمع، لوس أنجلوس، الولايات المتّحدة الأمريكية (مجلّة فصول، ص: 165).
7. ناقدٌ ومترجمٌ مصري (مجلّة فصول، ص: 165).
8. باحثة وناقدة سويسرية (مجلّة فصول، ص: 186).
9. ناقدٌ ومترجمٌ تونسي (مجلّة فصول، ص: 186).
10. ناقدٌ هولندي، عمل أستاذًا للأدب المقارن، جامعة أوتربست، هولندا (مجلّة فصول، ص: 209).
11. مترجمٌ مغربي، أستاذ السّيميائيات واللّسانيات، كلّية الآداب، جامعة الدّار البيضاء، المغرب (مجلّة فصول ص: 209).

- عوالم الخطاب والفضاءات الذّهنية لـ: "**بيتر ستوكويل *Peter Stockwell***"[1]، ترجمة بهاء الدّين محمّد مزيد"[2].
- مقال: اللّسانيات المعرفية واللّسانيات الأنثروبولوجية لـ: "**جاري بالمر *Gary Palmer***"[3]، ترجمة داليا إبراهيم أحمد"[4].
- مقال: الثّقافة والنّظرية المعرفية "إعادة تشكيل" لـ: "جوثاكر"[5] وروسيل ديوران"[6]، ترجمة السّيد إمام"[7].

كتاب إطلالاتٌ على النّظريات اللّسانية والدّلالية:

وهو مؤلَّفٌ جماعيٌ في جزئين يحوي مقالاتٍ مترجمةً من قبل مجموعةٍ من الباحثين والأساتذة، من إشراف وتنسيق عزّ الدّين مجدوب، ولعلّ أهمّ هذه المقالات، نجد:

- مقال: نساءٌ ونارٌ وأشياءٌ خطيرةٌ ما تكشفه المقولات حول الذّهن لجورج لايكوف، ترجمة عفاف موقو، وهو في الأصل كتابٌ للباحث "جورج لايكوف حيث يمكن

1. أستاذ اللّسانيات الأدبية، كلّية الآداب، جامعة توتنهام، المملكة المتّحدة (مجلّة فصول، ص: 239).
2. أستاذ اللّغويات والتّرجمة، كلّية الألسن، جامعة سوهاج، مصر (مجلّة فصول، ص: 239).
3. أستاذ الأنثروبولوجيا، جامعة نيفادا، لاس فيجاس، الولايات المتّحدة الأمريكية (مجلّة فصول، ص: 252).
4. مترجمةٌ مصرية، حاصلة على الدّكتوراه في اللّسانيات والتّرجمة (مجلّة فصول، ص: 252).
5. أستاذٌ بجامعة وايكاتو، هاملتون، نيوزلندا (مجلّة فصول، ص: 282).
6. أستاذٌ بجامعة جيريفت، جولد كوست، أستراليا (مجلّة فصول، ص: 282).
7. مترجمٌ مصري (مجلّة فصول، ص: 282).

عدّه «من أهمّ الكتب اللّسانيّة المؤسّسة لانتقال المنوال الطّرازي للمَقْوَلة من حقل علم النّفس إلى حقل الدّراسات اللّسانيّة ذات المشغل العرفاني»"[1]"

- مقال: استقلال اللّغة والعرفان: وهو مُترجمٌ من قبل الباحث ثامر الغزّي لـ "كلود فاندلواز "[2]"
- مقال: الفضاءات الذّهنيّة: وهو للّساني "جيل فوكونياي "[3]"، حاول من خلاله الباحث منصور المغيري ترجمة جزء من الفصل الأوّل للكتاب الموسوم بـ: "الفضاءات الذّهنية مظاهر من بناء المعنى في اللّغات الطّبيعيّة".

بناءً على هذه الجهود العربية في إطار ترجمة ما يخصّ اللّسانيات العرفانية، يمكن القول: إنّ هذه الأعمال في مجملها يغيب فيها التّكامل والتّداخل المعرفي فـ «الثّقافة العربية تفتقر بشكلٍ ملحوظٍ إلى كلّ جوانب التّكامل الذي يفرض تداخل الاختصاصات، حتى تكتمل الدّورة ويتمّ بلوغ الأهداف المتوخّاة، وما يُؤسف له أنّ اللّسانيات معرّضةٌ أكثر من غيرها لاهتزاز الوضعية بسبب حاجتها الماسّة إلى هذا

1. جورج لايكوف، نساءٌ ونارٌ وأشياءٌ خطيرة، ما تكشفه المقولات حول الذّهن، ترجمة عفاف موقو، ضمن مؤلّفٍ جماعي، إطلالاتٌ على النّظريات اللّسانية والدّلالية في النّصف الثّاني من القرن العشرين، مختارات معرّبة إشراف وتنسيق عزّ الدّين مجدوب، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ج1، 2012 ص:316.

2. أستاذ اللسانيّات الفرنسية في جامعة لويزيانا، وقد سبق وأن درّس باعتباره أستاذًا زائرًا بجامعة باريس، وهو يهتمّ بعلم دلالة الفضاء، والعلاقات بين المقولات المعجميّة والتّجربة البشريّة. (يُنظر: استقلال اللّغة والعرفان لكلود فاندولواز، ترجمة ثامر العزي، إطلالات على النظريّات اللّسانيّة، ج1، ص: 347).

3. جيل فوكونياي لساني فرنسي ولد سنة: 1944، تخرّج سنة: 1965 من مدرسة البوليتاكنيك بباريس بدرجة مهندس، وحصل سنة: 1967 على شهادة الدّراسات المعمّقة في الرّياضيات ليغادر بعدها فرنسا إلى الولايات المتّحدة الأمريكية، حيث تخصّص في اللّسانيات وأعدّ فيها شهادة الدّكتوراه في جامعة كاليفورنيا سان دياغو، ثمّ عاد من جديدٍ إلى فرنسا ليواصل بحوثه صلب الجامعة الفرنسية متأثّرًا بالمزاج العرفاني الجديد المجادل لتشومسكي والنّاشئ وقتئذٍ بالغرب الأمريكي، وفي سنة: 1984 نشر أشهر كتبه: "الفضاءات الذّهنية: مظاهرٌ من بناء المعنى في اللّغات الطّبيعية (يُنظر: جيل فوكونياي، الفضاءات الذّهنية، ترجمة منصور الميغري، إطلالاتٌ على النّظريات اللّسانية، ج1، ص: 387).

التّكامل»"[1]، كما نجد انعدام «التّنسيق بين الباحثين ممّا يؤدّي إلى بعثرة الجهود وتكرار الأبحاث، فإنّ عدم التّنسيق هذا وراء عدم تراكم المعرفة التي لا غنًى عنها لإرساء قواعد البحث العلمي الصّحيح والانطلاق ممّا تمّ عمله إلى أعمال أخرى جديدة»"[2]، واقتصرت هذه الكتابات المترجمة في أغلبها على المفاهيم الأوّلية للأنموذج اللّساني العرفاني، مع إهمالٍ كبيرٍ لبعض النّظريات التي جاء بها، كنظرية الخطاطة ونظرية المزج والاستعارة وغيرها.

بالإضافة إلى ما سبق يمكننا القول أيضًا: إنّ الكتاباتِ المترجمة للتّيّار اللّساني العرفاني خاصّةً منها، ما تمّ نقله من فصول أو مقالاتٍ لا يوجد فيها تبسيط، بل تمّ فيها النّقل الحرفي، وهذا ما يجعل القارئ ينفر منها لأنّه يجد فراغًا فيها ومفاهيم غير مكتملةٍ والتّرجمة غير واضحةٍ وغير جيّدة، فكثيرًا ما يهتمّ المترجمون «بترجمة ما يترجمون على الصّورة الصّحيحة، فربّما تجد في هذه التّرجمات عدم الإلمام الكافي بالعلم أو عدم القدرة على صياغته بلغةٍ عربيةٍ سليمةٍ والفوضى في استعمال المصطلحات وغير ذلك من السّلبيات»"[3].

وفي المقابل، بدأت كتاباتٌ أخرى تظهر في البلاد العربية تحاول تيسير هذه النّظرية والتّأليف فيها بغية إيصالها للقارئ العربي بأحسن صورة، إذ «ما يؤسَف له أن يظلّ هذا (التّوجّه) أمرًا مجهولاً عند عامّة المتأدّبين وموضع استهزاء عند عامّة النّاس الذين ينظرون إلى اللّغة وعلمها أنّها من الدّراسات الفارغة التي لا علاقة لها بواقع الحياة، أو أنّها من جملة هذه الكماليات التي تتلهّى بها العقول الخاملة» "[4]، وعليه

1. حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة، ص: 196.
2. المرجع نفسه، ص: 196.
3. حافظ إسماعيلي علوي، امحمّد الملاّخ، قضايا إبستمولوجية في اللّسانيات، ص: 196.
4. أنيس فريحه، نحو عربيةٍ ميسّرة، دار الثّقافة، بيروت، ص: 58.

فقد بدأت تتبدى وتظهر بعض الأعمال والجهود العربية التي تمثل هذا التيار اللغوي الجديد متأثرة في ذلك بالكتب المترجمة.

2/2ـــ الجهود العربية في مجال اللّسانيات العرفانية (الكتابات التّيسيرية):

انفتحت البلاد العربية على الدّرس اللّساني الغربي في مرحلة متأخّرة، وهذا الانفتاح في مجمله لم يكن منظّما، بل كانت تنقصه المنهجية الدّقيقة والشّمولية، فـ «استقبال الثّقافة العربية للّسانيات والتّعامل معها باعتبارها منهجًا علميًا في دراسة اللّغة لم يتمّ دفعةً واحدة» "[1]"، بل عرف عدّة نقائص في البداية و «تدرّجتِ الكتابة اللّسانية العربية الحديثة متفاوتةً في قيمتها المنهجية ومستواها العلمي بالقياس لما وصل إليه البحث اللّساني»"[2]" في الغرب، كما عكست لنا هذه الكتابات «مهما اختلفت مشاربها الفكرية وطبيعتها النّظرية وتنوّعت درجاتها العلمية والمعرفية الاهتمام البالغ الذي تُوليه الثّقافة العربية الحديثة للّسانيات»"[3]".

ولعلّ من بين الكتابات العربية في مجال اللّسانيات، نجد الأنموذج العرفاني، هذا الأخير الذي لم يتمّ نقله إلى البلاد العربية بطريقةٍ ممنهجة، و «كانتِ الثّقافة العربية في حاجةٍ ماسّةٍ إلى وقتٍ غير قصيرٍ لإدراك هذه المعرفة الجديدة» "[4]"، ومنه سنحاول الوقوف على الجهود العربية التّيسيرية لهذا الوافد الغربي الجديد، والتي يمكن تقسيمها وفقَ الأنماط الآتية:

- **نمطٌ تبنّى الطّريقة السّطحية التّبسيطية في عرض الأنموذج اللّساني (مؤلّفاتٌ تيسيريةٌ غير مستقلّة).**

---

1. مصطفى غلفان، اللّسانيات في الثّقافة العربية الحديثة، ص: 144.
2. المرجع نفسه، ص: 143.
3. مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص: 143.
4. المرجع نفسه، ص144.

- نمطٌ تبنّى الطّريقة المعمّقة في عرض الأنموذج اللّساني العرفاني (مؤلّفاتٌ تيسيريةٌ مستقلّة).

1/2/2النّمط الأوّل:

ويشمل هذا النّمط الكتب والمؤلّفات المتخصّصة في اللّسانيات، ونجد في ثناياها الحديث عن العرفانيات، ولعلّ من أهمّها:

- **كتاب: التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم لمحمّد غاليم:** تضمّن هذا المؤلّف في الفصل الرّابع بحثًا له علاقةٌ باللّسانيات العرفانية وسم بـ "مبادئ تصوّرية" أشار فيه إلى البنية الدّلالية والبنية التّصوّرية والمبادئ التّصوّرية"[1]
- **كتاب: مدخل إلى الدّلالة الحديثة لعبد المجيد جحفة:** تضمّن هذا الكتاب الحديث عن مختلف النّظريات الدّلالية، وفي فصله الرّابع الموسوم بـ:" البنية التّصوّرية والبنية الدّلالية" أشار إلى الأساس الذّهني التّصوّري في فهم الدّلالة"[2].
- **كتاب: مسارات المعرفة والدّلالة لصابر الحباشة:** وقد اشتمل هذا الكتاب فصولاً ومباحث في إطار اللّسانيات العرفانية، منها مبحث موسوم بـ "الجسد والعقل أم العقل والجسد" ومبحثٌ آخر موسوم بـ" الجسد في العقل""[3].
- **كتاب: اللّغة والمعرفة رؤيةٌ جديدةٌ لصابر الحباشة:** وقد تطرّق فيه إلى بعض المباحث المتعلّقة باللّسانيات العرفانية، من بينها:"[4]
  - فلسفة تشومسكي واللّسانيات العرفانية.

1. ينظر: محمّد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 1987، ص: 91ـ125(الفصل الرّابع).
2. عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، ص: 93ـ111(الفصل الرّابع).
3. يُنظر: صابر الحباشة، مسارات المعرفة والدّلالة، ص: 111ـ115.
4. يُنظر: صابر الحباشة، اللّغة والمعرفة رؤيةٌ جديدة، ص: 60ـ67ـ86.

- تمهيد تشومسكي لكتاب "اللّغة والعرفان".
- المقولة والطّرز والنّمطية في اللّسان.

2/2/2النّمط الثّاني: ويشمل الكتب والمؤلّفاتِ التي تعمّقت في شرح الأنموذج العرفاني، وحاولت تيسيره للقارئ العربي، فكانت كتبًا مستقلّة شارحةً تيسيرية، ولعلّ من أهمّها، نذكر:

- **كتاب: نظريّات لسانية عرفنية للأزهر الزّناد.**
- **كتاب: اللّغة والجسد للأزهر الزّناد.**
- **كتاب: البناء العصبي للّغة دراسةٌ بيولوجيّة تطوّريّةٌ في إطار اللّسانيّات العرفانيّة العصبيّة لعبد الرّحمن محمّد طعمة"[1].**
- **كتاب: الإدراكيات أبعادٌ إبستمولوجيةٌ وجهاتٌ تطبيقيةٌ لمحي الدين محسب.**
- **كتاب: دراساتٌ نظريةٌ وتطبيقيّةٌ في علم الدّلالة العرفاني لمحمّد الصّالح البوعمراني.**
- **كتاب: مدخل إلى النّحو العرفاني "نظريّة "رونالد لانقاكر" لعبد الجبّار بن غريبة.**

1. باحثٌ مصريٌ متخصّصٌ في مجال اللّسانيّات العصبية والعرفانية، درس بكلية الطّبّ جامعة القاهرة في الفترة من: 1997 حتّى: 2001، قبل الانتقال لدراسة اللّغة بآداب القاهرة، عضو هيئة تدريس قسم اللّغة العربية بكلّية الآداب بجامعة القاهرة، من مؤلّفاته: البناء العصبي للّغة، المعالجة القرنية للمفاهيم الكونية. يُنظر: غلاف كتاب: البناء الذّهني للمفاهيم بحثٌ في تكامل علوم اللّسان وآليات العرفان لعبد الرّحمن طعمة.

- **كتاب: النّظرية اللّسانية العرفانية دراساتٌ إبستمولوجيةٌ لعبد الرّحمن طعمة وأحمد عبد المنعم"[1]".**
- **كتاب: نظريّة الأفضية الذّهنيّة: مبادئها وتطبيقاتها لمحمّد عبد الودود أبغش"[2]"**
- **كتاب: البناء الذّهني للمفاهيم بحثٌ في تكامل علوم اللّسان وآليات العرفان لعبد الرّحمن طعمة.**

وينبغي لنا هنا الإشارة إلى مؤلَّفٍ مهمٍ جمع مجموعةً من المقالات التي تحاول «تعريف القارئ العربي المهتمّ ببعض المعارف والمفاهيم وأدوات التّحليل التي تستعملها المقاربة العرفانية»"[3]"، موسومٌ بـ"دراساتٌ في اللّسانيات العرفانية الذّهن واللّغة والواقع"، ولعلّ من أهمّ فصُول هذا الكتاب، نجد:

- الفصل الأوّل موسومٌ بـ "البُعد الذّهني في اللّسانيات العرفانية مدخل مفاهيمي" لعبد الرّحمن طعمة"[4]".
- الفصل الثّاني موسومٌ بـ ."ملامح من الأبنية الذّهنية للفضاء في النّحو العربي" لعفاف موقو"[5]".

1ـ باحثٌ مصريٌ متخصّصٌ في اللّسانيات العرفانية، ومتحصّل على دكتوراه في الدّراسات اللّغوية من كلّية الآداب، جامعة الإسكندرية (يُنظر: عبد الرّحمن طعمة وأحمد عبد المنعم النّظرية اللّسانية العرفانية دراساتٌ إبستمولوجية، ص: 319).

2. أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير، بكلّية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة(تونس)، عنوانها: "نظرية الفضاء الذّهني: مبادئها وتطبيقاتها، 2015. (يُنظر: الكتاب نفسه، ص: 4).

3ـ دراساتٌ في اللّسانيات العرفانية الذّهن واللّغة والواقع، (مؤلّف جماعي)، تحرير: صابر الحباشة، مباحثٌ لغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربية، 2019، ص: 7.

4ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 13ـ55.

5ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 57ـ 92.

- الفصل الثّالث موسومٌ بـ" التّحليل الدّلالي في المقاربة العرفانية" للحبيب المقدميني"[1].
- الفصل الرّابع موسومٌ بـ" المنهج العرفاني في المقام التّربوي" لعمر بن دحمان"[2].
- الفصل الخامس موسومٌ بــ" المنظوران العرفاني والتّداولي: آفاق التّهجين" لصابر الحباشة"[3].

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من مؤلّفاتٍ وكتب، يجدر بنا الإشارة إلى مجموعةٍ من المقالات التي نشرت في مجلّة فصول، ولعلّ من أهمّها نذكر:

- مقال: اللّغة والمعرفة: قضايا البحث البيمعرفي "مقاربة أوّلية لأنموذج العلاقة بين اللّسانيات وعلم المعرفة لمحمّد الوحيدي "[4]
- مقال: الإبداع في التّداولية المعرفية لذهبية حمّو الحاج "[5]
- مقال: من الاشتراك الدّلالي إلى تغيّر المعنى "منظوراتٌ عرفانيةٌ معجمية" لصابر الحباشة "[6].
- مقال: ملامح التّفكير العرفاني عند النّقّاد والبلاغيين العرب القدامى لصليحة شتيح "[7].

1. ينظر: المرجع نفسه، ص: 93-118

2ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 119-144.

3ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 145-163.

4. أستاذ التّعليم العالي المشارك، الكلّية المتعدّدة التّخصّصات ـ الرّشيدية. جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب. (يُنظر: مجلّة فصول، ص: 323).

5. أستاذة التّعليم العالي، كلّية الآداب واللّغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر (يُنظر: مجلّة فصول ص: 337)

6. دكتوراه في اللّغة والآداب العربية، وعضو جمعية المعجمية العربية، تونس (يُنظر: مجلّة فصول، ص: 345).

7ـ باحثة بجامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

- مقال: بنية القصيدة الجاهلية من النّماذج التّفسيرية السّائدة إلى المنظور العرفاني لسليم العمري "[1]".

وممّا اشتغل عليه العرب في المجال العرفاني مبحث الاستعارة، فقد ألّفتِ الكتب الكثيرة فيها على أساس دورها المعرفي، و«إعادة دراستها ومقاربتها في ضوء الأفكار الجديدة التي انبثقت مؤخّرًا ضمن ما يسمّى بالعلم المعرفي» "[2]"، وبالتّالي أصبحتِ الاستعارة ومقاربتها مقاربةً عرفانيةً من المباحث التي نالت حظًّا وافرًا لدى الباحثين العرب، ولعلّ من بين هذه الأعمال والكتابات، نجد:

- كتاب: الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف"، و"مارك جونسن"ترجمة عبد المجيد جحفة.
- كتاب: النّظرية المعاصرة للاستعارة لجورج لايكوف، ترجمة طارق النّعمان.
- كتاب: دراساتٌ في الاستعارة المفهومية لعبد الله الحراصي.
- كتاب: نظرية الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي لعمر بن دحمان.
- كتاب: الاستعارة القرنية في ضوء النّظرية العرفانية (النّموذج الشّبكي، البنية التّصورية، النّظرية العرفانية) لعطية سليمات أحمد.
- مقال: تأويل المعنى الاستعاري من منظورٍ سيميائيٍ معرفيٍ لعمر بن دحمان[3]
- مقال: الاستعارة في نماذج من شعر محمود درويش "مقاربةٌ عرفانية" للميلود حاجي "[4]".

1ـ عضو هيئة التّدريس بالمعهد العالي للّغات، قابس، تونس. (يُنظر: مجلّة فصول، ص: 407).

2ـ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي، ص: 8.

3ـ أستاذ محاضر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر (يُنظر: مجلّة فصول، ص: 364).

4ـ باحث بجامعة سوسة، تونس (يُنظر: مجلّة فصول، ص: 431).

- البعد الفكري والثّقافي للاستعارة في البلاغة العرفانية لإبراهيم بن منصور التّركي "1"

وخلاصة القول في طبيعة التّلقّي العربي للّسانيات العرفانية أنّه استطاع أن يوصل للقارئ العربي هذا الأنموذج الجديد، وقد تعدّدتِ الكتابات وتنوّعت، فكانت في الأغلب على ثلاثة مسالك:

- كتاباتٌ مترجمةٌ سعت إلى إيصال المعرفة عبر أدوات الفعل التّرجمي والتّعريب.
- كتاباتٌ شارحةٌ تيسيريةٌ حاولت البحث في أسس ومبادئ ونظريات التّيّار العرفاني.
- كتاباتٌ تطبيقيةٌ سعى فيها المؤلّفون إلى تطبيق واستثمار مقولات الأنموذج العرفاني على اللّغة العربية، خاصّة نظرية الاستعارة التّصوّرية.

وعليه سنحاول الوقوف على مجموعةٍ من الكتب والمؤلّفات العربية السّابقة الذّكر، وندرسها دراسةً تحليليةً من أجل فهم أهمّ نظريات ومباحث الأنموذج اللّساني العرفاني.

3ـ مسارات البحث اللّساني العرفاني في التّلقّي العربي: دراسة تحليلية:

تعدّدت نظريات الأنموذج اللّساني العرفاني في التّلقّي العربي وتناولت في أغلبها علم الدّلالة العرفاني، والنّحو العرفاني ونظرية الاستعارة، ونظرية الأفضية الذّهنية ولهذا سنحاول الوقوف على هذه النّظريات في الكتابات العربية، سواء منها المترجمة أم العربية.

1ـ أستاذ النّقد الأدبي، كلّية اللّغة العربية والدّراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السّعودية (مجلّة فصول، ص: 451).

1/3ـ علم الدّلالة العرفاني في التّلقّي العربي:

1/1/3ـ مقولات وفرضيات علم الدّلالة في ظلّ التّوجّه العرفاني:

عرفتِ الدّلالة تطوّراتٍ عديدةً في الحقول اللّسانية حتّى أضحت علمًا مستقلاً بذاته يعرف بعلم الدّلالة، هذا العلم الذي يعرف بأنّه «علم معاني الكلمات وأشكالها النّحوية»"[1]"، وقد شهد علم الدّلالة تطوّرًا ملحوظًا «وكان تطوّره في السّنوات الأخيرة على وجه الخصوص أكثر نجاحًا بفضل تزايد أعداد المهتمّين بمشكلاته واكتساب آفاقٍ نظرية أكثر رحابة، واستخدام إجراءاتٍ منهجية أكثر كفاءة»"[2]" وبفضل هذا النّموّ المعرفي وانبثاق علم الدّلالة «واستجابةً لمبدإ التّطوّر ورقيّ الفكر اللّغوي للباحثين في حقل اللّسانيات الحديثة، بزغت اتّجاهاتٌ ورؤًى لغويةٌ معاصرة تبحث في أعماق الفكر البشري والمنظومة المفهومية العاملة على إيجاد النّظام الكلامي بكلّ أسسه ومرتكزاته، وانطلاقًا من ذلك ظهر اتّجاه لسانيٌ حديثٌ في اللّسانيات الغربية عرف بـ"علم اللّغة الإدراكي"»"[3]" أو العرفاني.

وفي ظلّ هذه التّحوّلات المعرفية، فقد أحدث علم الدّلالة العرفاني تغيّرًا جديدًا في الدّراسات اللّغوية الحديثة والمعاصرة، وجاء على أنقاض علم الدّلالة التّوليدي و «كردّ فعلٍ على وجهة النّظر الموضوعية لفهم العالم، والتي كان يتبنّاها التّراث الفلسفي الأنجلو- أمريكي - وما يتّصل به من منهج علم الدّلالة المشروط بالحقيقة، والذي أحرز تقدّمًا في إطار اللّغويات الشّكلية»"[4]"، أي أنّ علم الدّلالة العرفاني قد أحدث تغيّراتٍ

1ـ ميلكا إفيتش، اتّجاهات البحث اللّساني، ص: 361.

2ـ ميلكا إفيتش، المرجع السابق، ص: 361.

3ـ دلخوش جار الله حسين، علم الدّلالة الإدراكي: المبادئ والتّطبيقات، مجلّة الآداب، العدد 110، 2014م، ص: 52.

4ـ فيفيان إيفانز، ميلاني جرين، ما هو علم الدّلالة الإدراكي، مجلّة فصول، العدد 100، مرجع سابق، ص: 79.

جديدة في البحث اللّساني، قوامها المقاربة الإدراكية للمعنى اللّغوي لا المقاربة الشّكلية له، «تلك المقاربة التي تهتمّ بالبنية التّصوّرية والمعنى اللّغوي»"[1] فهو بذلك يرمي «إلى تطبيع المعنى اللّساني، وذلك بربطه بالاشتغال العامّ للدّماغ، وبذلك يكون علم الدّلالة قريبًا من تصوّرٍ للذّهن ـ الدّماغ أكثر ممّا هو مرتبطٌ بالذّهن ـ الحاسوب»"[2]

إنّ علم الدّلالة في ظلّ التّصوّرات العرفانية، قد أصبح يهتمّ بالبنية الدّلالية التّصوّرية الكامنة في الذّهن، ويحاول «دراسة المعنى اللّغوي كتجلٍّ لبنيةٍ تصّوريةٍ أي: طبيعة التّمثيل الذّهني وطريقة تنظيمه بكل ثرائه وتنوّعه»"[3] فهو يرى بأنّ المعنى مكانه «الذّهن فقط، سواءٌ أوافق هذا المعنى العالم الحقيقي بأيّ طريقٍ خارج أدمغتنا أم لا فهو ليس بأيّ حالٍ مناسب»"[4]، وعلى هذا الأساس فقد طرح علم الدّلالة العرفاني فرضياتٍ جديدة وهي:"[5]

- البنية التّصوّرية المجسّدة (نظرية الإدراك المجسّد).
- البنية الدّلالية بنية تصوّرية في جوهرها.
- تمثيل المعنى الموسوعي.
- بناء المعنى وثيق الصّلة بالتّصوّر.

فهذه الفرضيات السّابقة الذّكر تثبت لنا بأنّ علم الدّلالة العرفاني أساسه الذّهن والبنية التّصوّرية المجسّدة، ويُعنى «باستكشاف طبيعة التّفاعل الإنساني في علاقته

1ـ عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظورٍ دلاليٍ معرفي، مجلّة الخطاب، العدد 10، جانفي2012، تيزي وزو، الجزائر، ص: 43

2ـ إيرين تامبا، علم الدّلالة، ترجمة سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2018، ص: 49.

3ـ عمر بن دحمان، المرجع السابق، ص: 42.

4ـ ميهايو أنطوفيتش، مكانة علم الدّلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، ص: 100.

5ـ فيفيان إيفانز، ميلاني جرين، المرجع السابق، ص: 79.

مع العالم الخارجي، وبناء نظريةٍ في البنية التّصوّرية تتّسق مع طرقنا في خبرتنا بالعالم» "[1]"، كما «أنّ اللّغة تشير إلى تصوّراتٍ في ذهن المتحدّث، أكثر من إشارتها في العالم الخارجي» "[2]" أي أنّ اللّغة في ظلّ التّصوّر الدّلالي العرفاني بناءٌ تصوّريٌ مجسّد ينشأ من التّجربة الجسدية، «فبناء المعنى يساوي التّصوّر، وهي عمليةٌ دينامية تخدم الوحدات اللّغوية بموجبها كـ: "مثيرات" أو "محفزات" لنسقٍ معيّنٍ من العمليات التّصوّرية واستدعاء المعرفة الموسوعية»"[3]".

وبهذا يكون علم الدّلالة العرفاني قد فتح ثلاث ورشٍ للدّراسة تتعلق بـ:"[4]"

- التّعابير الفضائية المرتبطة بالإكراهات الإدراكية، ولاسيما البصرية، والصّور النّمطية الدّينامية (ج. ب. ديكاليه)، وشيمات الاستنباه الخارجي (طالمي) والإكراهات البدنية (س.فاندولواز 1986) والبيانات الشّخصية وتخطيطية تحدّد علم دلالة المقولات النّحوي (لانقاكر 1987).
- المقولية (روش 1975).
- نشاط المفهمة الاستعارية (لايكوف 1987).

وعليه سنحاول الوقوف على أهمّ الرّكائز والمفاهيم التي تمّ استحداثها في ظلّ انبثاق علم الدّلالة العرفاني.

2/1/3ـ مقولات وركائز علم الدّلالة العرفاني:

1ـ المرجع نفسه، ص: 80.

2ـ المرجع نفسه، ص: 81.

3ـ فيفيان إيفانز، ميلاني جرين، المرجع السابق، ص: 84.

4ـ إيرين تامبا، علم الدّلالة، ص: 49ـ50.

قام علم الدّلالة العرفاني على عدّة مفاهيم جديدةٍ قوامها الأنشطة الذّهنية والعمليات العقلية التي يقوم بها الإنسان، ولعلّ من بين هذه المقولات والرّكائز، نجد:

- **المقولة:**

تعدّ المقولة أو ما يعرف بالتّصنيف من أهمّ المفاهيم المستحدثة في ظلّ تصوّر علم الدّلالة العرفاني، و«تعني المقولة وجود عددٍ من الأشياء تكون متماثلة، وتكون المقولة عادةً موسومةً بأسماء مثل: كلب، حيوان. وتتمثّل المقولة في أن نضع في خانةٍ واحدةٍ أشياء تجمع بينها روابط معيّنة» "[1]"، فهي بهذا قائمةٌ على التّشابه التّصنيفي للحيوانات والنّباتات وحتّى الأشياء.

بناءً على هذا المفهوم، فإنّ المقولة شرطٌ ضروريٌ لبناء المفاهيم في أذهان الجماعة البشرية، «فبدونها يكون المحيط وكذلك الأفكار وضروب السّلوك مبعثرةً وفوضويةً وبدونها لا تستطيع الذّاكرة أن تحتفظ بشيء» "[2]"ومنه، فإنّ:«المقولة هي هذه العملية العقلية التي تقوم على ضمّ مجموعةٍ من الأشياء المختلفة في صنفٍ يجمعها لذلك فإنّ كلّ شيءٍ متعلّقٌ بعالم الإنسان محكومٌ بالمقولة، فأفكارنا وإدراكنا الحسّي وحركتنا وكلامنا جميعها نشاطات تقوم على المقولة» "[3]" ووضع تصنيفاتٍ لكلّ ما يحيط بنا من موجوداتٍ في الطبيعة وفي المجتمع وفي عالم الفكر والوجدان.

إنّ مفهوم المقولة من المفاهيم التي تشكّلت في ظلّ مقولات علم الدّلالة العرفاني الذي يرى بأنّنا «نستعمل عشراتٍ إن لم نقل مئات المقولات، مقولات في نطق الأصوات والكلمات والجمل والفقرات والخطابات»"[4]" في فهم عالمنا الخارجي والتّعايش مع أفراده

1ـ عبد الله صولة، المقولة في نظرية الطّراز الأصلية، حوليات الجامعة التّونسية، العدد 46، 2002م، ص371.

2ـ عبد الله صولة، المرجع نفسه، ص: 371.

3ـ محمّد الصّالح البوعمراني، دراساتٌ نظريةٌ وتطبيقيةٌ في علم الدّلالة العرفاني، ص: 13.

4ـ المرجع نفسه، ص: 13.

ومكوّناته المتعدّدة، «فكلّما قصدنا إلى إنجاز نوعٍ من الحركة أو قول شيءٍ ما أو كتابة شيءٍ ما، فنحن نستعمل المقولات» "[1]" المخزّنة في عقولنا وأذهاننا، فهي بذلك «آليةٌ ذهنيةٌ يقوم بها جميع النّاس بلا استثناء» "[2]"، فالكائنات البشرية خلقت لتمقول وتصنّف وتعرّف كلّ ما يحيط بها «فالمقولة ناتجةٌ عن الكيفية التي نحن مجسّدون بها، نحن نشأنا لنمقول، لو لم نفعل لما استمررنا في الحياة. ليستِ المقولة، في جزءٍ كبيرٍ من منتوجات الفكر الواعي، إنّنا نمقول كما نمقول لأنّ لنا الأدمغة والأجساد التي لنا، ولأنّنا نتفاعل في العالم بهذه الطّريقة التي نتفاعل بها» "[3]"، وعلى هذا الأساس فإنّ «أغلب عمليّات التّصنيف والمقولة عمليات تلقائيةٌ آليةٌ غير معقلنة...وهذا أحيانًا يعطي لنا انطباعًا أنّنا نمقول الأشياء على أصلها، كما هي في الطّبيعة، وأنّ مقولاتِنا العقليّة تتناسب طبيعيًا مع أنواع الأشياء في العالم»"[4]".

- **التّجسّد:**

تعدّ مقولة التّجسّد أو الجسدنة من الرّكائز الأساسية في علم الدّلالة العرفاني، فجميع أنشطة الإنسان لها علاقةٌ ببنيته الجسدية، و«نحن ندرك الأشياء من حولنا انطلاقًا من حضورنا الجسدي في الزّمان والمكان، فمكان الإدراك، ومسافة الإدراك وطريقة الإدراك، وزاوية الإدراك هي التي تحدّد طبيعة فهمنا للشّيء المدرك»"[5]"، كما

1ـ المرجع نفسه، ص: 13.

2ـ عبد الحميد عبد الواحد، محمّد خروف، المقولة في نظرية النّموذج الأصل، مجلّة سياقات اللّغة والدّراسات البينية، الإصدار الأوّل، العدد الثّالث، أغسطس 2016، ص: 96.

3ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد الذّهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص: 55.

4- *Lakoff (George), Women, fire, and dangerous things what categories reveal about the mind/the university of chicago press.1987, p6.*

5ـ محمّد الصّالح البوعمراني، المرجع السابق، ص: 8ـ9.

أنّ «كلّ متكلّمٍ هو عند نفسه محور العالم فذاته ومكانه وزمانه هي المرجعيات العرفانية التي تحدّد وجود الأشياء وطريقة كلامه عليها»"[1].

بناءً على هذا التّصوّر، فإنّ علم الدّلالة العرفاني يرى بأنّ «العقل ينشأ من طبيعة أدمغتنا وأجسادنا، ومن تجربتنا الجسدية...بل إنّه يتشكّل بصورةٍ حاسمةٍ بخصوصيات أجسادنا البشرية، وبالتّفاصيل الاستثنائية للبنية العصبية لأذهاننا»"[2] ولا يمكن أن نفصل بين ما هو عقليٌ ذهنيٌ داخلي، وبين ما هو جسدني خارجي.

وعلى هذا الأساس، فإنّ فرضية التّجسدن أساسها الرّبط المنطقي بين الجسد والعقل إذ إنّها «تحاول أن تثبت أنّ الأذهان ليست بصفةٍ جوهريةٍ عملياتٍ خوارزميةٍ غير متجسّدة، مثل برنامج الحاسوب، ولكنّها تنشأ بدلاً من ذلك وتقيّد بأنواع من التّنظيم المنعكس في الخصيصات البيولوجية، والتّشريحية، والكيميائية الحيوية والفيزيولوجية العصبية للجسد والدّماغ»"[3]، فـ «الآليات العصبية والعرفنية التي تمكّننا من الإدراك ومن التّنقّل فيما يحيط بنا، هي نفسها الآليات التي تخلق أنسقتنا التّصوّرية وطرق التّفكير عندنا»"[4].

وعليه فإنّ أساس المعنى في علم الدّلالة العرفاني جسدي، فالإدراك بالجسد يقودنا إلى معرفة أنّ هناك فضاءً له صلةٌ بالأساس الجسدي للدّلالة التّصوّرية، كما أنّ طبيعة التّنظيم التّصوّري الذّهني ينشأ من خلال التّجربة الجسدية، «فالبنية التّصوّرية تنطوي

1ـ عبد الله صولة، أثر نظرية الطّراز الأصلية في دراسة المعنى، حوليات الجامعة التّونسية، العدد 45، 2001م، ص: 279.

2ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد الذّهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربي، ص: 38.

3ـ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصوّرية والخطاب الأدبي، ص: 53.

4 *Lakoff,G. and Johnson, M.1999. Philosophy in the Flesh : The Embodied Mind and its Challenge to Western Thought, New York : Basic Books, p634.*

على معنًى بفضل كونها متّصلةً اتّصالاً مباشرًا بخبرةٍ جسديةٍ سابقةٍ للإدراك»"[1]، وبالتّالي فإنّ للجسد دورًا محوريًا وبارزًا في تشكيل البنية الذّهنية التّصوّرية، فـ «الجسد أساسي في تحديد هويتنا البشرية وحقيقة إنّ تفكيرنا البشري يظلّ مرتبطًا بوجودنا المادّي وتجاربنا وعلاقتنا بالواقع المادّي حولنا، وليس تفكيرًا مجرّدًا غير مرتبطٍ بالمادّة بشكلٍ من الأشكال»"[2"، فالكثير من التّجارب والأفكار الذّهنية لها علاقةٌ ببنية الجسد وبشكلٍ من الأشكال المادّية المحيطة بنا.

- **الطّراز (النّموذج الأصل):**

تعدّ نظرية الطّراز من النّظريات الدّلالية المعرفية التي قامت على أساس بناء تصوّر المقولة فـ «نموذج الطّراز...يشكّل النّموذج الأفضل للمقولة» "[3]" فالطّراز هو أساس المقولات، و«نموذجها من حيث اشتماله على أبرز الخصائص التي تميّز مجمل أفرادها، كأن يعتبر النّسر نموذجًا للطّير لكونه يختزل أبرز صفاته» "[4]".

بناءً على هذا، فإنّ المقاربة الطّرازية «مقاربةٌ دلاليةٌ تنطلق ممّا يسمى "الطّراز وتندرج في مبحثٍ أعمّ هو الدّلالة العرفانية، وقد أسّس هذه المقاربة على دراسات الباحثة الأمريكية إلينور روش في السّنوات السّبعين من القرن العشرين...والطّراز هو النّموذج الذي يعترف المتكلّمون بأنّه أفضل النّماذج تمثيلاً للموجود، وهذا يعني أنّ

1ـ ففيان إيفانز، ميلاني جرين، المرجع السابق، ص: 86.

2ـ عبد الله الحراصي، دراساتٌ في الاستعارة المفهومية، كتاب نزوى، مؤسّسة عمّان للصّحافة والأنباء والنّشر والإعلان، الإصدار الثّالث، أفريل2002، ص: 25.

3ـ أحمد جوهاري، المقولة ظاهرة معرفية: من التّأسيس إلى التّوسيع، مجلّة جيل الدّراسات الأدبية والفكرية العام السّادس، العدد 55، سبتمبر2019، ص: 120

4ـ عبد الله صولة، المقولة في نظرية الطّراز الأصلية، ص: 369.

المقولاتِ لا تكوّنها عناصر متساوية الأبعاد بالنّسبة إلى المقولة، بل هي مشتملةٌ على عناصرَ هي نماذج أفضل من نماذج أخرى»"[1]

وممّا ينبغي الإشارة إليه هنا، أنّ النّظرية الطّرازية قد قامت على أنقاض نظريةٍ تقليديةٍ عرفت نظرية الشّروط الضّرورية الكافية، حيث «قامت نظرية النّماذج الأصلية على النّقد الشّديد لنظرية (ش ض ك) واتّهامها بالقصور، والعجز عن تقديم وسائل فعّالة للتّعرّف على المقولة، حتّى أنّ النّظرية الجديدة اعتبرت النّموذج الأصل الرّديف المقابل للشّروط الضّرورية الكافية المطبّقة على وجه الخصوص في مستوى الدّلالات»"[2].

وقد مرّت نظرية الطّراز عند إلينور روش بمرحلتين أساسيتين، هما في الأصل نظريتان:"[3]

أ- **نظرية النّموذج الأصل:** وفيها تقتضي المقولة وجود طرازٍ يمثّل في الذّهن مرجعيةً عرفانيةً ترتّب في ضوئها أفراد المقولة ترتيبًا تفاضليًا بحسب شدّة مشابهتها لذلك الطّراز أو ضعفها.

ب- **النّظرية الموسّعة:** وتقوم لا على الإقرار بوجود طرازٍ يكون أفضل ممثّل للمقولة وبوجود أفرادٍ تتفاوت درجات مشابهتها له، بل تقوم على مدى التّشابه الأسري ولو في خصّيصة واحد، بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ «نظرية الطّراز تقوم على مبدئين اثنين متلازمين، مبدأ الإدراك الحسّي من ناحية ومبدأ الاقتصاد من ناحيةٍ أخرى. فحول مبدأ الإدراك الحسّي ترى روش أنّ العالم المدرك مثلما يقوم على الانقطاعات فإنّه يقوم على التّرابطات...ويتمثّل مبدأ

1ـ إبراهيم بن مراد، المقولة الدّلالية في المعجم، مجلّة المعجمية، تونس، ع 16ـ17، 2001، ص: 61ـ62.

2ـ عبد الحميد عبد الواحد، محمّد خروف، المرجع السابق، ص: 97.

3ـ يُنظر: عبد الله صولة، المرجع السابق، ص: 369ـ370.

الاقتصاد في عملية المقولة في أن تزوّدنا بأكثر ما يمكن من المعلومات بأقلّ ما يمكن من الجهد الذّهني»"[1].

- **الخطاطة الصّورة:**

خطاطة الصّورة من المفاهيم التي شكّلتِ المجال التّصوّري العرفاني، وقد عُني بها العديد من الدّارسين لعلّ من بينهم "مارك جونسون" و"جورج لايكوف" من خلال كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها"، إذ «يرى جونسون أنّ خطاطة الصّورة تقع في مستوًى من التّنظيم الذّهني يقبع بين البِنى القضوية المجرّدة والصّور الحسّيّة المخصوصة من جهةٍ أخرى»"[2]، فهي بذلك مفهومٌ ذهنيق تصوّريٌ قضوي مجرّد.

وقد عُني بالخطاطة الصّورة العديد من الباحثين، واعتبروها مفهومًا أساسيًا في النّظرية العرفانية، إذ هو من المفاهيم التي تجسّد هذا التّيّار أحسن تمثيل، فهي معطًى أساسي ومركزيٌ في نظرية الدّلالة العرفانية، أسّس له مارك جونسون من خلال كتابه "الجسد في العقل" الصّادر سنة: 1987م ، أشار فيه إلى الطّريقة التي من خلالها يمكن للتّجربة المجسدنة أن تتمظهر وتتجلّى في المستوى العرفاني"[3] وهذا ما جعله يعرّفها بأنّها: « نمطٌ ديناميكيٌ متكرّرٌ لتفاعلنا الإدراكي وبرامجنا الحركية، يضفي على تجربتنا انسجامًا وبنية»"[4].

1ـ المرجع نفسه، ص: 374.

2ـ محمّد الصالح البوعمراني، المرجع السابق، ص: 119.

3ـ يُنظر: الحبيب المقدميني، نظرية الجسدنة في العلوم العرفانية (المعرفية) ومحوريتها في المقاربات اللّسانية للدّلالة والنّحو، مؤلّف جماعي، العدد العشرون، سلسلة رسالة الباحث الدّولية، منشورات ألفا للوثائق، قسنطينة الجزائر، ط1، 2020م، ص: 264.

4 – *Mark Johnson, The body in the mind, the bodily basis of meaning, imagination and reason.The university of Chicago press, Chicago, New York.1987.P xiv*

على أنّه من المهمّ هنا أن نشير، إلى أنّ مفهوم الخطاطة قد ارتبط بمفهومٍ آخر في التّصوّر العرفاني، ألا وهو الجسدنة، وهذا ما أكّده العرفانيون في طرحهم الأساسي الذي يبيّن أنّ للإدراك والقدرات الحركية والجسدية دورٌ في تنظيم تجربتنا وتنظيم مفاهيمنا ورؤانا، وإدراك واستيعاب المعاني، فهم يعتبرون أنّه لا وجود للمعنى أو الخيال أو لأشدّ مفاهيمنا تجريدًا وصورنةً خارج الجسد أو خارج الإدراك المتجسّد للعالم"[1].

وإذا نظرنا إلى تعريفاتٍ أخرى، فإنّنا نجدها لا تخرج عن المقولاتِ والمفاهيم السّابقة، حيث عرفت بأنّها: «شبكةٌ تصوّريةٌ تنظّم نشاطنا الجسدي ومعارفنا الذّهنية، وتؤسّس لضروب سلوكنا، وتحكم رؤيتنا المنسجمة للحياة والكون» "[2] فهي بذلك تصوّرٌ ينظّم كلّ ما يدور في الذّهن، أساسها الرّبط بين كلّ السّلوكات والرّؤى والنّشاطات الجسدية.

وهذا ما يجعل الخطاطة الصّورة في هذا التّيّار من الآليات التي تمثّل المركز الأساس، ومن هنا ينبغي لنا أن نحدّد أهمّ الخصائص والسّمات التي تشكّل الخطاطة الصّورة، ولعلّ أهمّها:

- خاصّيّة التّنظير: إنّ الخطاطة الصّورة بنيةٌ تمثيليةٌ نظيرةٌ مستمدّةٌ من التّجربة فهي بذلك تتّخذ لها شكلاً في النّظام المفهومي الذي يعكس التّجربة، لكنّ هذا

1ـ يُنظر: محمّد الصّالح البوعمراني، المرجع السابق، ص: 91.

2ـ عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النّظرية العرفانية (النّموذج الشّبكي ـ البنية التّصورية ـ النّظرية العرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2014م، ص: 61.

الانعكاس لا يكون من خلال الرّسومات البيانية، إذ هي لا توجد في الذّهن على هذه الشّاكلة الرّمزية، بل يتمّ تمثّلها عبر التّجارب الحسّية المترابطة"[1]

- إنّ الخطاطة الصّورة هي ملخّصٌ لجملةٍ من الحالات الإدراكية المجتمعة مع بعض، ومثال ذلك عملية السّياقة التي لا يمكن أن تكتمل بمجرّد قراءة كتاب قوانين السّياقة أو الاستماع إلى إرشادات المعلّم، بل يقتضي الأمر ممارسة هذه التّجربة للتّعوّد على مجموعةٍ من الحركات المترابطة التي يمكن للذّهن أن يسجّلها ويخزّنها فتصبح حينئذٍ العملية روتينيةً متكرّرةً في اللاّوعي العرفان"[2].
- إنّ الخطاطة الصّورة تستمدّ من التّجارب الحسّية الإدراكية، لكن يمكن أن تختزل وتنشأ مفاهيم مبسّطة قادرةٌ على تنضيد المفاهيم المعجمية المعقّدة، وهذا ما يخوّل لها الانسحاب عن كلّ مظاهر التّجربة الإنسانية المادّية والمجرّدة التي نفهمها عبر آلية الاستعارة المفهومية، وهذا يجعلنا نتبيّن دور الخطاطة الصّورة من خلال قدرتها على تزويدنا بالأسس المادّية الجسدية للإسقاطات الاستعارية، كأن نتمثّل ونتصوّر المشاعر والإحساسات والانفعالات على أساس كونها أشياء مادّيةً كما في قولنا:(أعماه الحبّ، فقد الشّجاعة، عضّه الدّهر...)"[3].

وفي هذا السّياق واستنادًا إلى ما سلف، فقد حدّد "جورج لايكوف" الأركان الأربعة التي تقوم عليها الخطاطة الصّورة في المقاربة الألسنية نوردها كالآتي:"[4]

- التّجربة المجسدنة، وارتباط معنى الخطاطة بتجربتنا االجسدية.

1ـ يُنظر: الحبيب المقدميني، نظرية الجسدنة في العلوم العرفانية (المعرفية) ومحوريتها في المقاربات اللّسانية للدّلالة والنّحو، ص: 265.

2-*Vyvyan Evans, Melaine Green ; Cognitive linguistics, An introduction, Edinburgh University press.2006, P180*

3ـ يُنظر: الحبيب المقدميني، المرجع السابق، ص: 266

4ـ يُنظر: الأزهر الزّناد، نظريّات لسانية عرفانية، ص: 168.

- العناصر البنيوية والأركان الأساسية لقيام الخطاطة.
- المنطق الأساسي للخطاطة وقيامها على التّنضيد الدّاخلي.
- النّماذج الاستعارية الجارية التي تتحقّق فيها الخطاطة.

كلّ هذه المفاهيم السّابقة قد شكّلت لنا درسًا دلاليًا جديدًا في الدّراسات الغربية خاصّةً مع راي جاكندوف «رائد علم الدّلالة التّصوّري»"[1] وصاحب مؤلّف "***Semantics and Cognition*** والمترجم إلى العربية إلى"علم الدّلالة والعرفانية" من قِبل "عبد الرّزاق بنّور"، لهذا سنحاول أن نقف ونحلّل هذا الكتاب الذي شكّل نقطة انطلاقٍ علم الدّلالة العرفاني عند الغرب لينتقل بعدها إلى السّاحة العربية.

3/1/3ــ قراءة في كتاب علم الدّلالة والعرفانية:

يشتمل الكتاب على أربعة أجزاء، وكلّ جزءٍ منه يحتوي على فصول، الجزء الأوّل منه موسوم بــ "القضايا الأساسية"، واستهلّه بتصديرٍ قبل البدء في الفصول ويضمّ فصلين اثنين، الأوّل عنوانه: " البنية الدّلالية والبنية التّصوّريّة"، أمّا الثّاني وسم بـ "الإفادة والإحالة".

الجزء الثّاني من الكتاب موسوم بـ: "الأُسس العرفانية لعلم الدّلالة" ويشتمل على أربعة فصول، هي: "التّفريد"، نظم البنية التّصّوريّة"، "المقْوَلة"، البنية الدّلالية هي البنية التّصوّريّة".

أما الجزء الثّالث فمعنون بــ: " معاني الكلم"، ويتكوّن من فصلين: "إشكاليّات التّحليل المعجمي"، و"أنظمة قواعد التّفضيل".

1ـ راي جاكندوف، علم الدّلالة والعرفانية، ص: 5.

الجزء الرّابع من الكتاب موسوم بــ: "تطبيقات" ويضمّ ثلاثة فصول، هي:"علم دلالة العبارات الحيّزيّة"، الحقول الدّلاليّة غير الحيّزيّة وفرضية العلاقات الإسناديّة"، "نظرية التّمثيل".

ويتألّف الكتاب من أربعمائة وسبعين صفحة، وقد تصدّر الكتاب بمقدّمة للمترجم "عبد الرّزاق بنّور"، قام فيها بتعريف المؤلّف "راي جاكندوف" وأهمّ مؤلّفاته ومجالاته البحثية، بعدها راح يعرض علينا أهمّ الأفكار الواردة في المؤلَّف، ثمّ بيّن لنا طريقته في التّرجمة، وختم الكتاب بثلاثة فهارس، الأوّل يخصّ المصطلحات الواردة في الكتاب، والثّاني خاصّ بأسماء الأعلام، والثّالث فهرس المحتويات.

والمعلوم أنّ هذا الكتاب قد ألفّ في فترةٍ قد سادت فيها مناهج لسانية تحاول أن تقارب الدّلالة والمعنى، منها المنهج التّوليدي التّحويلي والتّيار التّداولي، فقد كتب هذا المؤلّف في «خضمّ الخصومة بين التّداولية التي تبحث لها عن مكانٍ بين علم النّفس والعرفانية، وعلم الدّلالة التّوليدي الذي بدأ ينافس النّظرية النّموذجية التّشومسكية حتّى دفعها نحو الأفول»"[1]"، فــ «التّداولية لم تصبح مجالاً معتدًّا به في الدّرس اللّغوي المعاصر إلاّ في العقد السّابع من القرن العشرين»"[2]"، كما انصبّ تركيزها على « علاقة النّشاط اللّغوي بمستعمليه، وطرق كيفية استخدام العلامات اللّغوية بنجاح، والسّياقات والطّبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالةً تواصليةً واضحةً وناجحة، والبحث في أسباب الفشل

1ـ راي جاكندوف، المرجع السابق، ص: 9.

2ـ محمود أحمد نحلة، آفاقٌ جديدةٌ في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص: 9.

في التّواصل باللّغات الطّبيعية»"[1]، ورافق هذا أيضًا ظهور النّماذج التّوليدية المتتابعة التي بدأت تناقض آراء تشومسكي الأولى وتولِي الاهتمام الكبير للدّلالة.

في ظلّ هذا التّصارع المعرفي، ظهر هذا الكتاب لجاكندوف الذي حاول فيه تجاوز آراء التّوليدية التّحويلية وتقديم آراء جديدة حول الدّلالة والذّهن، «فالتّركيب الدّلالي... يقرّ بأن ليس هناك مكوّن دلالي ولا بنيةٌ تركيبية، إنّ البنية التّحتية الوحيدة هي التّمثيل الدّلالي، والقواعد التّحويلية تحوّل التّمثيل الدّلالي إلى بنيةٍ سطحية»"[2]، فهذا الكتاب إذن سعى من خلاله **جاكندوف** إلى الرّفع من قيمة الدّلالة مؤكّدًا على رفض فكرة «الفصل بين النّظرية العرفانية والنّظرية التّوليدية بل يحاول في أسوإ الأحوال أن يوفّق بينهما، ويعتبر في أحسنهما أنّها نظرية واحدة، وهو ما يجعله متفرّدا»"[3]، وبهذا فقد أعلى **جاكندوف** من شأن المعنى معتبرًا إيّاه أساسًا للبنية التّركيبية، فهو في نظره «بنية ذهنيةٌ في الدّماغ، أي أنه تمثيلٌ ذهني يشفّر المعلومة المُدخلة...عن طريق الإدراك الحسّي باعتبارها مقولة الإنسان للكون»"[4]

في ظلّ هذا التّحوّل المعرفي، حاز المعنى مكانةً مركزية، مزيحاً بذلك النّظم والتّركيب، إذ لا يمكن فهم اللّغة واكتسابها إلاّ بالمعاني في المنظور العرفاني، فـ «متعلّم اللّغة غير قادرٍ على اكتساب نحو لغةٍ ما دون استعمال قواعد التّناسب ويجب عليه أن يتكهّن بطريقةٍ مستقلّةٍ بمعاني الأقوال انطلاقًا من السّياق... ويستحيل تعلّم

1ـ مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب دراسةٌ تداوليةٌ لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت، ط1، 2005، ص: 5.

2ـ عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة نماذج تركيبية ودلالية، ج1، ص: 71.

3ـ راي جاكندوف، المرجع السابق، ص: 17.

4ـ المرجع نفسه، ص: 15-16.

النّظم دون أن يوظّف المتعلّم المعلوماتِ التي توفّرها الأبنية التّحتية للجمل وهم يعتبرونها ممكنة التّوليد انطلاقًا من المعنى»"[1].

وعليه، فإنّ التّصوّر العرفاني قد آمن بمقولة: "الذّهنية" «فمعنى جملةٍ من الجمل ليس مشروطًا بعلاقتها بالواقع الذي يحدّد قيمة حقيقتها، ولا بالبنية النّظمية المجرّدة بل ببنية المفاهيم التي تُوظّف في ذهن المتكلّم والسّامع وطبيعتها»"[2]، ففهم الأشياء المحيطة بنا أساسه الذّهن ومختلف العمليات العقلية التي تصوّغه بطريقةٍ مختلفة « فالعالم كما نعيشه متأثّر حينئذٍ وجوبًا بطبيعة العمليات اللاّواعية في تنظيم المدخل البيئي، ولا يستطيع المرء أن يدرك العالم الحقيقيّ كما هو»"[3]، فالإدارك الحسّي لمَا يحيط بنا في البيئة قائمٌ في الأساس على التّصور الذّهني فما «يراه المرء لا يمكن أن يكون سببه البيئة المحيطة فقط، لأنّ الصّور مشبعةٌ بتنظيم غير موجودٍ في أيّ حسّ مادّي»"[4].

بناءً على هذه التّصوّرات، فإنّ عملية الإدراك لا يمكن أن تقوم إلاّ من خلال ذلك التّفاعل القائم بين التّمثّلات الذّهنية والواقع الكوني المحيط بنا، إذ لا يمكن إنكار أنّ هناك «مستوياتٍ من التّمثيل الذّهني تكون فيها المعلومة التي تؤدّيها اللّغة منسجمةً والمعلومة الآتية من الأنظمة المحيطة، مثل: الرّؤية، والسّماع غير اللّغوي، والشّمّ والشّعور بالحركة، وهكذا، وإذا لم توحّد مثل هذه المستويات يكون من المستحيل استعمال اللّغة في الإخبار عن المدخلات الحسّية، ولا نستطيع الحديث عمّا نرى ونسمع»"[5]، وعليه لا يمكن أن نضع قطيعةً بين المفهوم الموجود في الذّهن والواقع

1ـ المرجع نفسه، ص: 63.

2ـ المرجع نفسه، ص: 16.

3ـ راي جاكندوف، المرجع السابق، ص: 81.

4ـ المرجع نفسه، ص: 80.

5ـ المرجع نفسه، ص: 68.

البيئي، فعلم الدّلالة العرفاني لا يقطع الصّلة بينهما، ولكن في نفس الوقت لا يمكن عدّها «العلاقة الأساسية التي تقوم عليها الدّلالة»"[1].

وعليه، فقد مثّل كتاب " علم الدّلالة والعرفانية" لبنةً أساسيةً في بروز علم الدّلالة العرفاني لدى الباحثين العرب، إذ إنّه تضمّن مجموعةً من المفاهيم والأفكار المستحدثة التي لا وجود لها في الفكر العربي الحديث، فمن أراد فهم مقولات الفكر اللّساني العرفاني، والتي في أغلبها تجمع بين المقولات الفلسفية والنّفسية، «ومن يرغب في فهم مراحل تكوين النّظرية.... (فعليه)أن يستهلّ البحث بجديّةٍ في هذه المسألة من كتاب "علم الدّلالة والعرفانية»"[2]، فالأفكار المتضمّنة في الكتاب تعدّ منطلقًا أساسيًا لفهم النّظرية العرفانية وعلم الدّلالة العرفاني، كما أنّه ألّف في مرحلة نضج الأفكار العرفانية بعد كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" الذي صدر سنة: 1980م، الذي يعدّ الكتاب الأوّل الذي أدّى إلى انبثاق التّيّار اللّساني العرفاني، فـ «أهمّية هذا الكتاب تكمن في أنّ المفاهيم لم تتبلور بما فيه الكفاية في الأعمال التي سبق صدوره، ويعدّه الباحثون العارفون نقطة انطلاق النّظرية بحقّ»"[3] فجاكندوف في هذا الكتاب لم يرفض الفكر التّوليدي التّحويلي بل «مازال يصرّح أنّه وفيّ... للتّيّار الفكري الذي أوجده أستاذه، وللنّحو التّوليدي الذي تكوّن في أحضانه»"[4].

ولعلّ ما يمكن قوله في ختام هذه القراءة لكتاب "علم الدّلالة والعرفانية" أنّه من الكتب المهمّة في مجال علم الدّلالة العرفاني، إذ يمثّل العتبة الأولى لفهم هذا التّيّار والفرق بينه وبين التّيّار التّوليدي التّحويلي، كما أنّ أسلوب صاحبه «ترداذي غير

1ـ المرجع نفسه، ص: 16.

2ـ راي جاكندوف، علم الدّلالة والعرفانية، ص: 13.

3ـ المرجع نفسه، ص: 14.

4ـ المرجع نفسه، ص: 8.

خطّي، يتّسم بالاسترسال والتّراكب؛ فلا وجود لقطيعةٍ فكريةٍ بين ما كتبه في أواخر السّبعينات، وآخر كتابٍ أصدره»"[1]، فكان الكاتب ممنهجًا في مؤلّفه، محيطًا بكلّ ما يتعلّق بموضوعات ونظريات علم الدّلالة العرفاني (البنية التّصوّرية المقولة، الخطاطة الصّورة...).

2/3ـ النّحو العرفاني في التّلقّي العربي:

تنوّعت مفاهيم النّحو في الدّراسات اللّسانية الحديثة، فهو «منوالٌ شكليٌ للخصائص اللّغوية المتعلّقة بالبنية الدّاخلية للكلمات ولطرق توليفها»"[2]، أي إنّه وصفٌ للخصائص المكوّنة للبنية التّركيبية، كما أنّه يحيل «على القواعد المتحكّمة في السّلوك اللّغوي لمجموعةٍ لسانيةٍ معيّنة، وهو بهذا المنظور يستعمل تقريبًا في معنى اللّسانيات، وهذا هو المقصود بالنّحو التّوليدي من حيث هو إطارٌ نظريٌّ يفترض أنّ اللّغة بنيةٌ فطريةٌ داخلية موجودةٌ في الذّهن البشري وهدف اللّساني هو وضع منوالٍ شاملٍ لتلك اللّغة»"[3]، وعليه فإنّ النّحو التّوليدي نحوٌ كلّيٌ فطريٌ موجودٌ في أذهان البشر.

في ظلّ هذا التّصوّر التّوليدي للنّحو، ظهر التّيّار اللّساني العرفاني الذي «يرى أنّ النّحو ليس جزءًا لا يتجزّأ من المعرفة فحسب، بل هو مفتاحٌ فهمها أيضا، ومن أهمّ

1ـ المرجع نفسه، ص: 6.

2ـ عبد العزيز المسعودي، التّطوّر اللّغوي بين المعجم والنّحو، بحث لساني في ظاهرة الإنحاء، دراسات 15 مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربية، دار وجوه للنّشر والتّوزيع، الرّياض، السّعودية ط1، 2019، ص: 29.

3ـ المرجع نفسه، ص: 29.

مبادئه أنّ النّحو ذو طبيعةٍ معنوية، وليس نظامًا شكليًا مستقلاً عن غيره من مستويات اللّغة»"[1]، ومنه فالنّحو في ظلّ التّوجّه العرفاني أصبح يستخدم بمفهومٍ أوسعَ ممّا كان عليه في التّيار التّوليدي، إذ هو «قائمةٌ منظّمة من الأبنية اللّغوية التي تواضع عليها متكلّمو اللّغة، والتي تمثّل المعرفة المشتركة التي لكلّ منهم بشأن اصطلاحٍ لغويٍ قائمٍ متّفقٍ عليه»"[2]، بالإضافة إلى هذا فهو «يشير إلى نظام اللّغة ككلّ، ويتضمّن الصّوت والصّرف والتّركيب والمعنى في تمثيلٍ واحد، ويستفيد كذلك من علومٍ شتّى متداخلة التّخصّصات»"[3] كعلم الأعصاب والذّكاء الاصطناعي.

بناءً على هذا الطّرح، فإنّ الأنموذج اللّساني العرفاني قد قدّم فهمًا تجديديًا للنّحو ناقض به التّيّاراتِ اللّسانية السّابقة، فقد جاء النّحو العرفاني ليحاول «فهم اللّغة على أنّها نتيجة للآليات والعمليات المعرفية العامّة، وليست نتيجةً لغويةً لوحدةٍ متخصّصة، لأنّ اللّغة من منظوره تتبع المبادئ العامّة نفسها التي تتبعها الجوانب الأخرى للنّظام المعرفي البشري»"[4]، فهو بذلك «يعكس خبراتنا الأساسية في التّحرّك والإدراك والتّأثير في العالم، وفي صميم المعاني النّحوية هناك عملياتٌ ذهنيّةٌ كامنةٌ في معيشتنا لحظةً بلحظة، وعند تحليلها بشكلٍ صحيحٍ نجد النّحو لديه الكثير ممّا يخبرنا به عن المعنى والمعرفة، مع التّأكيد على أنّ المعنى يعرّف بأنّه التّصوّر المرتبط بالتّعبيرات اللّغوية»"[5].

1ـ حاتم محمّد محمّد مصطفى تحليل الخطاب بين نحو النّصّ والنّحو المعرفي، مجلّة البحث العلمي في الآداب (اللّغات وآدابها)، المجلّد 22، العدد 01، شتاء2021، ص: 25.

2ـ عبد الجبّار بن غربية، مدخل إلى النّحو العرفاني، ص: 18.

3ـ حاتم محمّد محمّد مصطفى تحليل الخطاب بين نحو النّصّ والنّحو المعرفي، ص: 25.

4ـ المرجع نفسه، ص: 27.

5ـ المرجع نفسه، ص: 27.

ولعلّ المنظّر الأوّل للنّحو العرفاني **رونالد لانقاكر** الذي يرى أنّه « نظريةٌ نحويةٌ أوّلًا وقبل كلّ شيء، لذلك يبدي دهشةً من العبارات التي تنتقده بأنّه "لا يعتدّ بالنّحو وكلٌّ عنده دلالات"، ويردّ بأنّ نظريته لا تهدّد النّحو ولا تنكر وجوده، فالنّحو موجود، لكنّ القضيّة تتعلّق بطبيعته، إنّه ذو طبيعةٍ رمزية، فيها مزواجةٌ بين البنية الدّلالية والبنية الصّوتية، بحيث تكون إحداهما قادرةً على إثارة الأخرى، والنّحو بالطّبع معني بكيفية دمج هاتين البنيتين لتشكيل تعبيراتٍ مركّبة، ومن ثمّ يشكّل النّحو والمعجم تسلسلاً يتألّف في مجموعاتٍ من البُنى الرّمزية لاغير، وتصبح كلّ التّصنيفات المطروحة للوصف النّحوي ـ كالاسم أو الفاعل أو الماضي على سبيل المثال ـ ذات معنًى بطريقةٍ ما»"[1]"

وممّا ينبغي الإشارة إليه هنا المقدّمات الأساسية للنّحو العرفاني، والمتمثلة في:"[2]"

- إنّ النّشاط اللّغوي محكومٌ بالآليات العرفانية العامّة الموجّهة لسائر الأنشطة الإنسانية الأخرى الذّهنية والسّلوكية، إذ لا يمكن أن نفصل بين اللّغة والأنشطة والعمليات المعرفية الأخرى، وليستِ اللّغة كيانًا مكتفيًا بذاته، وما اللّسانيات إلا جزءٌ من مشروعٍ معرفيٍ أوسع أركانه الأخرى علم النّفس والذّكاء الاصطناعي وعلم وظائف الأعصاب وهدفه ضبط آليات اشتغال الذّهن والدّماغ وصولاً إلى محاكاتها آليا.
- اللّغة حاصلةٌ عن التّفاعل بين عوامل داخليةٍ ترجع إلى خواصّ الكائن البشري الذّاتية وأخرى خارجية ناتجة عن تجربته في العالم الذي يعيش فيه في أبعاده المختلفة (الفيزيائية والبيولوجية والسّلوكية النّفسية والاجتماعية الثّقافية).

1- Ronald W.Langacker, Cognitive Grammar, A Basic Introduction, Oxford University Press New York,2008, p5.

2ـ يُنظر: جيل فوكونياي، الفضاءات الذّهنية، ترجمة منصور الميغري، إطلالاتٌ على النّظريّات اللّسانية ج1، ص: 388ـ389.

- أغلب العوامل السّابقة الذّكر متشابهةٌ بالنّسبة إلى كلّ المتكلّمين، وهو ما يفسّر وجود "الكلّيات اللّسانية" التي هي صدًى لمبادئ تصوّرية كلّيةٍ يمثّل ضبطها ووصف آليات اشتغالها الرّهان الأساسي في المشروع العرفاني.
- المعنى بناءٌ ديناميكي، وهو حاصل نتيجة التّفاعل بين المُستويات النّحوية والمعجمية والتّركيبية وما "النّواة الصّلبة" في نظام اللّغة إلاّ المكوّن الدّلالي. فغاية اللّغة في الاستعمال تشييد أبنيةٍ دلاليةٍ مركّبةٍ، هي عبارة عن "تمثيلاتٍ ذهنية" بمصطلح "تالمي" و"أبنية مفهومية" بمصطلح لانقاكر و"فضاءات ذهنية عند فوكونياي.

كلّ هذه المقدّمات والفرضيات التي شكّلت لنا النّحو العرفاني قد أثّرت في الدّرس اللّساني العربي، ممّا استدعى تأليف كتب خاصّة بالنّحو العرفاني، ولعلّ من بينها مؤلّف "عبد الجبّار بن غريبة" الموسوم بــ: "مدخل إلى النّحو العرفاني (نظرية رونالد لانقاكر).

1/2/3ـ قراءة في كتاب مدخل إلى النّحو العرفاني (نظرية رونالد لانقاكر):

وسِم هذا الكتاب بمدخلٍ إلى النّحو العرفاني، وبيّن صاحبه بأنّ النّحو يعدّ من الدّراسات العرفانية التي هي في أغلبها «نظريةٌ دلاليةٌ شاملة»"[1]، وقد كان الغرض من تأليف هذا الكتاب «تعريف القرّاء والطّلبة العرب بالمقاربات العرفانية عامّةً وبالنّحو العرفاني بصفةٍ خاصّة»"[2]، فمقاربة النّحو في ظلّ التّوجّه العرفاني «تنطلق ممّا عرف

1ـ عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص: 13.

2ـ المرجع نفسه، ص: 139.

عن الذّهن لفهم اللّغة، باعتبار اللّغة مجرّد تجلٍ من تجلّيات ذهنٍ واحدٍ ينطبق عليها ما ينطبق على غيرها من المجالات العرفنية»"[1].

وقد قسّم الكتاب إلى تمهيدٍ ومحاورَ ثلاثة، ثمّ خاتمةٌ تبعها ثبتٌ بالمصطلحات ثنائي اللّغة (فرنسي، إنجليزي)، أشار في التّمهيد إلى التّطوّر الذي شهده الدّرس اللّساني وموضوع الدّراسات اللّسانية الحديثة وانقسامه إلى تيّارين مختلفين، التيّار الأوّل أصبحت معه اللّسانيات «وصفًا للّغات وسعيًا لإبراز ما يميّز كلّ لغةٍ عن اللّغات الأخرى باعتبار أنّ كلّ لغةٍ عبارةٌ عن نظامٍ خاصٍ من العلامات، بينما صارت مع التيّار الآخر دراسةٌ لكيفية اشتغال ملكَة اللّغة باعتبار أنّ اللّغات المختلفة إنّما تتمثل حالاتٍ خاصّة لتجلّي ملكَة اللّغة المشتركة بين الآدميين»"[2]، أي تيّار اللّسانيات النّسبية وتيّار اللّسانيات الكلّية.

وقد تطرّق المؤلّف بعد هذا إلى أهمّ التّطوّرات التي عرفها علم الدّلالة عبر التّاريخ إذ يرى بـ «أنّه وجدت ثلاث تيّاراتٍ متعاقبة قادت علم الدّلالة في اتّجاهاتٍ مختلفةٍ متقابلة. أوّلها تيّار الدّراسات اللّغوية المقارنة التي اهتمّت بالتّطوّر والتّغيّر وقامت على فكرةٍ مؤسّسة، هي فكرة النّشوء والارتقاء، وتلاه تيّار اللّسانيات البنيوية التي كان همّها الرّئيسي بنيويًا وظائفيًا لا يعتني بدراسة الظّواهر اللّغوية إلاّ في فترةٍ محدودةٍ من تاريخها. أمّا التيّار الثّالث فهو ذلك الذي سعى فيه دارسو اللّغة باقتراح مناويلَ لسانية»"[3]، هذه المناويل التي غيّرت من مسار الدّرس الدّلالي، حيث انتقل من «علمٍ دلاليٍ معجميٍ مداره المفردات إلى علم دلالةٍ مركز اهتمامه الجملة والخطاب»"[4]مع

1ـ محمد عبد الودود أبغش، نظريّة الأفضية الذّهنيّة: مبادئها وتطبيقاتها، ص: 24.

2ـ عبد الجبار بن غربية، المرجع السابق، ص: 14.

3ـ المرجع نفسه، ص: 21.

4ـ المرجع نفسه، ص: 26.

التّيّار التّوليدي التّحويلي والتّيار التّداولي، واستدعى ذلك أيضًا ظهور المنوال العرفاني الذي سيركّز على الآليات الذّهنية والعمليات المعرفية في مجال الدّراسة اللّغوية"[1].

وممّا أشار إليه صاحب الكتاب في التّمهيد الفرق بين النّظرية التّوليدية التّحويلية والأنموذج اللّساني العرفاني، فـ «مع ظهور المقاربات العرفانية لم يعد مركز الاهتمام كائنًا في تصوّرنا للنّحو، وإنّما احتلّتِ العمليّات الذّهنية المؤسّسة لمختلف التّراكيب النّحوية الصّدارة وأصبحت تمثّل مدار اهتمام اللّغويين»"[2]، ومن خلال هذا فقد عدّ مشروع النّحو العرفاني لدى لانقاكر «بديلاً للنّظريات اللّغوية السّائدة على الأقلّ في الخمسينيّات، والتي أسندت المنزلة الأولى إلى التّركيب وإلى الجوانب الشكلانية في اللّغة على حساب المعنى والدّلالة»"[3].

تساوقًا مع هذا الطّرح الذي تبنّاه التّيّار العرفاني، نجد رونالد لا نقاكر يدعو من خلال النّحو العرفاني إلى تجاوز الشّكلنة والحوسبة و«التّخلّي عن مثل هذه الطّموحات، وإلى محاولة توفير تفسيرٍ للقضايا الأساسية، تفسيرٌ يعتمد على الذّهن وعلى العمليّات الذّهنية العرفانية التي يقوم المتكلّم بإنجازها لإنشاء جملةٍ أو خطاب والعمليّات التي يلجأ إليها السّامع لتأويل ذلك الخطاب وفكّ ألغازه»"[4]، وبالتّالي فقد اهتمّ النّحو العرفاني على العمليات الذّهنية، ومثّل بذلك «ثورةً أو حركة تمرّدٍ ضدّ هذه النّظريات التي أفقدت مادّة الدّراسات اللّغوية جزءًا كبيرًا من محتواها كما حجبت جانبًا هامًّا من الثّراء الذي

1ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 27.
2ـ عبد الجبار بن غربية، المرجع السابق، ص: 17ـ 18.
3ـ المرجع نفسه، ص: 30.
4ـ المرجع نفسه، ص: 30.

تتسمّ به ملكَة اللّغة وشوّهت عددًا كبيرًا من الظّواهر اللّغوية التي وصفتها»"[1]"خاصّةً اللّسانيات التّوليدية التّحويلية.

بعد ذلك راح المؤلّف يذكر لنا أهمّ مبادئ النّحو العرفاني، والتي من أهمّها:"[2]"

- **الوظيفة الرّمزية للّغة:** فالمتكلّم يلجأ إلى استعمال سلاسل أو متتالياتٍ صوتية رموزًا للتّصوّرات، وبذلك لا توجد في النّحو العرفاني إلاّ ثلاثة أنواعٍ من الوحدات: الوحدات الفونولوجية (الصّواتية)، والوحدات الدّلالية المعنوية والوحدات الرّمزية والوحدة الرّمزية هي الجمع بين وحدة دلاليةٍ معنويةٍ ووحدةٍ فونولوجية.
- **المعنى هو التّصوّر:** أي لا يمكن الفصل بينهما، فالمعنى لا يعدو إلاّ أن يكون تصوّرًا معيّنا.
- **البنية السّطحية جزءٌ من التّنظيم التّصوّري الذّهني:** فالبناء السّطحي اللّفظي لعبارةٍ لغويةٍ ما يعكس لنا تنظيمًا ذهنيًا عرفانيًا خاصّا، واختلاف الصّيغ والتّراكيب وتنوّعها يعكسان الفوارق القائمة بينها، ويمثّلان تجلّيا للاختلافات التّصوّرية التي تميّز بينها، وهكذا لا يمكن لتحليل الشّكل أو الصّيغة أن يتصوّر بمعزلٍ عن دراسة المعنى وتحليله، وعليه «فدراسة المعنى هي الغاية الأولى والأخيرة للّسانيات في نظر العرفانيين»"[3]".

1ـ المرجع نفسه، ص: 30.

2ـ المرجع نفسه، ص: 36ـ37.

3ـ عبد الجبار بن غربية، المرجع السابق، ص: 37.

في القسم الأوّل من الكتاب والموسوم بــ "أسس نظرية لانقاكر" تطرّق فيه إلى أهمّ مفاهيم النّحو العرفاني وأسسه (القدرات الذّهنية العامّة، المجالات المعرفية الفضاءات الذّهنية، العلاقة الرّابطة بين المعنى والتّركيب)، حاولنا الإشارة إلى أهمّها:

المجالات المعرفية:

حيث إنّ «كلّ نظامٍ معرفيٍ وكلّ تصوّرٍ يمكنه أن يمثّل مجالاً لتحديد الخصائص المعنوية لعبارةٍ لغويةٍ ما، وتكون المجالات المختلفة والمعنية في معنى العبارة، ما يسمّى بالحقل الدّلالي لتلك العبارة»"[1]"، كما أنّ «المجال متصّور من متصوّرات النّحو العرفاني، يكوّن بنيةً معرفيةً منسجمةً لها درجة من التّعقّد أو الانتظام، وظيفته تقديم سياقٍ معرفيٍ يمكن أن تفهم فيه الوحدات التّصوّرية (مثل الألفاظ اللّغوية حارّ، بارد، فاتر، يمكن أن توصف في مجال الحرارة)»"[2]".

وعليه، فإنّ المجالاتِ المعرفية نعني بها تلك المتصوّرات الذّهنية التي تشكّل لنا مجالاً وحقلاً دلاليا، هذه الحقول الدّلالية التي «تتضمّن من الأدلّة اللّغوية، وما تحيله عليه في عالم الأعيان والأذهان، وهو لا يخرج عن جنسين من المدلولات، مدلولات محسوسة ومدلولات تجريدية»"[3]".

الفضاءات الذّهنية:

والتي أسّس لها لانقاكر في نحوه وعرّف الفضاء الذّهني بأنّه «عبارةٌ عن وضعيةٍ معقّدةٍ إلى حدٍّ ما تشتمل على مجموعةٍ من العناصر، وعلى علاقاتٍ معيّنة بين تلك

1ـ المرجع نفسه، ص: 40.

2ـ محمّد عبد الودود أبغش، نظريّة الأفضية الذّهنيّة: مبادئها وتطبيقاتها، ص: 25(الهامش).

3ـ منقور عبد الجليل، علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربي ـ دراسة ـ منشورات اتّحاد الكتّاب العرب دمشق، 2001، ص: 77.

العناصر، من بين هذه الفضاءات الذّهنية، يمكننا أن نذكر المعتقدات والحالات الشّعورية ورغبات المتكلّم وتصوّره للواقع، كما يمكننا أن نشير إلى بعض الفضاءات التي يمكنها أن تكون بديلةً لفضاء الواقع، مثل الوضعية التي تعرضها علينا روايةٌ أو مسرحيةٌ أو شريطٌ سينمائي»"[1] فالفضاءات الذّهنية بهذا المفهوم تعبّر عن تلك الموضوعات التي تنطوي تحتها مجموعةٌ من المفاهيم والمبادئ الثّابتة والأفكار والرّغبات.

ولعلّ المنظّر الأوّل لنظرية الأفضية الذّهنية "جيل فوكونييه، فقد «استقرّ في النّظريات التّقليدية إمكان دراسة اللّغة الطّبيعية بأدوات المنطق الصّوري، واستنكارًا لهذه النّظريات ودحضا لها، وضع فوكونييه نظرية الأفضية الذّهنية نظرية عرفنية تعتمد على قدرات الإنسان العرفنية الطّبيعية» "[2]، إذ «مع كتاب "الأفضية الذّهنية" (1984)، بيّنتِ النّظريّة صحّتها الاختبارية (الإمبريقية) وكفاءتها الوصفية والتّفسيرية لعددٍ كبيرٍ من ظواهر دلالة اللّغة الطّبيعية بفضل تعميمها اللّغوي.

ظواهر عجزت عن تفسيرها أدوات المنطق الصّوري ذات السّياقات الدّنيا، لترسي دعائم نظريةٍ عرفنيةٍ أساسها ذهن الإنسان الطّبيعي، لا الأجهزة الرّياضية الصّناعية»"[3].

ولعلّ من بين التّعريفات التي قدّمها فوكونييه للأفضية الذّهنية أنّها «أبنيةٌ جزئيةٌ تتكاثر حينما نفكّر ونتكلّم، تمكّن من تقسيمٍ دقيقٍ للبنية المعرفية والبنية الخطابية»"[4]، وهي «رزمٌ تصوّرية تنشأ حين نتكلّم أو نفكّر، من أجل فهمٍ وعملٍ محليّين

1ـ عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النّحو العرفاني، ص: 37.

2ـ محمّد عبد الودود أبغش، نظريّة الأفضية الذّهنيّة: مبادئها وتطبيقاتها، ص: 33.

3ـ المرجع نفسه، ص: 36

4ـ المرجع نفسه، ص: 39.

(مخصوصين) فهي تجمّعات شديدة الجزئية تضمّ عناصر، تبنينها أطر ومناويل عرفانية، وهي مترابطة، ويمكنها أن تتغيّر كلّما انفتح الخطاب والفكر فتتكاثر في انفتاح الخطاب، ويسقط بعضها على بعضٍ بطرق متداخلة، وتزوّد ببنيةٍ ذهنيةٍ مجرّدةٍ لنقل وجهة النّظر والبؤرة، لتتيح لنا أن نوجّه تركيزنا في أيّ وقتٍ إلى أبنيةٍ شديدة الجزئية والبساطة، بينما نحتفظ بشبكةٍ متبلورةٍ من التّرابطات في ذاكرة العمل، وفي الذّاكرة الطّويلة المدى»"[1]، وعليه فالفضاء الذّهني بنيةٌ معرفيةٌ تصوّريةٌ يكون لنا مجالاتٌ مترابطةٌ فيما بينها وقابلة للتّغيير بحسب انفتاح الخطاب والتّفكير.

علاقة التّركيب بالمعنى:

تمّ التّفصيل في الحديث عن العلاقة الرّابطة بين المعنى والتّركيب كالتّركيز على البنية الدّلالية التّصوّرية، فـ«اللّغة عند العرفانيين عبارةٌ عن مسترسلٍ من الوحدات الرّمزية، والنّحو عبارةٌ عن قائمةٍ منظّمةٍ من الوحدات اللّغوية الاصطلاحية التي وقع التّواضع عليها، والتي تمثّل المعرفة الحاصلة لدى متكلّمٍ ما عن اصطلاحٍ لغويٍ قائمٍ بذاته» "[2]، كما أنّ «كلّ وحدات اللّغة إذن وحداتٌ رمزية، ونعني بوحدات اللّغة كلّ الوحدات التي أدرجها اللّغويّون ضمن المعجم أو الصّرف أو التّركيب، وكلٌّ منها تجمع بين قطبين: قطبٌ فونولوجيٌ وقطبٌ دلالي. هذه الوحدات بأنواعها تمثّل مسترسلاً لا

1ـ المرجع نفسه، ص: 39.

2. عبد الجبّار بن غريبة، مدخل إلى النّحو العرفاني، ص: 44.

يمكن إقامة حدود واضحةٍ بين العناصر المكوّنة له ولا اعتبار مجموعة منها مكوّنًا منفصلاً عن باقي المكوّنات»"[1].

فمكوّنات اللّغة ومستوياتها في ظلّ التّوجّه العرفاني غير منفصلة، إذ «لا يمكن اعتبار التّركيب والصّيغة والمعجم والدّلالة مستوياتٍ مختلفةً متفاصلة عند التّحليل اللّغوي، لأنّ صيغة العبارة وسلوكها اللّغوي في التّركيب إنّما يحدّدهما مضمونها الدّلالي والبناء التّصوّري الذي اتّخذه ذلك المضمون»"[2]. وعلى هذا الأساس فإنّ النّحو العرفاني نحو تتكامل فيه جميع المكوّنات اللّغوية مع إعطاء الأولوية والأهمّية للمكوّن الدّلالي، حيث إنّ «أهمّ ما يميّز الدّراسات العرفانية عامّة، ونحو لانقاكر بصفةٍ خاصّةٍ تصوّرها الخاصّ للدّلالة، فما يعتبره أغلب اللّسانيّين عادةً معارف تداولية أو ثقافية أو عقائدية، إنّما هو جزءٌ من المعنى» "[3]، وعليه «لا يمكن إذن لأيٍّ كان أن يتجاهل المعنى أو أن يحاول التّخلّص منه في الدّراسة اللّغوية لأنّ كلّ الوحدات الرّمزية التي تلجأ إليها اللّغات لا وزن لوجودها ولا مبرّر له إن لم يكن لها معنًى ينبغي أن تؤدّيه، متعاضدةً في ذلك مع الوحدات المتواجدة في نفس السّياق والمقال»"[4].

في القسم الثّاني من الكتاب والمُعنون بـــ: "المفاهيم والمقولات الأساسية في نظرية لانقاكر" تحدّث فيه عبد الجبار بن غريبة عن أهمّ المقولات اللّغوية للنّحو العرفاني مبيّنًا أهمّ العمليات الدّلالية التي من خلالها نميّز بين الاسم والمركّب الاسمي، وبين بنية الفعل وبنية الجملة الفعلية، وغيرها من القضايا.

1ـ المرجع نفسه، ص: 45.
2ـ المرجع نفسه، ص: 45.
3ـ المرجع نفسه، ص: 45ـ46.
4ـ عبد الجبار بن غريبة، المرجع السابق، ص: 46.

ممّا أشار إليه في بداية هذا القسم "المدلولات" باعتبارها الأساس في بناء الدّلالة، إذ «يستعمل لانقاكر مصطلح المدلول أو المدلولات للإشارة إلى الأبنية الدّلالية مهما كان حجمها، ويقع ضبط خصائص هذه الأبنية بالاعتماد على المجالات العرفانية التي تحيل عليها»"[1]"

وتحدّث أيضًا عن ماهية العلاقات مبيّنًا أنّها على نوعين «منها ما يكون مقرونًا بزمانٍ، ومنها ما لا يكون مقرونًا بزمان، ويبدو أنّ أغلب اللّغات تلجأ إلى مقولة الاسم للإشارة إلى الأشياء، وإلى الفعل المتصرّف في زمنٍ معيّنٍ للإشارة إلى العلاقات المقرونة بزمان»"[2]" ثمّ راح يفرّق بين الاسم والمركّب الاسمي، فـ «الاسم البسيط يشير إلى الجنس أو إلى النّوع، بينما يشير الثّاني إلى فردٍ معيّنٍ من أفراد ذلك الجنس أو ذلك النّوع»"[3]".

وممّا تطرّق إليه أيضًا بنية الفعل الدّلالية، فقد اعتبر «أنّ المركّب الاسمي مستقلٌّ تصوّريًا ودلاليًا باعتبار أنّ الشّيء الذي يشير إليه يمكن تصوّره دون أن يكون طرفًا من أطراف أيّ علاقةٍ من العلاقات، على عكس الفعل الذي لا يكون إلاّ تابعًا من النّاحية التّصوّرية بحكم طبيعته العلائقية»"[4]"

وفي آخر هذا القسم تحدّث عن أدوات الرّبط التي تعني «استعمال أدواتٍ تربط بين الجمل بين الابتدائية والاستئنافية منها، أو الرّئيسة والفرعية، ويسمّيها النّحاة العرب

1ـ المرجع نفسه، ص: 75.

2ـ المرجع نفسه، ص: 83.

3ـ المرجع نفسه، ص: 96.

4ـ عبد الجبّار بن غربية، المرجع السابق، ص: 104.

أدوات ربط، أو حروف عطفٍ واستئناف...أمّا دور هذه الأدوات فيتمثّل في التّعبير تعبيرًا صريحًا عن طبيعة العلاقة التي يريد المتكلّم أن يقيمها بين الجملتين»"[1].

القسم الثّالث من الكتاب وسِم بـ مثال تطبيقي، الواو بين العطف والتّعليق، أراد أن يقدّم لنا من خلاله «مثالاً للتّطبيقات الممكنة للنّحو العرفاني على بعض معطيات اللّغة العربية»"[2]، وذلك من خلال تطبيق «ظاهرتي العطف والتّعليق» "[3]" وممّا تحدّث عنه في هذا القسم:

الفرق بين واو العطف والتّعليق:

إنّ العطف والاستئناف «علاقةٌ تفرض التّكافؤ بين العناصر التي تربط بينها وتعاملها على قدم المساواة، ولذلك يكون التّناظر التّركيبي الدّلالي من أهمّ الخاصّيّات المميّزة للأطراف المتعاطفة»"[4]، بينما «أمّا أدوات التّعليق فيكون لها، على العكس من ذلك، مضمونٌ موضوعي صارمٌ تكاد لا تؤثّر فيه السّياقات المختلفة التي ترد فيها»"[5].

استعمالات الواو:

- الواو حرف عطفٍ أو استئناف: مثاله "أنا غريبٌ في هذه المدينة، وأنا غريبٌ في كلّ مدينةٍ أخرى"[6].
- واو الحال: "أتجهل ذلك وأنت من عشّاق هذا الوادي؟ "[7].

1ـ المرجع نفسه، ص: 115.
2ـ المرجع نفسه، ص: 127.
3ـ المرجع نفسه، ص: 127.
4ـ المرجع نفسه، ص: 128.
5ـ عبد الجبّار بن غربية، المرجع السابق، ص: 128.
6ـ المرجع نفسه، ص: 129.
7ـ المرجع نفسه، ص: 132.

- واو التّعليق: "لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله" "[1]".

وممّا ذكره المؤلّف في نهاية هذه الدّراسة التّطبيقية أنّ «كلّ الجمل التي ذكرناها في هذا القسم التّطبيقي وقلنا بشأنها: إنّ العلاقة الرّابطة بين عنصُريها أقرب إلى التّعليق منها إلى العطف تظلّ رغم ذلك أقرب إلى العطف من أيّ جملةٍ عاديةٍ اختار المتكلّم أن يربط بين عنصرَيها بالالتجاء إلى حرفٍ تواضعنا على اعتباره حرف تعليق»"[2].

في ختام حديثنا عن هذا الكتاب، يمكننا القول بأنّه من الكتب القيّمة والمهمّة في مجال اللّسانيات العرفانية عامّة، وفي النّحو العرفاني خاصّة، فقد بيّن فيه صاحبه أهمّ الأسّس التي قام عليها النّحو العرفاني لدى لانقاكر، إلاّ أنّ ما يُؤخذ عليه هو الكثير من الأمثلة باللّغة الفرنسية، فهو كتابٌ موجّهٌ للباحثين العرب الذين سيجدون صعوبةً في فهمها، ولكن رغم ذلك إلاّ أنّ الكتاب كان مقدّمةً توضيحيةً لفهم النّحو العرفاني، كلّ ذلك بلغةٍ بسيطةٍ يفهمها الباحث العربي.

3/3ـ نظرية الاستعارة في التّلقّي العربي:

شغل موضوع الاستعارة ونظريّاتها اهتمام الباحثين قديمًا وحديثا، إذ تعدّ من القضايا التي أطلق فيه البيانيون أعنّة الأقلام، حتى أفردها بعضهم بالتّأليف»"[3]، وفصّل فيها الدّارسون وكشفوا عن مدى أهمّيتها في الجانب الأدبي، فهي قسمٌ مهمٌّ من أقسام علم البيان الذي يحاول «إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بالزّيادة في وضوح

1ـ المرجع نفسه، ص: 135.

2ـ المرجع نفسه، ص: 142.

3ـ علي صدر الدّين بن معصوم المدني، أنوار الرّبيع في أنواع البديع، مطبعة النّعمان، النّجف الأشرف، ط1 1969، ج1، ص: 243.

الدّلالة عليه، والنّقصان بالدّلالات الوضعية» "[1]"، فهو بذلك علمٌ يرتكز على «الصّياغة الأدبية التي تتجاوز دائرة المواضعة» "[2]"، وبالتّالي هو علمٌ يختصّ بالدّلالات العميقة التي تحملها التّراكيب الأدبية، حيث إنّ «تحوّل الأبنية في علم البيان إذا اقتصر على التّشكيل السّطحي، لا يقدّم ناتجًا متغيّرًا بالوضوح والخفاء إنّما التّحوّل الحقيقي هو الذي يتمّ في البنية العميقة» "[3]"، «وعلى هذا الأساس يحصر السّكاكي اختلاف النّاتج الدّلالي في المستوى العميق، أو لنَقل في المدرك العقلي، حيث يتمّ التّحوّل من معنًى إلى معنًى آخر بسبب اعتبار الملازمات»"[4]".

ولعلّ الاستعارة تعدّ بابًا مهمًّا من أبواب علم البيان، فهي عند جلّ العلماء تقوم على عملية نقل اللّفظ من سياقٍ إلى سياقٍ آخر لعلاقة المشابهة، وذلك من أجل تحقيق أغراضٍ بلاغيةٍ جمالية، أي إنّها «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللّفظ أو تحسين الغرض الذي يبرز فيه» "[5]"

وعلى هذا الأساس، فإنّ الاستعارة كلامٌ مجازيٌ غير حقيقي، «فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمّى بها بسبب من الأخرى أو مجاورًا لها أو مشاكلا»[6]، وهي «اللّفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي»[7]، كما أنّ «حقيقة

1ـ محمّد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص: 329.
2ـ محمّد عبد المطّلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشّركة المصرية العالمية للنّشر، لونجمان، ط2، 2007 ص: 128.
3ـ المرجع نفسه، ص: 129
4. المرجع نفسه، ص: 129.
5ـ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصّناعتين، الكتابة والشّعر، دار إحياء الكتب العربية، ط1 1952، ص: 268.
6. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط2، 1973، ص: 135.
7ـ علي صدر الدّين بن معصوم المدني، المصدر السابق، ص: 243.

الاستعارة أن تُستعار الكلمة من شيءٍ معروفٍ بها إلى شيءٍ لم يُعرف بها»"[1]"، ومن هنا لم يتمّ الاتّفاق على حقيقتها، وهل هي تدخل ضمن المجاز العقلي أم اللّغوي؟ "[2]"، ولعلّ ممّنِ اهتمّ بالاستعارة وأفاض في مفهومها وأنواعها الشّيخ **عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)** في كتابه "دلائل الأعجاز"، حيث ذكرها في مواضع كثيرة، نذكر منها قوله: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشّيء بالشّيء، فتدع أن تفصح بالتّشبيه، وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبّه فتعيره المشبّه وتجرّبه عليه»"[3]"، وعليه فالاستعارة بمفهومها البلاغي تقوم على التّشبيه مع حذف أحد طرفيه (المشبّه أو المشبّه به) لغايةٍ جماليةٍ تزينية، واعتبرت بذلك «جمالاً أو زخرفًا أو قوّةً إضافيةً للّغة، وليستِ الشّكل المكوّن والأساس لها» "[4]".

وممّا لا شكّ فيه، فإنّ الاستعارة كما ذكرت في التّعريفات السّابقة تركّز على المعنى، فهي تقوم في الأصل على إثبات «معنًى لا يعرف السّامع ذلك المعنى من اللّفظ، ولكنّه يعرفه من معنى اللّفظ» "[5]"، فهي بذلك عملٌ عقليٌ لا لغويٌ فقط وليست متعلّقةً باللّفظ فقط، بل بالمعنى الذي «يُدرك من طريق المعقول»"[6]" وبالتّالي فالاستعارة: «أعمّ من أن تقتصر على وظيفةٍ جمالية»"[7]" وزخرفةٍ لفظية، بل تتعدّى إلى وظائف

1ـ المصدر نفسه، ص: 243.

2ـ يُنظر: المصدر نفسه، ص: 244.

3ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجى، القاهرة، (د/ط)، (د/ت)، ص67، وللاستزادة يُنظر ص: (262ـ430، 460).

4ـ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ترجمة سعيد الغانمي، ناصر حلاوي، أفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان، 2002 ص:92.

5ـ عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 431.

6ـ المصدر نفسه، ص: 439.

7ـ عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللّغة العربية مقاربة معرفية، ص: 61.

أخرى فـ «حاصلها المبالغة في التّخييل والتّشبيه مع الإيجاز غير المخلّ بالمعنى والتّوسعة على المتكلّم في العبارة»"[1]".

في مقابل هذه الدّراسات العربية، ظهرت في العصر الحديث دراساتٌ غربيةٌ تهتمّ باللّفظ الاستعاري، وتحاول «تقديم تصور جديد من شأنه أن يعالج القصور الذي وقعت فيه البلاغة القديمة»"[2]"، وعليه أعِيد النّظر في الاستعارة وفي وظيفتها، وصارت بهذا «ضرورةً من ضرورات الحياة وآليةً فعّالةً للتّعلّم»"[3]"، ووظيفتها معرفيةٌ حجاجيةٌ لا جماليةٌ تأثيريةٌ فقط، هذا كلّه «فتح الباب على مصراعيه أمام أغلب المنظّرين، وفي مجالاتٍ علميةٍ مختلفة، لكي يعيدوا صياغة تصوّراتٍ جديدة للاستعارة، ووظائف لم تكن إلى عهدٍ قريبٍ تراود العلماء» "[4]" من خلال ردّها إلى مركز العمليّات الذّهنية والعقلية التي يتواصل بها الإنسان مع أخيه الإنسان وعليه لم تعد مقصورةً على الجانب اللّفظي اللّغوي، بل «إنّ الاستعارة هي المبدأ الحاضر أبدًا في اللّغة»"[5]"، وعليه عرفتِ الاستعارة مفاهيمَ ومقارباتٍ جديدة وعدّتِ «الأداة الذّهنية التي لا غنًى عنها، إنّها شكلٌ من التّفكير العلمي...نتمكّن بواسطتها من الإحاطة بما هو أبعد عن كفاءتنا المفهومية...وهي تمثّل في المنطق قصبة الصّيد» "[6]"، ومن هنا أعيد النّظر إليها

1ـ أبو محمّد القاسم السّجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، مكتبة المعارف، الرّباط، ط1 1980، ص: 235.

1 . عثماني عمار، ملامح تجديد البلاغة في كتاب "البلاغة العربية، قراءة أخرى" لمحمد عبد المطلب دراسة تحليلية نقدية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015م ـ 2016م، ص132.

3ـ عبد الإله سليم، المرجع السابق، ص: 61.

4ـ بول ريكور، الاستعارة الحيّة. ترجمة محمّد الولي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2016، ص: 13.

5ـ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص: 93.

6ـ بول ريكور، الاستعارة الحيّة، ص: 32.

وصارت «وسيلةً تعيد تشكيل الكون عن طريق خلق واقعٍ جديد»"[1]"، كما أنّها أصبحت تشكّل « النّسق التّصوّري لمفهوم الوجود الإنساني» "[2]"، وفي ظلّ هذا ظهرت فكرة «إنّ الاستعارات التي نتجنّبها توجّه تفكيرنا كتلك التي نتقبّلها... تظاهرنا بأنّنا نفعل شيئًا من دون استعارةٍ ما هو إلاّ خديعةٌ تحتاج من يسوّغها» "[3]"، كلّ هذه الأفكار ظهرت مع المقاربة العرفانية للاستعارة، وخاصّةً مع ظهور كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" لجورج لايكوف، ومارك جونسون الذي شكّل « ثورةً في رؤية الاستعارة ومناهج دراستها، وكما هو حال كلّ جديد، فقد رفضه وانتقده المتمسّكون بالرّؤى التّقليدية للاستعارة...حتّى أنّ البعض اعتبر لايكوف وجونسون أعداء متستّرين تحت قناع الأصدقاء» "[4]".

1/3/3ـ قراءة في كتاب الاستعارات التي نحيا بها:

يعدّ هذا المؤلَّف من الكتب المهمّة في معرفة كنه الاستعارة بالمنظور المعرفي، وقد أُلّف سنة: 1980، وكان «ثورةً كبرى في رؤية الاستعارة وآليتها ودورها الجوهري في كثيرٍ من أمور حياتنا» "[5]"، حيث مثّل هذا الكتاب صورةً ومقاربةً جديدةً للاستعارة مكّنتها من تجاوز الفكر التّقليدي، فـ «لا يعتبر الكاتبان الاستعارة من ممتلكات الأدب، وإنّما أمر من الأمور التي نحيا بها كالهواء والماء، وهذا الفهم هو انقلابٌ تامٌّ على التّفكير التّقليدي»"[6]"، ومن هنا اكتسبتِ الاستعارة معهما مكانةً في الفكر اللّساني،

1ـ عبد الله الحراصي، دراساتٌ في الاستعارة المفهومية، كتاب نزوى، مؤسّسة عمّان للصّحافة والأنباء والنّشر والإعلان، 2002، ص: 16.

2ـ عبد الإله سليم، المرجع السابق، ص: 70.

3ـ المرجع نفسه، ص: 94.

4ـ عبد الله الحراصي، المرجع السابق، ص: 21.

5ـ عبد الله الحراصي، المرجع السابق، ص: 11.

6ـ المرجع نفسه، ص: 19.

وأصبح يُنظر إليها نظرةً مغايرةً تخالف «التّيّارات المركزية في الفلسفة الغربية التي تعتبر الاستعارة عاملاً ذاتيا، وبالتّالي عنصرًا هدّامًا موجّهًا ضدّ البحث عن الهدف المطلق»"[1]، ولعلّ هذه الأفكار كانت في الأغلب شديدة التّأثّر بأفكار **ريتشاردز** ***Richards*** الذي عدّ الاستعارة أمرًا عظيمًا «لأنّه في حقيقة الأمر الملَكة التي نحيا بها»"[2]

هذا الكتاب كما ذكرنا سابقًا من تأليف "**جورج لايكوف**" و"**مارك جونسون**"، ترجم إلى العربية من قِبل "عبد المجيد جحفة" سنة: 1996، يتألّف من مائتين وستٍّ وثلاثين صفحة، موزّعةً في الأغلب على ثلاثين فصلا، بداية الكتاب كانت مقدّمةً للمترجم، تلاها تصدير للمؤلّفين، وقد ألحِق الكتاب بثبتٍ مصطلحيٍ ثنائي اللّغة (عربي ـ إنجليزي، مرتّب وفق ترتيب الحروف الإنجليزية.

إنّ كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" جاء في خضمّ ذلك التّطوّر المعرفي الذي عرفته الأبحاث العلمية التي سعت إلى كشف أغوار الدّماغ البشري، من بينها الدّرس اللّساني الذي سعى إلى البحث في البنية التّصوّرية المتحكّمة في السّلوك البشري، ومن هنا مثّلتِ الاستعارة هذه العلامة الفارقة، إذ أصبح البحث فيها «انعكاسٌ لتطوّراتٍ في حقول معرفيةٍ كثيرة»"[3] ولم يعد يُنظر إليها «تلك النّظرة الشّائعة التي تختزل الاستعارة في طبيعتها اللّغوية»"[4]، ومن هنا تم اقتراح نظريةٍ تختلف عن الرّؤى السّابقة و«عن النّظريّات الموضوعية المعيار نظرية تركز على شيئين تمّ إغفالهما:

أ ـ دور الإنسان في تحديد التّصوّرات الدّالة.

1ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 189.

2ـ ريتشاردز، المرجع السابق، ص: 96.

3ـ عبد الله الحراصي، المرجع السابق، ص: 12.

4ـ المرجع نفسه، ص: 12.

ب ـ قدرة الخيال البشري على خلق تصوّراتٍ دالّة

وقد شكّلت هاتان النّقطتان انطلاقةً لعددٍ من النّظريّات ذات النّزعة التّجريبية بخصوص المعرفة»"[1]".

وعلى هذا الأساس، مثّل هذا الكتاب نقطة تحوّلٍ لمسار اللّفظ الاستعاري، و «بيّن أنّ الاستعارة تتعلّق بالتّصوّرات وليس بالألفاظ...ولا تتأسّس عمومًا على المشابهة، بل على التّعالقات العابرة لمجالين من مجالات تجربتنا، وهو ما يترتّب عنه ما ندركه من تشابهاتٍ بين المجالين في الاستعارة»"[2]"، أي إنّها عملٌ عقليٌ تصوّريٌ متعلّقٌ بكلّ التّجارب الحياتية التي يمارسها الإنسان ويصادفها أثناء خوضه لصراعاتٍ مع الزّمان والفضاء الذي يعيش فيه، وفي علاقاته مع الآخرين.

بناءً على هذه الطّروحات المعرفية التي استجدّت في البحث اللّساني مع جورج لايكوف ومارك جونسون من خلال مؤلّفهما "الاستعارات التي نحيا بها" يمكننا القول بأنّ مفهوم الاستعارة قد أخذ مساراتٍ جديدةً تواكب ما حدث من تطوّرٍ في العلوم، حيث أنّ كلّ تطوّرٍ في حقول العلم الإنسانية قد يؤدّي إلى تطوّرٍ في الرّؤى الاستعارية، وذلك بما يتوافق مع الخطوط العامّة التي تطرحها المسارات التّطوّرية التي تشهدها هذه الحقول المعرفية "[3]" من سياسةٍ واقتصادٍ وغيرها، وعليه أصبحت مقولات الاستعارة ومفاهيمها تشهد تطوّرًا سريعًا بفضل هذه الرّؤية المستجدّة، فـ «كان هذا التّطوّر ثمرة انتقالٍ معرفيٍ خصبٍ من الاهتمام بجمال العبارة في الخطاب الأدبي وهو مجالٌ ضيّقٌ طالما أرهق الدّرس البلاغي وعزله عن واقع الخطاب التّواصلي عامّة، إلى الاهتمام بنجاعة العبارة في سياقاتها البلاغية الحيّة الواسعة، وبمسالك بنائها الذّهني، أو

1ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، المرجع السابق، ص: 10.

2ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد الذّهن المتجسّد وتحدّيه للفكر العربي، ص: 14.

3ـ يُنظر: عبد الله الحراصي، المرجع السابق، ص: 13.

بمعمارها المعرفي أو الإدراكي» "[1] ونالتِ الاستعارة مكانةً في ضوءِ التّصوّر العرفاني، فانتقلت «إلى موقعها الطّبيعي إلى الذّهن، حيث المعرفة والأفكار والمعاني، والفهم. وذلك بالبرهنة على أنّها ليست "بظاهرةٍ لغويةٍ بدءًا وإنّما هي ذهنيةٌ في المقام الأوّل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالقدرات المعرفية البشرية الكلّية باعتبارها إحدى الآليات الأساسية التي يشتغل بها الذّهن»"[2]

في ظلّ هذا التّحوّل الذي عرفته الاستعارة بفضل المقاربة العرفانية، أصبح الإنسان يمارسها في جلّ تجاربه الإدراكية والجسدية، فكتاب الاستعارات التي نحيا بها قد قادنا إلى «توجّهٍ فلسفي يقوم على أساس مفهوم التّجسّد، أي الدّور الأساسي للجسد والمادّة عمومًا في تشكيل كثيرٍ من رؤانا في جوانب حياتنا البشرية»"[3]، وبهذا المفهوم، فإنّ الاستعارة قائمةٌ على عملية الإسقاط، أي تحويل ونقل ما نعرف من الظّواهر المادّية لتشكيل ما لا نعرفه من الظّواهر غير المادّية والتّجريدية"[4] وهذا ما عبّر عنه مؤلّفا الكتاب بقولهما: «إنّنا مازلنا نقف مشدوهين أمام ما لاحظناه، إذ إنّ ما يجعلنا نحيا نحن والنّاس الآخرين استعارات من قبيل الزّمن مال والحبّ سفر، والمشاكل ألغاز»"[5].

ولعلّ الشّواهد والأمثلة كثيرةٌ حول هذه الاستعارات، منها: «استعارة الجدال العقلي حرب، تسمح هذه الاستعارة بإقامة تصوّرٍ لما هو الجدال العقلي بالاستعانة بشيءٍ

1ـ صالح بن الهادي رمضان، النّظرية الإدراكية وأثرها في الدّرس البلاغي "الاستعارة أنموذجًا"، ندوة الدّراسات البلاغية ـ الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السّعودية، 1432هـ، ج1 ص: 814.

2ـ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي، ص: 84ـ85.

3ـ عبد الله الحراصي، المرجع السابق، ص: 13.

4ـ يُنظر: عبد الله الحراصي، المرجع السابق ص: 20.

5ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 221.

نفهمه بسهولةٍ أكبر، وهو الصّراع الفيزيائي»"[1]، فالصّراع في هذا المثال قائمٌ على تحقيق الأهداف والانتصار في الحرب (ظاهرةٌ مادّية)، وهذا تقريبًا يماثل الجدال العقلي الذي فيه «نعيش هذه المعارك الكلامية بنفس صيغة المعارك الفيزيائية تقريبا»"[2]، فمن الواضح هنا أنّ عملية فهمنا للجدال العقلي له خصائص تجريديةٌ معنويةٌ غير مرئية، فوظّفت تجربةً مخالفةً لها خصائص مادّيةٌ حسّيةٌ مرئية ، ومنه تمّ فهم الجدال العقلي عبر مجال «الإسقاط الاستعاري من مجال الأشياء المادّية على مجالاتٍ تجريدية»"[3].

من خلال ما تمّ ذكره فيما سبق، يمكن القول بأنّ مفاهيم الاستعارة قد تغيّرت في ظلّ التّوجّه العرفاني، وبالضّبط مع جورج لا يكوف ومارك جونسون، فهي تختلف عمّا كان سائدًا في الدّراسات البلاغية القديمة، فالاستعارات في ضوء التّيار العرفاني «لا ترتكز على المشابهة، إنّها فقط ترابطاتٌ عبر المجالات. ما إن تستخدم الاستعارة لأوّل مرّة، فإنّها تخلق مشابهةً تصوّرية. هذه المشابهة التّصوّرية يؤخذ بها لتكون مشابهةً حقيقيةً تحدّد مقولةً جديدة»"[4]، وبهذا تكون بنية الاستعارة العرفانية فيها إبداعٌ غير متوقّعٍ وملحوظ، وبناؤها لا يقوم على علاقة مشابهةٍ معهودة، إذ «هناك مشابهةٌ تستنبط من خلال الاستعارة التي تتجاوز مجرّد المشابهات بين طبقتي التّجارب، وهذه المشابهة مشابهةٌ بنيوية، إنّها ترتبط بالطّريقة التي تفهم بها أنفاق التّجارب المسلّط عليها الضّوء مع بعضها البعض بكيفيةٍ منسجمة»"[5]، ففي قولنا مثلا:"[6]

- هذه الفكرة ليست واضحةً لدي.

1ـ المرجع نفسه، ص: 81.

2ـ المرجع نفسه، ص: 82.

3ـ الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 189.

4ـ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي، ص: 112.

5ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 155.

6ـ عبد الله الحراصي، المرجع السابق، ص: 20.

- سأدافع عن أفكارك أمام الملإ رغم أنّي لا أرى ما تراه.
- لو فكّرت جيّدًا لرأيت بأمّ عينك كيف أنّ أفكاره ستقودنا جميعًا إلى الهاوية.

فهذه الجمل السّالفة مبنيّةٌ على أساس الاستعارة، قوَامها "الأفكار أشياء مادّية" أي يمكن رؤيتها بحاسّة البصر وتلمّسها، فالاستعارة «لا تقوم على التّشبيه وإنّما على التّشكيل، ففي الأمثلة السّابقة لا يوجد في بنية التّفكير والأفكار ما يشبه عمليّة الإبصار والإدراك البصري، أي أنّ نظرية التّشابه هنا تسقط في حينٍ أنّ هذا يدلّ على أنّنا نشكّل تصوّرًا وفهمًا معيّنًا عن ظاهرة التّفكير، وتشكّل بنية هذا التّصوّر من خلال ظاهرة البصر المادّية»"[1]، وعليه، فإنّ الرّؤية المعرفية في تعاملها مع اللّفظ الاستعاري مخالفةٌ للنّظرة التي تربطها بالتّشابه القبلي المعهود، إنّها تخلق وجه شبهٍ غير معروفٍ ولا يرتكز على تشابه، فـ «أهمّ وظيفةٍ تقوم بها الاستعارة إتاحة فهمٍ

جزئيٍ لنوعٍ من التّجارب من خلال نوعٍ آخر...وإبداع مشابهاتٍ جديدة وأشياء أخرى»"[2]، وهذا ما يجعلنا نتحدّث عن أمثلةٍ أخرى من الاستعارات التي تتداخل فيها المفاهيم وتتغيّر من مثالٍ إلى آخر، ومن ذلك نجد استعارتا: "الجدال سفر" و"الجدال وعاء" فمن عبارات الاستعارة الأولى نجد:"[3].

- لقد سلكنا طريقًا يسمح لنا بأن نستدلّ على أنّ الخفافيش طيور.
- حين نصل إلى النّقطة الموالية سنرى أنّ الفلسفة ماتت.

أمّا من تعابير الاستعارة الثّانية:

1ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 20.

2ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 157.

3ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 105ـ107.

- ليس لاستدلالك محتوًى.
- هذا البرهان فارغ.

ما يمكنه قوله هنا: إنّ الاستعارتان مرتبطتان بتصوّرٍ واحدٍ يتمثّل في الجدال لكن كلّ عبارةٍ من العبارات السّابقة تحمل جانبًا من جوانب ذلك التّصوّر، حيث إنّ الأولى «نستعملها لتسليط الضّوء على هدف الجدال، أو اتّجاهه، أو للتّحدّث عن تقدّمه، أمّا حين نريد التّحدّث عن مضامين الجدال فإنّنا نستعمل الاستعارة المعقّدة بنيويا، الجدال وعاء، فالأوعية يمكن أن ينظر إليها باعتبارها تحدّد فضاءً منتهيًا له مساحةٌ ذات حدود وله مركز وهامش، وحاوية لمادّة... ونستعمل استعارة الجدال وعاءً حين نريد تسليط الضّوء على إحدى مظاهر الجدال السّالفة»"[1].

ولعلّ من أهمّ الأفكار التي تطرّق إليها كتاب "**الاستعارات التي نحيا بها**" تحديد أنواع وأنماط الاستعارة، وآليات اشتغالها وفقًا لطرفيها، وعليه برزت ثلاثة أنواعٍ للاستعارة، هي:

أ ـــ الاستعارة البنيوية:

وهذا النّوع من الاستعارة يقوم على أساسٍ معرفي، وتعني أن «يبنين تصوّرًا ما استعاريًا بواسطة آخر»"[2]، ومن ذلك تصوّرنا لمفهوم الزّمن على أنّه مال فنسقط بذلك عليه تجربة المال المادّية وما يستتبعها من تعبيراتٍ نحو:"[3]

- عليك أن توفّر وقتك.
- ليس لديّ وقتٌ أمنحك إيّاه.

1ـ المرجع نفسه، ص: 107.

2ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، المرجع السابق، ص: 33.

3ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 25ـ26

- وهل كان الأمر جديرًا بأن ترصد له وقتك؟

ب ـ الاستعارة الاتّجاهية:

ومصدر هذا النّوع من الاستعارات الجسد الذي به ندرك تصوّراتٍ مباشرة لها علاقةٌ بالاتّجاهات (فوق، تحت، وراء، أمام، مركز، هامش أمام، خلف...)، فنقوم بإسقاط هذه التّصوّرات الاتّجاهية على بنياتٍ تجريدية، وبالتّالي تعطيها «توجّهًا فضائيا، كما في التّصوّر التّالي: السّعادة فوق، فكون تصوّر السّعادة موجّهًا إلى أعلى هو الذي يبرّر وجود تعابير من قبيل: "أحسّ أنّني في القمّة اليوم"» "[1] فهذا النّوع من الاستعارات قائمٌ على ربط بين ما هو مجرّدٌ بما هو حسّيٌّ له علاقة بالاتّجاهات، ولكن «قد تختلف من ثقافةٍ لأخرى، ففي بعض الثّقافات مثلا، يوجد المستقبل أمامنا، في حينٍ أنّه في ثقافةٍ أخرى يوجد خلفنا»"[2].

ج ـ الاستعارة الأنطولوجية:

إنّ تجارب الإنسان مع المحسوسات لا تقتصر على البعد الاتّجاهي المرتبط بالجسد بل هناك إدراكٌ لكياناتٍ مادّية لها علاقةٌ بأبعاد، وبفضل قدرته المعرفية يستطيع أن يوظّف ذهنه في إنشاء تصوّرٍ لمفهومٍ يفتقد لتلك الأبعاد والحدود، إذ إنّه «بقدر ما تنتج التّجارب الأساسية للتّوجّه الفضائي الإنساني استعاراتٍ اتّجاهية، تكون تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية (وبخاصّةٍ أجسادنا) مصدرًا لأسس استعارات أنطولوجية متنوّعة جدّا، أي أنّها تعطينا طرقًا للنّظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار...باعتبارها كياناتٍ وموادّ»"[3].

1ـ المرجع نفسه، ص: 29.

2ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، المرجع السابق، ص: 33.

3ـ المرجع نفسه، ص: 45.

ومن أمثلة ذلك، نجد:"[1]

- إنّ التّضخّم يخفض مستوى عيشنا
- يجب محاربة التّضخّم
- يلتهم التّضخّم جزءًا كبيرًا من عائداتنا....

فـ «في جميع هذه الحالات، يسمح لنا اعتبار التّضخّم كيانًا بالإحالة عليه، وبتكميمه وبأن نعين منه جزءًا خاصّا، وبأن نرى فيه سببًا، وبأن نتصرّف بحيطة إزاءه وربّما بأن نعتقد أنّنا نفهمه، فاستعارات أنطولوجية كهاته ضروريةٌ في محاولتنا تقديم تحليلٍ عقلاني لتجاربنا»"[2].

بناءً على هذا الطّرح المعرفي العلمي الذي يخصّ أنواع الاستعارة عند لايكوف وجونسون، يمكن أن نستنتج بأنّ الاستعارة قائمةٌ على أساس الإسقاط الذّهني من مجالٍ إلى آخر، فهي بذلك «لا تقوم على المشابهة بقدر ما تقوم على عملية ربط. تقوم الرّوابط بعمليةٍ اختراقيةٍ بين مجالين أحدهما هدفٌ والآخر مصدر، إذ توجد توافقاتٌ بين المجالين»"[3]، ولهذا فإنّ الاستعارة عندهما ثلاثة أصنافٍ من البنينة (تكوين بنيةٍ لغوية) وهي:"[4]

- بنينة نسقٍ تصوّري استنادًا إلى نسقٍ تصوّريٍ آخر (الجدال حرب)، ويسمّى هذا الصّنف بالاستعارة البنيوية.

1ـ المرجع نفسه، ص: 46.

2ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، المرجع السابق، ص: 46.

3ـ جنان التّميمي، الزّمن في العربية من التّعبير اللّغوي إلى التّمثيل الذّهني (دراسةٌ لسانيةٌ إدراكية)، ص:19.

4ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 19ـ20.

- بنينة بعض الأنساق اعتمادًا على تجربتنا الفضائية باعتبارنا كائناتٍ تحدّدنا الاتّجاهات، كالأعلى والأسفل واليمين واليسار والمركز والهامش، ويسمّى هذا النّوع بالاستعارة الاتّجاهية.
- بنينة الأنساق المجرّدة اعتمادًا على بنية الأنساق الفيزيائية (الحبّ رحلة) ويسمّى هذا الصّنف بالاستعارة الأنطولوجية.

من خلال هذه التّصنيفات والطّروحات المعرفية، يمكننا القول: إنّ الاستعارة ميدانها علميٌ بحت، تقوم على فكرة التّجسّد باللّغة، أي أنّها تتحكّم في كلّ تجاربنا الجسدية والثّقافية وتصوّراتِنا المختلفة، فهي بذلك «عمليةٌ ذهنيةٌ يؤخذ فيها بعين الاعتبار المؤتلِف والمختلِف ليشكّل الكلّ وحدة»"[1]، أي أنّها «لا تتأسّس على علاقة المشابهة ، بل على التّعالقات العابرة لمجالين من مجالات تجربتنا، وهو ما يترتّب عنه ما ندركه من تشابهاتٍ بين المجالين في الاستعارة...أضف إلى هذا أنّ نسق الاستعارات التّصوّرية ليس اعتباطيًا أو حادثًا تاريخيا، بل إنّه يتشكّل إلى حدٍّ بعيدٍ من طبيعة أجسادنا والطّرق المشتركة التي نشتغل بها في عالمنا اليومي»"[2].

وبالتّالي فإنّ التّصوّر العرفاني للاستعارة يربط بين اللّغة والبنية التّصوّرية، حيث إنّ جزءًا كبيرًا من مفاهيمنا وأفكارنا مجالها استعاري، وهي مخزّنة في البنية التّصوّرية الذّهنية، فـ «الاستعارة حاضرةٌ في كلّ مجالات حياتنا اليومية، إنّها ليست مقتصرةً على اللّغة، بل توجد في تفكيرنا، وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إنّ النّسق التّصوّري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعةٌ استعاريةٌ بالأساس»"[3].

1ـ عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللّغة العربية، مقاربةٌ معرفية، ص: 63.

2ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد الذّهن المتجسّد وتحدّيه للفكر العربي، ص: 14.

3ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 21.

ولعلّ ممّا أشار إليه المؤلّفان قضيّة الرّبط بين الاستعارة والصّدق، فقد ذهبا إلى القول بأنّ: «فهم الصّدق من خلال الإسقاط الاستعاري لا يختلف، من حيث الجوهر، عن فهم الصّدق من خلال الإسقاط غير الاستعاري، والفرق بين الفهمين أنّ الإسقاط الاستعاري يتطلّب فهم شيءٍ من نوعٍ معيّنٍ من خلال شيءٍ من نوعٍ آخر، ومعنى ذلك أنّ الإسقاط الاستعاري يقتضي نوعين مختلفين من الأشياء، في حينٍ أنّ الإسقاط غير الاستعاري يقتضي نوعًا واحدًا من الأشياء فقط» "[1]"، لذلك فقد ربطا بين الصّدق والمعنى في القول الاستعاري لا ربطًا بالواقع، حيث «ركّز الباحثان على الكيفية التي ندلّ بها، كيف نفهم أنفسنا والعالم من حولنا، وكيف نعيّن ما هو صادق (أو حقيقي) في منظورنا»"[2]"، كما أنّ المعنى والصّدق يختلفان من شخصٍ لآخر، وهذا ما أكّده الباحثان بقولهما: «من جهتنا، لا نؤمن بوجود صدقٍ موضوعي (مطلقٍ وغير مشروط)...والصّدق موجودٌ رغم ذلك. إلاّ أنّه ليس من الضّروري ربطه بالطّرح الموضوعي...فالصّدق دائمًا نسبيٌّ بالنّظر إلى نسق تصوّري تمّ تحديد جزءٍ كبيرٍ منه خلال الاستعارة»"[3]"

ومن الموضوعاتِ والمباحث التي أطال فيهما المؤلّفان الحديث، ما عنون بـ" أسطورة النّزعة الموضوعية، وأسطورة النّزعة الذّاتية، حيث إنّهما ركّزا على كيفية تعامل هاتين النّزعتين مع المعنى والاستعارة.

تحدّث الكاتبان عن هاتين النّزعتين المتناقضتين، واعتبرا النّزعة الموضوعية أساسها «الصّدق العلمي، والعقلانية، والدّقة، والعدالة، والنّزاهة، أمّا حلفاء النّزعة الذّاتية

1ـ المرجع نفسه، ص: 171.

2ـ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التّصوّرية والخطاب الأدبي، ص: 85.

3ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 163.

فهم: العواطف والمعرفة الحدسية، والخيال، والأحاسيس البشرية، والفنّ وكذلك ذلك النّوع السّامي من الصّدق»"[1].

إنّ هاتين النّزعتين قد تمّ رفضهما في التّوجّه العرفاني، إذِ اقترح نزعةً ومنهجًا آخر، هو الأنموذج التّجريبي الذي يجمع بين النّزعتين السّابقتين، فـ «المقاربة التّجريبيّة تسمح لنا أيضًا بإقامة ربطٍ بين أسطورتي النّزعة الموضوعية والنّزعة الذّاتية من حيث التّجرّد وإمكان الصّدق الموضوعي، والاختياران اللّذان تمنحهما الأسطورتان هما: إمّا الموضوعية المطلقة، أو الحدس الذّاتي الخالص» "[2] فالصّدق التّجريبي يقوم على أساسٍ ذهني، فمثلاً قولنا: لا يمكننا هضم الأفكار الصّعبة"، فالفعل هضم مثلاً له «معنيان حرفيان (موضوعيان) مختلفان متمايزان: هضم1 للأكل، وهضم2 للأفكار، وبحسب هذا التّفسير، ستكون لدينا كلمتان مشتركتان لفظيا، كما في اللّفظين عين (عين الماء ، وحاسّة البصر)... فقد كان الأمر بدءًا استعارة، ثمّ أصبحت هذه الاستعارة جزءًا من اللّغة متوَاضَعًا عليه»"[3]

وعليه فإنّ المقاربة العرفانية للاستعارة اعتمدتِ الرّؤية التّجريبية، وهذا ما نجده عند كلٍّ من لايكوف وجونسون، فقد «كان تصوّرهما مبنيًا على نظرية تفاعليةٍ تسعى إلى تفسير استناد التّصوّرات الاستعارية إلى البعد التّجريبي البشري، وقوامه التّفاعل مع المحيط»"[4]

1ـ المرجع نفسه، ص: 184.

2ـ المرجع نفسه، ص: 186.

3ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، المرجع السابق، ص: 202.

4ـ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد الذّهن المتجسّد وتحدّيه للفكر العربي، ص: 11.

وعليه فإنّ نظرية الاستعارة، كما يتصوّرها المؤلّفان في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها، يجب أن تبنى كالآتي:"[1]"

- الاستعارات طبيعتها تصوّرية، والجانب اللّغوي ثانويٌ فيها.
- ترتبط الاستعارات التّصوّرية بتجاربنا اليومية الحياتية.
- أفكارنا المجرّدة الذّهنية استعاريةٌ في أغلبها.
- الفكر الاستعاري حتميٌ واجب، ولا يمكن لنا تجنّبه، ومهيمنٌ ومنتشرٌ لا مفرّ منه، وهو غير واعٍ في معظمه.
- التّصوّرات المجرّدة الذّهنية لها نواةٌ حرفيةٌ لفظيةٌ ولكنّها تتوسّع بواسطة الاستعارات، وغالبًا ما يحصل ذلك بواسطة استعاراتٍ غير متلائمةٍ مع بعضها بعضًا (تغيّر المجالات فيها).
- لا يمكن الفصل بين التّصوّرات المجرّدة والفكر، فهما يتكاملان، فمثلا، الحبّ ليس حبًّا بدون استعارات السّحر، والانجذاب والجنون...

في ختام قراءتنا لهذا الكتاب يمكننا القول: إنّه كتابٌ مهمٌّ في نظرية الاستعارة في ضوء المقاربة العرفانية، فقد كان منطلقًا لكلّ الدّراسات العرفانية التي تلته، فأثّر فيها تأثيرًا واضحًا في جلّ البحوث المتعلّقة بالتّيّار العرفاني بصفةٍ عامّة، وبالبحوث المتعلّقة بالاستعارة بصفةٍ خاصّة، فبعد ترجمته إلى العربية كثرتِ التّأليفات العربية حول نظرية الاستعارة، ومثّل بذلك ثورةً جذريةً من خلال إعادة النّظر في مقولاتِ الاستعارة لدى الباحثين العرب، والذي ما يزال البحث فيها بِكرًا ومجهولاً لدى الكثير منهم.

1ـ ينظر: المرجع نفسه، ص16.

خاتمة

خاتمة:

إذا كانت اللّسانيات المعاصرة، قد انتهت إلى صياغة مقولاتها الجوهرية التي استمدت حُضورها وتميّزها من خلال ما تنهض عليه من مبادئ ومنطلقات مستجدة قِوامها الدّور الإبداعي الذي يُؤديه الذّهن والعقل البشري، فإن الدّرس اللّساني قد تحول إثر انفتاحه على مُستجدات البحث التي باشرتها العلوم المعرفية ونظرية الذّكاء الاصطناعي إلى مجالاتٍ أرحبَ تحاول الرّبط بين اللّغة والدّماغ، واللّغة والجهاز العصبي، اللّغة والذّهن البشري، وبهذا خضعت الدّراسة اللّغوية لفاعلية التّحول المعرفي وتشكّلت على أثرها لسانيات مغايرةٌ عُرفت باللّسانيات العرفانية.

وعلى هذا الأساس انبثقت دراساتٌ ألسنية معاصرة استوجبت حضور الذّهن والآلة باعتبار ذلك التّشابه القائم بين الجهازين، كُل ذلك كان بفضل معطيات ومقولات علم الذّكاء الاصطناعي القائم على الحوسبة والرّقمنة والمعالجة الآليّة للغات الطبيّعية.

ضمن كل هذه المحطّات البحثية والتّوجهات الجديدة، كانت رحلتي في هذا العمل البحثيّ، إذ حاولنا استبيان طبيعة الاستمداد والتّلقي العربي للأنموذج اللّساني العرفاني ونماذج القراءة العربية للنّظرية المعرفية في ظلّ مسالك التّلقي المتعددة.

حتى وإن كانت طبيعة البحث لم تنتهِ إلى تحقيق نتائج علميةٍ دقيقةٍ، إلا أنّني حاولتُ الخروج بمجموعةٍ من النّتائج الجوهرية ألخصُها فيما يلي:

- إنّ اللّسانيات العرفانية توجهٌ ألسُني جديدٍ حاول تكشّف مسارات الدّراسة اللّغوية في الذّهن البشري، إذ يرى بأنّه مجموعة الوظائف الدّماغية المعالجة للمعلومات، وقد انبثق وظهر مع مطلع السّبعينيات بالولايات المتّحدة الأمريكية، نتيجة لرفضه للمُقاربات الشّكلية الوصفية للّغة، ويحاول تقديم رُؤية مُستجدّة للدّرس اللّغوي.

- تشكّلت اللّسانيات العرفانيّة نتيجة لذلك التّعالق والتّجاذب القائم بين العُلوم المعرفية البينية، فقد شكّلت منطلقًا أساسيًا ومسارًا تحوليًا في الدّرس اللّغوي الحديث، وأدّى إلى انبثاق التّيار الألسني العرفاني والتّأصيل لهذا الأنموذج والبراديغم اللّساني الجديد بمنهجه العقلي الذّهنوي التّجريبي.
- ارتبطت مقولات ومعطيات الأنموذج الألسُني العرفاني بتلك المفاهيم التي أفرزها لنا التّوجه المعرفي، وهو ما أدّى بها إلى الاصطباغ بتصورات علم الذّكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب والحاسوبيات.
- إنّ الملامح المؤسسة للتّيار العرفاني تستندُ في الأساس إلى مسلكين رئيسيين: هما المسلك التّأصيلي، والذي تمثل في العلوم المعرفية بكل توجهاتها ومجالاتها من علم النّفس، والذّكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، والمسلك اللّغوي الألسني والمتمثل في النّحو التّوليدي والانتقادات التي وُجهت إلى نعوم تشُومسكي.
- تنهض المقاربة الألسنيّة العرفانيّة على مجموعة من المنطلقات والميزات منها الاهتمام بالدّلالة، وجعل اللّغة ملكةً معرفية موجودة في الدّماغ البشري، فهي على هذا المعطى مثلها مثل القدرات المعرفية الأخرى من ذاكرة وذكاء وتخيّل، كما أنّها تؤُكد على أنّ مكونات اللّغة كُلها صوت صرف تركيب دلالة مُستويات متكاملة لا يمكن الفصل بينها، كما أنّ وظيفتها غير مقتصرة على وظيفة التّواصل فقط بل تتعداها إلى الرّمزنة والتّصور.
- إنّ الأنموذج الألسُني العرفاني يمثل تيارًا بحثيًا بينيًا، شاركت في انبثاقه عدّة مجالاتٍ بحثية في الأدبيات اللّسانية الحديثة والمعاصرة، وأصبحت العلاقة بينها وبين هذه التّوجه اللّغوي الجديد علاقة تأثير وتأثُر ومن بين هذه العُلوم نجد (علم النّفس، علم الأعصاب، الأنثروبولوجيا، اللّسانيات، الذّكاء الاصطناعي، الفلسفة).

- إنّ المعالجة العصبية لمُستويات اللّغة في ظلّ التّوجه العرفاني لم تحقق نتائج مرجوة لأنّها قائمة على جانب عضوي عصبي والدّراسات العلمية في هذا المجال لم تصل لحدّ الآن إلى نتائج يقينيّة، ومن هُنا توجّهت الدّراسة إلى مجالات أرحب تستهدف المعالجة الآلية لمستويات اللّغة (صوتًا، صرفًا، دلالةً، ومعجمًا).
- روافد الاشتغال الألسُني في رحاب نظرية الذّكاء الاصطناعي قائمةٌ على رافد نظري يهدف إلى صياغة برمجيات حاسوبية ونماذج صُورية تعكس لنا ذلك الجانب الذّهني للّغة، ورافد إجرائي تطبيقي أساسُه تغدية الحاسب الآلي بالبرمجيات الحاسُوبية والنّماذج الصّورية.
- إنّ الاشتغال الألسني في ظلّ مقولات ومعطيات علم الذّكاء الاصطناعي قائمٌ على معالجة نظرية ذهنية وعصبية لمستويات اللّغة، تعكس لنا الجانب المُضمر الخفي وذلك من خلال تزويد الآلة بالبرمجيات الحاسوبية التي تعكس التمثلات الذّهنية لجميع المستويات اللّغوية.
- تقوم المعالجة الآليّة لمستويات اللّغة على رافد إجرائي تطبيقي من خلال معالجة حاسوبية مخبرية تكشف لنا الواقع الإنجازي للمكونات اللّغوية والجانب الفعلي الجليّ لها وذلك من خلال تزويد الآلة بالمادة اللّسانية المنطوقة المناسبة (أصوات، كلمات، تراكيب).
- إنّ التّلقي العربي للأنموذج العرفاني لم يكن إلا في السّنوات الأخيرة من هذا القرن مع مجموعة من الباحثين العرب، واللّسانيات العربية لم تكن بمنأى ومعزلٍ عن السِّجال المعرفي والعلمي الذي أفرزه هذا التّيار الألسُني.
- إنّ الدراسة التّقويمية التّحليلية للمُنجزات والأعمال العربية حول النّظرية اللّسانية العرفانية بمختلف أشكالها تكشف عن كونها لم تخرج عن إطار الفعل التّرجمي مع بعض الأعمال الشّارحة التيسيرية وأخرى تطبيقية.

- من خلال تتبّع مسارات ومسالك التّلقي العربي للأنموذج العرفاني تكشف لنا بأنّها لم تخرج عما جاءت به اللّسانيات العرفانية لدى الغرب من نظرياتٍ فشملت (نظرية علم الدّلالة العرفاني، نظرية النّحو العرفاني، نظرية الاستعارة العرفانية) مع بروز بعض الأعمال العربيّة التّطبيقية على هذه النّظريات.
- الدّراسة التّحليلية الانتقائية لبعض النّماذج العربية في إطار النّظرية اللّسانية العرفانية توضحُ لنا مدى استيعاب العرب للأنمودج اللّساني العرفاني ونظرياته المتعدّدة، خاصةً المترجمة منها.
- كتاب علم الدّلالة والعرفانية لراي جاكندوف والمترجم من قبل عبد الرّزاق بنور، يكشف لنا عن مدى وعيّ هذا المترجم وسعيه لإيصال نظرية علم الدّلالة العرفاني للقارئ العربي، فقد كان هذا الكتاب مرجعًا أساسيًا لفهم هذه النّظرية ومقولاتها المتعدّدة (المقولة، البنية التّصورية، نظرية المزج، الخطاطة الصورة...وغيرها).
- يمثّل كتاب مدخل إلى النّحو العرفاني لعبد الجبار بن غريبة إطارًا ومرجعًا عربيًا أساسيًا في فَهم نظرية النّحو العرفاني ومقولاته التّصورية، فقد ساهم هذا المُؤلف في تكشّف الرّؤية لدى الباحثين العرب المهتمِّين بهذا المجال البحثي، خاصةً دراسته التّطبيقية على النّحو العربي من خلال التّفريق بين واو العطف وواو التّعليق.
- شكّل كتاب الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف ومارك جونسون ثورةً معرفيةً في البحث اللّساني العربي وذلك من خلال إعادة النّظر في مقولات الاستعارة، فقد أثّر هذا الكتاب في عديد الدّارسين العرب ما أسهم في بروز وانبثاق مجموعةٍ كبيرةٍ من الأعمال العربيّة التي أعادت الرّؤية للقول الاستعاري وتتبّعت مساره التّحولي في ضوء النّظرية العرفانية، وكانت في أغلبها نماذج تطبيقيّة على مختلف الخطابات.

- إنّ التّلقي العربي للتّوجه الألسُني العرفاني لا يزال في مرحلة متأخّرة، لكن هُناك آفاقٌ مستقبلية منتظرة من القارئ العربي يحاول فيها مُسايرة مُستجدات الأبحاث اللّسانية المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1ـ العربية:

1. إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.
2. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط2، 1973.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، د/ت.
4. أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1998.
5. أبو محمّد القاسم السّجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، مكتبة المعارف، الرّباط، ط1، 1980.
6. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصّناعتين، الكتابة والشّعر، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952.
7. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/ط، ج4، 1979.
8. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2013.
9. أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط1، 2003.
10. أحمد ماجد، الذكاء الاصطناعي بدولة الإمارات العربية المتحدة، إدارة الدراسات والسياسات الاقتصادية، الإمارات العربية المتحدة، مبادرات الربع الأول، 2018.

11. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د/ط)، (د/ت).

12. إدريس السغروشني، مدخل للصواتة التوليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1978.

13. الأزهر الزناد، النص والخطاب، مركز النشر الجامعي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2011.

- نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.

- اللغة والجسد، مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، 2017.

14. أنس شكشك، الهندسة النفسية، إدارة الجسد وتشكيل الشخصية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.

15. أنيس فريحه، نحو عربيةٍ ميسّرة، دار الثّقافة، بيروت، 1972.

16. أيمن الشربيني، علم الأنسجة، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، (د/ط)، 2011.

17. بلاي ويتباي، الذكاء الاصطناعي، إعداد قسم الترجمة، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2008.

18. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1994.

ـ تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د/ط)، 1990.

19. توفيق قريرة، الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية، مكتبة لسان العرب، ط1، 2011.

20. جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، ج1، (المناهج والنظريات)، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د/ط، د/ت.

21. جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، السلسلة 145، 1990.

22. الجمعي بولعراس، مدخل إلى اللسانيات النفسية العصبية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية: المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2017.

23. جنان التميمي، الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني (دراسة لسانية إدراكية)، جامعة الملك سعود، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، ط1، 2013.

24. جهاد عفيفي، الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة العربية، 2015.

25. حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة، دراسةٌ تحليليةٌ نقديةٌ في قضايا التّلقّي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

26. حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

27. حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة، أسئلة اللّسانيات، حصيلة قرنٍ من اللّسانيات في الثّقافة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

28. حسام البهنساوي، أهمّية الرّبط بين التّفكير اللّغوي عند العرب ونظريات البحث اللّغوي الحديث (في مجالي مفهوم اللّغة والدّراسات النّحوية)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د/ط، 1994.

ـ نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية (دراسات تطبيقية)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

29. حسان الباهي، اللغة والمنطق بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2015.

30. حسن حنفي، التّراث والتّجديد موقفنا من التّراث القديم، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، ط4، 1992.

31. حسن مرضي حسن، مدخل إلى فهم اللغة والتفكير، الأولى للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د/ط، د/ت.

32. حسين علي، ما هي الفلسفة؟، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

33. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013.

34. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

35. خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، مكتبة لسان العرب، ط1، 1984.

36. راضية بن عريبة، محاضرات في اللسانيات الحاسوبية، ألفا دوك للنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2017.

37. رافع النصير الزغول، عماد عبر الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د/ط، د/ت.

38. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1997.

39. الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

40. سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

41. السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008.

42. سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط2، 2008.

43. صابر الحباشة، اللغة والمعرفة، رؤية جديدة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008.

ـ مسارات المعرفة والدّلالة، دار كنوز المعرفة، الأردن، عمان، ط1، 2011.

44. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1998.

45. صلاح قنصوه، فلسفة العلم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د/ط، 1981.

46. عادل عبد النور بن عبد النور، مدخل إلى الذكاء الاصطناعي، مدينة عبد الملك بن عبد الله بن عبد العزيز للعلوم التقنية، المملكة العربية السعودية، 2005.

47. عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.

48. عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانقاكر)، مسكيلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ط1، 2010.

49. عبد الرّحمن الحاج صالح: السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنّشر، الجزائر 2012.

ـ بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، دار موفم للنشر، الجزائر، 2012.

ـ بحوث ودراسات في علم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

50. عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات إبستمولوجية، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2019.

51. عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2019.

52. عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1990.

53. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986.

ـ قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، د/ط، د/ت.

ـ مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

54. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

55. عبد العزيز المسعودي، التّطوّر اللّغوي بين المعجم والنّحو، بحث لساني في ظاهرة الإنحاء، دراسات 15 مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربية، دار وجوه للنّشر والتّوزيع، الرّياض، السّعودية ط1، 2019.

56. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 2006.

57. عبد العزيز حمّودة، المرايا المقعّرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت.

58. عبد العزيز خليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية (تعاريف، أصوات)، منشورات دراسات، سال، المغرب، ط1، 1991.

59. عبد الفتاح بنقدور، اللغة: دراسة تشريحية ـ إكلينيكية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2012.

60. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1993.

61. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجى، القاهرة، (د/ط)، (د/ت).

62. عبد الله الحراصي، دراساتٌ في الاستعارة المفهومية، كتاب نزوى، مؤسّسة عمّان للصّحافة والأنباء والنّشر والإعلان، الإصدار الثّالث، أفريل2002.

63. عبد الله محمد الغذامى، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998.

64. عبد الله موسى، أحمد حبيب بلال، الذكاء الاصطناعي، ثورة في تقنيات العصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2019.

65. عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

66. عبد الوهاب جعفر، أضواء على الفلسفة الديكارتية، دار الفتح للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1990.

67. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

68. عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي، النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط3، 2012.

69. عصام نورالدين، علم وظائف الأصوات الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992.

70. عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2014.

ـ اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2019.

ـ في اللسانيات العصبية، المعالجة العصبية للغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2022.

71. علي صدر الدّين بن معصوم المدني، أنوار الرّبيع في أنواع البديع، مطبعة النّعمان، النّجف الأشرف، ط1، 1969، ج1.

72. علي عبد الرحيم صالح وآخرون، ومضات في علم النفس المعرفي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013.

73. عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2015.

74. عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د/ط، 2004.

75. غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط2، 2000.

76. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.

77. فاطمة الهاشمي بكّوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث، دراسة في النّشاط اللّساني العربي، إيتراك للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

78. فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 1996.

79. فتحي الزيات، الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2، 2006.

80. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط16، 2000.

81. مبادئ علم العرفان، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، 2014.

82. مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.

83. مبروك سعيد عبد الوارث، في إصلاح النّحو العربي، دار القلم، الكويت، 1985.

84. محمّد الأوراغي، نظرية اللّسانيات النّسبية دواعي النّشأة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

85. محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس، ط1، 2009.

86. محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001.

87. محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط12، 1982.

88. محمّد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

89. محمد جاسم عيسى، قدرات الدماغ البشري الفائقة، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2014م، ص15.

90. محمد رشاد الحمزاوي، العربية والحداثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

91. محمد زياد حمدان، الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم، دراسة فيسيولوجية لماهيتها ووظائفها وعلاقاتها، دار التربية الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 1986.

92. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط9، 2009.

93. محمّد عبد المطّلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشّركة المصرية العالمية للنّشر، لونجمان، ط2، 2007.

94. محمد عبد الودود أبغش، نظريّة الأفضية الذّهنيّة: مبادئها وتطبيقاتها، كلّية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس، 2016.

95. محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

96. محمد علي الشرقاوي، الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية، الكتاب الأول ضمن سلسلة علوم وتكنولوجيا حاسبات المستقبل، مركز الذكاء الاصطناعي للحاسبات، القاهرة، مصر، 1996.

97. محمّد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 1987.

ــ النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحاليل جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

98. محمد محمد العمري، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية "البنيوية والتوليدية"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2012.

99. محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

100. محمود أحمد نحلة، آفاقٌ جديدةٌ في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002.

101. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د/ط، د/ت، ص303.

102. محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستمولوجية وجهات تطبيقية، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017.

103. مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

104. مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب دراسةٌ تداوليةٌ لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت، ط1، 2005.

105. مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.

106. مصطفى حداد، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

107. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013.

ـ اللّسانيات في الثّقافة العربية الحديثة، حفريات النّشأة والتّكوين، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

108. ـــ في اللّسانيات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتّحدة بيروت، لبنان، ط1، 2010.

109. مصطفى غلفان، امحمّد الملاّح، حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات التّوليدية من النّموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

110. منذر عياشي، اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري حلب، ط1، 1996.

111. منقور عبد الجليل، علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربي ـ دراسة ـ منشورات اتّحاد الكتّاب العرب دمشق، 2001.

112. منية عبيدي، التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف 1983م، منشورات علامات، مكناس، المغرب، ط1، 2013.

113. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقيّة دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

114. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، السلسلة التاسعة، 1978.

115. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، مؤسسة تعريب، 1988.

116. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د/ط، د/ت.

117. هناء صبري، فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2015.

118. وفاء البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1994.

ـ المترجمة:

119. أ. س. رابوبرت، مبادئ الفلسفة، ترجمة أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012.

120. إيرين تامبا، علم الدّلالة، ترجمة سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2018.

121. بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

122. بنيان اللغة، ترجمة إبراهيم الكلثم، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2017.

123. بول ريكور، الاستعارة الحيّة، ترجمة محمّد الولي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2016.

124. توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007.

125. تيرنس دبليو ديكون، الإنسان..اللغة.. الرمز، التطور المشترك للغة والمخ، ترجمة شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014.

126. تيرينس موور وكريستين كارلنغ، فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي، ترجمة حامد حسين الحجاج، مراجعة سلمان داود الواسطي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1998.

127. جرهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970م، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

128. جوديث جرين، التفكير واللغة، ترجمة عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

129. جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009.

130. ــ الفلسفة في الجسد الذّهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016.

131. جوليان باجيني، الفلسفة موضوعات مفتاحية، المعرفة ـ الأخلاق ـ العقل ـ الدين ـ السياسة، ترجمة أديب يوسف شيش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010.

132. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.

133. جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1980.

134. جيفري ساميسون، المدارس اللغوية، التطور والصراع، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993.

ـ مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ط1، 1994.

135. جين إتشسن، اللسانيات مقدمة إلى المقدمات، ترجمة عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016.

136. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.

137. ديريك بيكرتون، اللغة وسلوك الإنسان، ترجمة محمد زياد كبة، مكتبة لسان العرب، جامعة الملك سعود، 2001.

138. ر. جاكندوف، ن. تشومسكي، ر. فندلر، دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة: محمد غاليم، محمد الرحالي، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

139. ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، السلسلة 227، نوفمبر 1997.

140. راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010.

141. رسل لوف وانداويب، علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق، ترجمة محمد زياد يحي كبة، جامعة الملك سعود، 2010.

142. روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص251.

143. رومان ياكبسون الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.

ـ قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.

ـ محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م، ص75.

144. رونالد لانقاكر، مدخل في النّحو العرفني، ترجمة الأزهر الزّناد، دار سيناترا، معهد تونس للتّرجمة، ط1، 2018.

145. ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ترجمة سعيد الغانمي، ناصر حلاوي، أفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان، 2002.

146. سايمون كلارك، أسس البنيوية نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية، ترجمة: سعيد العليمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015.

147. ستيفن بنكر، الغريزة اللغوية، كيف يبدع العقل اللغة، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، الرياض، مكتبة المريخ، 2000.

148. سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة السعودية، ط1، 1983.

149. سوزان غرينفيلد، تغير العقل، كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2017.

150. الشهيد مرتضى المطهري، العرفان، ترجمة علي الهاشمي، دار الولاء، بيروت، لبنان، ط2، 1436ه.

151. فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1985.

152. فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، المركز القومي للترجمة، العدد 1889، الطبعة 2014.

153. كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة، المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

154. كلاوس هيشن، القضايا الأساسية في علم اللغة، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

155. مارك تورنر، مدخل في نظرية المزج، ترجمة الأزهر الزّناد، جامعة منوبة، تونس، وحدة البحث، اللّسانيات العرفنية واللّغة العربية، 2011.

156. ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2012.

157. ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني، ط1، 2007م، سيدي بلعباس، الجزائر.

158. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998.

159. محمد تقي مصباح اليزدي، الإيديولوجية المقارنة، تر: عبد المنعم الخاقاني، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم، ط1، 1992.

160. مصطفى بوعناني، الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، تقديم: مبارك حنون، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013.

161. مونيكا شفارتس، مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2015.

162. ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سوسير، ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

163. ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000.

164. نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبدا لقاءات ومقالات، ترجمة أسعد محمد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010.

ــ آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

ــ اللغة والمسؤولية، ترجمة حسام البهنساوي، زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2005.

ــ المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي، ط1، 1992.

165. هاري فان دزهالست، نورفال سميث، الفونولوجيا التوليدية الحديثة، ترجمة: مبارك حنون وأحمد علوي، منشورات دراسات سال، ط1، 1992.

ـ الأجنبية:

166. *Geeraets Dirk, Cognitive linguistics, Basics reading, Mouton de gruyter, Berlin,2006.*

167. *-Gilles Fauconnier,Cognitive Linguistics, Encyclopedia of Cognitive Science,*

168. *-Lakoff (George), Women, fire, and dangerous things what categories reveal about the mind/the university of chicago press.1987.*

169. *-Lakoff,G. and Johnson, M.1999. Philosophy in the Flesh: The Embodied Mind and its Challenge to Western Thought, New*

170. *-Mark Johnson, The body in the mind, the bodily basis of meaning, imagination and reason.The university of Chicago press, Chicago, New York.1987.*

171. *-Mead, Margaret,Chaning Styles of Anthropological Work. Annual Review of Anthropology, Palo Alto, 1973.*

172. *--Roman Jakobson, Essais de linguistique générale, Paris, Minuit, 1973, Tome2.*

173. *-Ronald W.Langacker, Cognitive Grammar, A Basic Introduction, Oxford University Press New York ,2008.*

174. *-Vyvyan Evans, Melaine Green ; Cognitive linguistics, An introduction, Edinburgh University press.2006.*

ـ المجلات والدوريات:

175. إبراهيم بن مراد، المقولة الدّلالية في المعجم، مجلّة المعجمية، تونس، ع 16-17، 2001.

176. ابراهيمي بوداود، الطبيعة الفيزيائية لمنطوق الهمزة العربية، الملتقى الوطني اللغة العربية والتقانات الحديثة، الجزء الأول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018.

177. ـ أنثروبولوجيا اللغة بين المرام والإجراء، مجلة أبحاث، العدد الثاني، ديسمبر 2014.

178. أحمد جوهاري، المقولة ظاهرة معرفية: من التّأسيس إلى التّوسيع، مجلّة جيل الدّراسات الأدبية والفكرية، العام السّادس، العدد 55، سبتمبر 2019.

179. أحمد علي لقم، حوسبة النّحو العربي (الواقع ــ المعوّقات ـ التّحدّيات)، مجلّة الدّراسات الإسلامية والفكر للبحوث التّخصّصية، المجلّد 06، العدد 01، يناير 2020.

180. أحمد علي، سامي عبد الحميد، محمود عبد العزيز، حوسبة اللغة العربية بين الواقع والمأمول (منهج مقترح لأقسام اللغة العربية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز)، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

181. أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، الألسنية، المجلد 20، العدد 03، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1989.

182. إكرام مرعوش، جدلية البعد الأخلاقي في التسويق العصبي ـ دراسة تحليلية، مجلة الاستراتيجية والتنمية، المجلد 11/ العدد 03، أفريل 2021.

183. أوريدة عبّود، اللّسانيات في الوطن العربي بين الرّفض والقبول وموقف النّظرية الخليلية منها، مجلّة اللّسانيات المجلّد: 25، العدد 01، 2019.

184. بريجيت نرليش وديفيد كلارك، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، ترجمة حافظ إسماعيلي علوي، مجلة أنساق، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، المجلد الأول، العدد الأول، مايو2017.

185. بنعيسى زغبوش، التجريب بين علم النفس وعلوم الأعصاب: اشتراك في البراديغم، واختلاف في التقنيات، وتشابه في النتائج، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 29، المجلد الثامن، صيف 2019.

186. ــ نماذج تقييس الأنظمة الاصطناعية للّغة الطّبيعية، مجلّة العلوم التّربوية والنّفسية، المجلّد 04، العدد 02، يونيو2003.

187. جاسم محمد زهراء، طريقة عمل برنامج برات وتحليل القصائد صوتيا ومخبريا، المخبر الصوتي، جامعة ذي قار، كلية الآداب.

188. الجمعي بولعراس، مدخل إلى اللسانيات النفسية العصبية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية: المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2017.

189. حاتم محمّد محمّد مصطفى تحليل الخطاب بين نحو النّصّ والنّحو المعرفي، مجلّة البحث العلمي في الآداب (اللّغات وآدابها)، المجلّد 22، العدد 01، شتاء2021.

190. حنان أحمد، الشبكات الدلالية العربية ودورها في إثراء المحتوى العربي على الأنترنت، المجلة المصرية لعلوم المعلومات، مج7، ع1، 2020.

191. دحمان نور الدين، التكامل المعرفي من وجهة نظر اللسانيات الإدراكية وأثره في إضاءة جوانب النص، مجلة أبحاث، العدد الأول، ديسمبر 2013.

192. دلخوش جار الله حسين، علم الدّلالة الإدراكي: المبادئ والتّطبيقات، مجلّة الآداب، العدد 110، 2014.

193. ذهبية حمو الحاج، العلوم المعرفية: بحثٌ في النّشأة والمفاهيم، مجلّة أبوليوس، المجلّد 06، العدد 02، جوان 2019.

ـ مقدمة في اللسانيات المعرفية، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد 14، مارس2013.

194. راضية بن عربية، الصوت اللغوي والحوسبة الآلية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، المجلد 01، العدد 02 2009.

195. رضا بابا أحمد، اللسانيات الحاسوبية: مشكل المصطلح والترجمة، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، جامعة تلمسان، الجزائر.

196. صالح بن الهادي رمضان، النّظرية الإدراكية وأثرها في الدّرس البلاغي "الاستعارة أنموذجًا"، ندوة الدّراسات البلاغية ـ الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السّعودية، 1432هـ، ج1.

197. عايدة حوشي، مدخل إلى هندسة الدلالة "المقدمة المختصرة لعلم الدلالة الحاسوبي لأنستازيا كورنيلوفا نموذجا"، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد الأول، المجلد الثاني، ماي2021.

198. عبد الحليم بن عيسى، اللغة العربية الواقع والتحديات، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 05، يناير 2006.

199. عبد الحميد عبد الواحد، محمّد خروف، المقولة في نظرية النّموذج الأصل، مجلّة سياقات اللّغة والدّراسات البينية، الإصدار الأوّل، العدد الثّالث، أغسطس 2016.

200. عبد الرحمن أيوب، تحليل عملية التكلم وبعض نتائجه التطبيقية، مجلة عالم الفكر، الألسنية، المجلد العشرون، العدد الثالث، 1989.

201. عبد الرحمن محمد طعمة محمد، بيولوجيا اللسانيات: مدخل للأسس البيو ـ جينية ـ للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 37، سبتمبر 2016.

202. عبد الله بن مهدي الأنصاري، الدرس النحوي في ضوء الحاسب الآلي، المؤتمر الدولي اللغة العربية ومواكبة العصر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2012.

203. عبد الله صولة، أثر نظرية الطّراز الأصلية في دراسة المعنى، حوليات الجامعة التّونسية، العدد 45، 2001.

204. ــ المقولة في نظرية الطّراز الأصلية، حوليات الجامعة التّونسية، العدد 46، 2002.

205. عزيز كعواش، علم اللغة النفسي بين الأدبيات اللسانية والدراسات النفسية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع، جوان2010م، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

206. عشري محمد علي محمد، مبادئ المعالجة الآلية للغة العربية "الدلالة نموذجا"، المجلة العلمية بكلية الآداب.

207. عمر بن دحمان، "المعرفة/ الإدراك/ العرفنة، بحث في المصطلح"، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 14، 2013.

208. عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظورٍ دلاليٍ معرفي، مجلّة الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 10، جانفي2012.

209. عمر ديدوح، فعالية اللسانيات الحاسوبية العربية، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ الجزائر، العدد الثامن، ماي2009.

210. عمر محمد أبو نواس، نحو معجم مفهرس للمصطلحات العربية الموحدة في ضوء اللسانيات الحاسوبية ومشروع الذخيرة العربية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، يونيو 2013.

211. فتحي الزيات، الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2، 2006.

212. ففيان إيفانز وميلاني جرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة عبده العزيزي، مجلة فصول (الإدراكيات)، المجلد(4/25)، العدد 100، صيف 2017.

213. كاترين فوكس، هل توجد لسانيات إدراكية، ترجمة لطفي السيد منصور، مجلة فصول، (الإدراكيات)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد(4/25)، العدد (100)، صيف 2017.

214. كمال الدين عطاء الله، تعلم اللغات في ضوء التكنولوجيا واللسانيات العرفانية، مجلة التعليمية، المجلد 11، العدد 1، ماي 2021.

215. لطيفة إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود، م17، 2004.

216. محمد إسماعيل بن شهداء، إنتاج اللغة في الدماغ (دراسة في علم اللغة العصبي)، مجلة لسان الضاد العدد 02، رقم 01، أفريل 2015.

217. محمد خاين، النص الإشهاري بين الترجمة والتكييف، مجلة المترجم، العدد 15، جوان 2007.

218. محمد خطاب، اللغة في العرفان الصوفي، مجلة حوليات التراث، مستغانم، الجزائر، العدد 06، 2006.

219. محمد زكي خضر، نحو معالجة الدلالة في اللغة العربية عبر قواعد البيانات: دراسة أولية لنص القرآن الكريم، المؤتمر الوطني السابع عشر للحاسب الآلي (المعلوماتية في خدمة ضيوف الرحمن)، جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة، 2004.

220. محمد طه، آفاق جديدة في دراسة العقل، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 35، 2006.

221. محمود سليمان الجعيدى، مشاريع حوسبة علوم اللغة العربية، مجلة علوم اللغة، كتاب دوري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، المجلد 11، العدد 03، 2008.

222. مصطفى زكي حسن التونى، المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء المدارس والاتجاهات الحديثة في علم اللغة، حوليات كلية الآداب، الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة الرابعة والستون، 1988.

223. مصمودي مجيد، المعالجة الدلالية للغة من المعجم المحوسب إلى الأنطولوجيا، مجلة جسور المعرفة، المجلد 06، العدد 03، سبتمبر2020.

224. ميهايو أنطوفيتش، مكانة علم الدّلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، ترجمة حليمة بوالرّيش، مجلّة فصول، العدد 100.

225. نسيمة زيداني، الكتابات اللّسانية العربية الحديثة بين واقع التّأييد والرّفض بالمناهج الغربية، مجلّة الآداب واللّغات والعلوم الإنسانية، المجلّد: 4، العدد: 7، جانفي2021.

226. نصيرة بن شيحة، الأنموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من رحاب الذكاء الفطري إلى فضاء الذكاء الاصطناعي، ضمن أعمال الملتقى الوطني، اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي، جامعة معسكر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2020.

227. نورة مطلق سعد الوطري، مريم سعيد بالعجيد، حوسبة النّحو العربي بين الواقع والمأمول، مجلّة فصل الخطاب، مجلّد10، رقم03، سبتمبر 2021.

ـ الكتب الجماعية:

228. أمينة عثامنية، المفاهيم الأساسية للذكاء الاصطناعي، كتاب جماعي بعنوان تطبيقات الذكاء الاصطناعي كتوجه حديث لتعزيز تنافسية منظمات الأعمال، إشراف وتنسيق أبو بكر خوالد، تأليف مجموعة من الباحثين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، ط1، 2019.

229. الحبيب المقدميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، تحرير صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، مباحث لغوية 63، دار وجوه للنشر والتوزيع، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، الرياض، ط1، 2019.

230. الحبيب المقدميني، نظرية الجسدنة في العلوم العرفانية (المعرفية) ومحوريتها في المقاربات اللّسانية للدّلالة والنّحو، مؤلّف جماعي، العدد العشرون، سلسلة رسالة الباحث الدّولية، منشورات ألفا للوثائق، قسنطينة الجزائر، ط1، 2020.

231. الصوتيات، قضايا ودراسات، تقديم براهيمي بوداود، تأليف مجموعة من الباحثين، منشورات ألفا دوك، ط1، 2020.

232. عبد الرحمن طعمة، البعد الذهني في اللسانيات العرفانية، مدخل مفاهيمي، تحرير صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، مباحث لغوية 63 (مؤلف جماعي)، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2019.

233. كلود فاندولواز، استقلال اللغة والعرفان، ترجمة ثامر الغزي، (إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، مؤلف جماعي، مختارات معربة بإشراف وتنسيق عز الدين مجدوب)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ج1، 2012.

234. مجدي صوالحه وإيرك أتول توظيف قواعد النّحو والصّرف في بناء محلّلٍ صرفي للّغة العربية، جامعة ليدز، المملكة المتّحدة.

235. محمد عطية محمد العربي أحمد، الذكاء الاصطناعي ونمذجة اللغات الطبيعية، الطموح، والواقع، والآفاق، تأليف جماعي (العربية والذكاء الاصطناعي)، مباحث لغوية 59، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2019.

236. محمود سليمان الجعيدى، مشاريع حوسبة علوم اللغة العربية، مجلة علوم اللغة، كتاب دوري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، المجلد 11، العدد 03، 2008.

237. منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات الحاسوبية، مؤلف جماعي (مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية)، مباحث لغوية 30، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2017.

238. نهاد الموسى، حصاد القرن في اللسانيات، ضمن كتاب حصاد القرن المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط1، 2008.

239. هند بنت سليمان الخليفة، نوال بنت إبراهيم الحلوة، عريب بنت عبد الله العويشق، عالية بنت عمر باحنشل علم الدلالة والأنطولوجيا، من منظور حوسبة اللغة العربية، مباحث لغوية 29، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2017.

240. هيد الله مولود مزايط، نشأة اللسانيات المعرفية، (اللسانيات المعرفية، تقديم جعفر يايوش، تأليف نخبة من الباحثين الأكاديميين)، منشورات ألفا للوثائق، ط1، 2020م، العدد 20، سلسلة رسالة الباحث الدولية، مختبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان، الجزائر.

241. وليد بن عبد الله الصانع، طرق ومستويات اللغة في الذكاء الاصطناعي، ضمن كتاب خوازميات الذكاء الاصطناعي في تحليل النص العربي، مباحث لغوية 61، مؤلف جماعي، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، ط1، 2019.

ـ الرسائل والمخطوطات:

242. ابراهيمي بوداود، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، رسالة ماجستير، إشراف مكي درار، كلية الآداب واللغات والفنون، دامعة وهران، 2007/2006.

243. بابا أحمد رضا، توليد الجمل في اللسان العربي (دراسة لسانية حاسوبية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014/2013.

244. عثماني عمار، ملامح تجديد البلاغة في كتاب "البلاغة العربية، قراءة أخرى" لمحمد عبد المطلب دراسة تحليلية نقدية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015م - 2016.

245. عيجولي حسين، تصميم طرق معالجة لغوية لتلخيص النصوص العربية، إشراف محمد عباس، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018/2017.

246. فارس شاشة، المعالجة الآلية للّغة العربية: إنشاء نموذج لساني صرفي إعرابي للفعل العربي، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2008.

247. معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتّجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلّية التّربية للبنات، قسم اللّغة العربية، 2014.

- **المواقع الإلكترونية:**

248. حيدر لازم الكناني، علم الأعصاب المعرفي، الحوار المتمدن، العدد 2015/04/24م، مقال إلكتروني، www.ahewar.org

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة...أ ـ خ

المدخل:

المنظور العربي للجهاز المفاهيمي العرفاني

1ـ العرفان في اللغة...02

2ـ العرفان في الاصطلاح...04

3ـ العرفان في التصوف الإسلامي...................................05

4ـ التعريف الاستعمالي (العرفان في الدراسات اللسانية) 07

5ـ مصطلح ***COGNITION*** وترجمته في الثقافة اللسانية العربية الحديثة...............09

1/5ـ مصطلح الإدراك..10

2/5ـ مصطلح العرفان..15

3/5ـ مصطلح العرفنة..17

4/5ـ مصطلح المعرفة..19

الفصل الأول

العرفانيات: خلفيات التأسيس واستراتيجية المقاربة اللسانية

ـ تصدير..25

1ـ المقولات التأسيسية للسانيات العرفانية...................35

1/1ـ حركة العلوم في العصر الحديث وتأثيرها على الدرس الألسني.........35

2/1ـ المقاربة العقلية في الدرس الألسني.....................38

3/1ـ البحث اللساني من التوليدية التحويلية إلى العرفانية...........43

4/1ـ العلوم المعرفية وانبثاق اللسانيات العرفانية..............48

5/1ـ علم النفس وتأثيره في الدرس اللساني...................55

2ـ الملامح التأسيسية والمقولات التأصيلية للسانيات العرفانية.......62

3ـ المنطلقات التصورية للنظرية الألسنية العرفانية..............72

الفصل الثاني:

مجالات الاشتغال الألسني في ظل التوجه العرفاني

1ـ اللسانيات العرفانية والحقول المعرفية المجاورة..............91

1/1ـ اللسانيات العرفانية وعلم النفس.......................92

2/1ـ اللسانيات العصبية وعلم الأعصاب......................95

3/1ـ اللسانيات العرفانية والذكاء الاصطناعي...................99

4/1ـ اللسانيات العرفانية والأنثروبولوجيا......................................102

5/1ـ اللسانيات العرفانية واللسانيات...105

6/1ـ اللسانيات العرفانية والفلسفة...108

2ـ مجالات اشتغال اللسانيات العصبية في ظل التوجه العرفاني.....................111

1/2ـ اللغة والدماغ.. 111

2/2ـ مناطق ومراكز معالجة اللغة في الدماغ البشري..............................117

3/2ـ المعالجة العصبية لمستويات اللغة في ظل التوجه العرفاني......................124

1/3/2ـ الصوت...124

2/3/2ـ النحو...129

3/3/2ـ الدلالة...135

3ـ آليات الاشتغال الألسني ومستويات اللغة في ظل نظرية الذكاء الاصطناعي.......140

1/3ـ نظرية الذكاء الاصطناعي والدرس الألسني الحديث...........................140

2/3ـ جدلية العلاقة بين الحاسوب واللغة...147

3/3ـ مفهوم اللسانيات الحاسوبية...149

4/3ـ المجالات التطبيقية للسانيات الحاسوبية.......................................152

5/3ـ المعالجة الآلية لمستويات اللغة في ظل نظرية الذكاء الاصطناعي

والحاسوبيات...154

1/5/3ـ طبيعة اشتغال الصوت في رحاب نظرية الذكاء الاصطناعي.................154

2/5/3ـ طبيعة اشتغال النحو في رحاب نظرية الذكاء الاصطناعي...................166

3/5/3ـ طبيعة اشتغال الدلالة في رحاب نظرية الذكاء الاصطناعي..................173

الفصل الثالث:

طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في الثقافة الألسنية العربية

1ـ الموقف الألسني العربي من اللسانيات الغربية...................................183

2ـ طبيعة التلقي العربي للسانيات العرفانية..194

1/2ـ تلقي اللسانيات العرفانية عبر أدوات الفعل الترجمي.............................195

2/2ـ الجهود العربية في مجال اللسانيات العرفانية...................................206

3ـ مسارات البحث اللساني العرفاني في التلقي العربي ـ دراسة تحليلية.................213

1/3ـ علم الدلالة العرفاني في التلقي العربي...213

1/1/3ـ مقولات وفرضيات علم الدلالة في ظل التوجه العرفاني........................213

2/1/3ـ قراءة في كتاب علم الدلالة والعرفانية..225

2/3ـ النحو العرفاني في التلقي العربي..230

1/2/3ـ قراءة في كتاب مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانقاكر)...........233

3/3ـ نظرية الاستعارة في التلقي العربي..243

1/3/3ـ قراءة في كتاب الاستعارات التي نحيا بها......................................246

الخاتمة..261
قائمة المصادر والمراجع...267
فهرس الموضوعات..299

ملخص الأطروحة:

تحوّل الدّرس اللّساني إثر انفتاحه على مُستجدات البحث التي باشرتها العلوم المعرفية ونظرية الذّكاء الاصطناعي إلى مجالاتٍ أرحبَ تحاول الرّبط بين اللّغة والدّماغ، واللّغة والجهاز العصبي، اللّغة والذّهن البشري، وبهذا خضعت الدّراسة اللّغوية لفاعلية التّحول المعرفي وتشكّلت على أثرها لسانيات مغايرةٌ عُرفت باللّسانيات العرفانية.

وعلى هذا الأساس انبثقت دراساتٌ لسانية معاصرة استوجبت حضور الذّهن والآلة من خلال ذلك التّشابه القائم بين الجهازين، كُل ذلك كان بفضل معطيات ومقولات علم الذّكاء الاصطناعي القائم على الحوسبة والرّقمنة والمعالجة الآليّة للغات الطبيّعية.

ضمن كل هذه المحطّات البحثية والتّوجهات الجديدة، كانت رحلتي في هذا العمل البحثيّ، إذ حاولنا استبيان طبيعة الاستمداد والتّلقي العربي للأنموذج اللّساني العرفاني ونماذج القراءة العربية للنّظرية المعرفية في ظلّ مسالك التّلقي المتعددة.

بناءً على هذا الاستقطاب المعرفي العرفاني انبثقت مجموعةٌ من التّساؤلات، نوردها على النّحو الآتي:

الإشكالية الكبرى:

- ما طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني الغربي من قِبل الباحثين العرب؟

تمخضت عنها إشكالات فرعية نذكر منها:

- ما هي المنطلقات المركزية التي ينهض عليها التّصوّر اللّغوي العرفاني؟
- ما مجالات الاشتغال الألسني في ظلّ هذا التّيّار اللّساني الجديد؟
- كيف استقبلتِ اللّسانيات العربية الحديثة التّصوّر العرفاني للّغة؟
- إلى أيّ مدًى تفاعلتِ اللّسانيات العربية مع إجرائية التّحليل العرفاني ذات الطّابع الإجرائي والتّقني العالي؟
- هل تمكّنتِ اللّسانيات العربية من تخطّي حدث التّلقّي الألسني للأنموذج العرفاني عبر أدوات الفعل التّرجمي؟
- ما هي النّماذج الألسنية العربية التي تعكس التّوجّه الألسني العرفاني؟

بناءً على هذا، اقتضت منّا متطلّبات تقديم موضوع البحث العلمي من الدّراسة رصد واستجلاء أهمّ الأهداف التي تروم وتسعى هذه الدّراسة تحقيقها، انطلاقًا من المقولات التّأصيلية للتّوجّه العرفاني عند الغرب وصولاً إلى الدّراسات اللّسانية العربية المعاصرة المتعلّقة به، ويمكن أن نجملها فيما يأتي:

1ـ معرفة البدايات الأولى للّسانيات العرفانية، وأهمّ الأسس والمنطلقات التي ارتكزت عليها.

2ـ البحث في مجالات الاشتغال الألسني في ظلّ التّوجّه العرفاني.

3ـ الوقوف على طبيعة التّلقّي العربي لهذا الأنموذج اللّساني.

4ـ دراسة في خصوصياتِ التّلقّي العربي للتّوجّه اللّساني العرفاني.

5ـ قراءة في جهود وأعمال بعض الباحثين العرب.

تماشيًا مع هذا الطّموح، اقتضت طبيعة البحث أن يتوزّع على مقدّمةٍ ومدخلٍ وثلاثة فصولٍ وخاتمةٍ مذيّلةٍ بقائمةٍ للمصادر والمراجع.

فكان أن وسمنا المدخل بـ "**المنظور العربي للجهاز المفاهيمي العرفاني**"، حيث عمدنا إلى تقديم قراءةٍ في مصطلح العرفان في الثّقافة العربية بدايةً من المعاجم العربية، ثمّ مفهوم العرفان في الاصطلاح وفي التّصوّف الإسلامي، وصولاً إلى الدّراسات الألسنية الحديثة، وأهمّ أبعاده الدّلالية في الثّقافة اللّسانية العربية، وأهم المقابلات العربية لمصطلح cognition من إدراك وعرفان وعرفنة ومعرفة.

وعلى هذا الأساس، خرجنا بمجموعة من المقولات تخص مصطلح العرفان وترجمته نذكرها فيما يأتي:

- يعكس لنا هذا التعدد المصطلحي الوعي الكبير لدى المترجمين والدّارسين العرب بآليات ضبط المصطلح خاصة الوافد من الثقافات الأجنبية.
- إنّ وفرة هذه المصطلحات وتنوعها تكشف لنا نوعًا من التّشتت المصطلحي والفوضى المصطلحية، لكن في نفس الوقت نتلمس جانبًا إيجابيًا يتمثل في ذلك الثّراء اللّغوي الذي تنماز به لغتنا العربية.
- إنّ مصطلح "الإدراك الذّهني" الذي اقترحه الباحث " محي الدين محسب" غير شائع لدى الباحثين واللسانيين العرب، كما أنّ مصطلح الإدراك يقابله في اللّسان الأجنبي مصطلح ***perception*** " الذي له مفهومًا خاصًا وحدودًا معرفيةً لها علاقة بالإدراك والحواس.

- إنّ مصطلح العرفان رغم شيوع استعماله لدى الباحثين العرب، إلا أنّه لم يلق استحسانًا لدى البعض منهم، نظرًا لأنّه متنوع الدّلالة وغير محدد من حيث المعنى والمفهوم (له معنى فلسفي ديني).
- لقي مصطلح العرفنة جدلاً كبيرًا وواسعًا لدى الباحثين العرب، هذا المصطلح الذي أصل له "الأزهر الزناد" وابتدعه، فقد رفض رفضًا مطلقًا لدى جُلّ الدّارسين لأنّه لا يتوافق مع الميزان الصّرفي العربي.
- إنّ مصطلح المعرفة الذي ارتضاه معظم الدّارسين العرب له علاقة بالبحث الألسُني، فهو يشمل كل ماله علاقة بالنّفس والمجتمع والحاسوب، إذ أصبحت اللّغة بهذا الصدد إطار معرفيًا هاما، لهذا فهو مصطلح شاملٌ والأكثر حظًا من المصطلحات الأخرى، لهذا شاعت تسمية اللّسانيات المعرفية خاصة لدى الباحثين المشارقة، ولكن في الوقت نفسه شاعت اللّسانيات العرفانية خاصةً عند الباحثين والألسنيين المغاربة.

أمّا الفصل الأوّل، فعنوناه بـ: "**العرفانيات: خلفيات التّأسيس واستراتيجية المقاربة**"، أشرنا فيه إلى تلك المنعرجات اللّسانية التي مهّدت لانبثاق الأنموذج العرفاني (البنوية، التّوليدية التّحويلية)، ومعرفة التّحوّلات المنهجية والمعرفية التي شهدتها الدّراسات اللّسانية، لينتهي بنا المطاف إلى الوقوف على الرّوافد المنهجية والإجرائية للّسانيات العرفانية.

ومن ثمّ، عرضنا لأهمّ المقولات التّأصيلية للّسانيات العرفانية والإرهاصات التي مهّدت لانبثاق هذا التّيّار الجديد، والظّروف التي أدّت إلى ظهوره (العلوم المعرفية

اللّسانيات التّوليدية التّحويلية)، لننتقل بعدها إلى الحديث عن أهمّ المنطلقات التّصوّرية للنّظرية الألسنية العرفانية.

توصلنا من خلال هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج والمقولات الجوهرية منها:

- إن اللسانيات العرفانية قد حذت منحى تجريديا متحورا حول الدماغ وبنيته الداخلية، فاستحضرت بذلك الملكات والقدرات المعرفية الذهنية للعنصر البشري الإنساني في عمليات تشكل المعلومات والتصورات وتنظيمها وتخزينها.
- أعاد التوجه الألسني العرفاني الاعتبار للمعنى بوصفه قطب الرحى وبؤرة الاهتمام وموئل البحث في الاشتغال الألسني، بالإضافة إلى التركيز على السياق والاستعمال اللغوي مقتربة بذلك من التيارات اللسانية السائدة آنذاك (الوظيفية والتداولية).
- تحمل اللسانيات العرفانية طابعا معرفيا، إذ إنها تهدف إلى التركيز على فهم تلك العلاقة الوطيدة القائمة بين اللغة والمعرفة.
- إن وظيفة اللغة في ظل التيار العرفاني لا تقتصر على التواصل بل تتعداه إلى وظائف أخرى، حيث إن وظيفتها ليست مجرد الكشف عن الواقع وتمثله بل إنها تحاول وصف كل القدرات العقلية والمعرفية للمتكلمين من استدلال وتخيل وذكاء...

أمّا الفصل الثّاني، فقد حاولنا فيه الوقوف على "**مجالات الاشتغال الألسني في ظلّ التّوجّه العرفاني**"، حيث حرصنا على الحديث عن اللّسانيات العرفانية وعلاقتها بالحقول المعرفية المجاورة (علم النّفس، علوم الأعصاب، الذّكاء الاصطناعي، الأنثربولوجيا اللّسانيات، الفلسفة)، ليتسنّى لنا- لاحقًا- رصد مجالات اشتغال اللّسانيات العصبية في ظلّ التّوجّه العرفاني من خلال معرفة العلاقة بين اللّغة والدّماغ، والوقوف على مراكز معالجة اللّغة فيه، ومعرفة كيفية المعالجة العصبية لمستويات اللّغة (صوتا، نحوا، دلالة) في ضوء هذا التّوجّه.

ومن ثمّ، تعرّضنا إلى آليات الاشتغال الألسني ومستويات اللّغة في ظلّ نظرية الذّكاء الاصطناعي، وذلك من خلال الوقوف على نقاط التّقاطع بين اللّغة والحاسوب والمعالجة الآلية لمستويات اللّغة في ضوء اللسانيات الرتابية، وفي رحاب علم الذّكاء الاصطناعي الرّقمي (الصّوت، النّحو، الدّلالة).

توصلنا من خلال هذا الفصل إلى نتيجة مفادها أن المُعالجة العصبية لمستويات اللغة تُعدّ من أعقد العمليات، ومناطق تحديدها أصبح محل اختلافٍ العلماء والدّراسين، لكنْ رغم ذلك إلا أنّ الدّراسات في هذا المجال مازالت متواصلةً خاصةً في ضوء التّطور التّكنولوجي وبرامج الذّكاء الاصطناعي التي حاولت تدارك هذه النّقائص التي لم يستطع علم الأعصاب المعرفي إيجاد نتائج يقينية فيها.

كما تعرّضنا في الفصل الثّالث إلى "**طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في الثّقافة الألسنية العربية**"، حيث حاولنا استبيان الموقف الألسني العربي من اللّسانيات الغربية منذ لحظة الانفتاح على المنجز اللّساني الغربي، فكان أن أشرنا

إلى طبيعة التّلقّي العربي للّسانيات العرفانية مع تقديم بعض الأعمال والجهود التي تثبت هذا التّلقّي مع الوقوف عند بعض الأعمال المترجمة والميسّرة، لنتطرّق في آخر المطاف إلى مسارات البحث اللّساني العرفاني في التّلقّي العربي بنظرياته المختلفة (علم الدّلالة العرفاني، النّحو العرفاني، نظرية الاستعارة)، مع دراسةٍ انتقائيةٍ تحليليةٍ لبعض النّماذج والتّجارب العربية.

وفي الختام، أنهينا البحث بخاتمةٍ تضمّنتِ النّتائج والمقولاتِ المركزية التي انتهى إليها البحث، بعد تتبّع الإرهاصات الأولى للنّظرية الألسنية العرفانية والمقولات التي ينهض عليها هذا التّوجّه البحثي الإرشادي الجديد مع معرفة طبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللّسانيات العربية.

ولإنجاز كل هذا استعنا بمكتبة بحثية نذكر من بينها:

ـ نظرياتٌ لسانية عرفنيةٌ للأزهر الزّناد.

ـ مدخلٌ إلى النّحو العرفاني لعبد الجبّار بن غريبة.

ـ الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف ومارك جونسون.

ـ علم الدّلالة والعرفانية لراي جاكندوف.

ـ اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة دراسةٌ تحليلية نقديةٌ في قضايا التّلقّي وإشكالاته لحافظ إسماعيلي علوي.

ـ نظرية الاستعارة التّصوّرية والخطاب الأدبي لعمر بن دحمان.

ـ الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية لمحي الدّين محسب.

ولعل من بين نتائج البحث التي خرجنا بها نذكر:

- إنّ اللّسانيات العرفانية توجهٌ ألسُني جديدٍ حاول تكشّف مسارات الدّراسة اللّغوية في الذّهن البشري، إذ يرى بأنّه مجموعة الوظائف الدّماغية المعالجة للمعلومات، وقد انبثق وظهر مع مطلع السّبعينيات بالولايات المتّحدة الأمريكية، نتيجة لرفضه للمُقاربات الشّكلية الوصفية للّغة، ويحاول تقديم رُؤية مُستجدّة للدّرس اللّغوي.
- تشكّلت اللّسانيات العرفانيّة نتيجة لذلك التّعالق والتّجاذب القائم بين العُلوم المعرفية البينية، فقد شكّلت منطلقًا أساسيًا ومسارًا تحوليًا في الدّرس اللّغوي الحديث، وأدّى إلى انبثاق التّيار الألسني العرفاني والتّأصيل لهذا الأنموذج والبراديغم اللّساني الجديد بمنهجه العقلي الذّهنوي التّجريبي.
- ارتبطت مقولات ومعطيات الأنموذج الألسُني العرفاني بتلك المفاهيم التي أفرزها لنا التّوجه المعرفي، وهو ما أدّى بها إلى الاصطباغ بتصورات علم الذّكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب والحاسوبيات.
- إنّ الملامح المؤسسة للتّيار العرفاني تستندُ في الأساس إلى مسلكين رئيسيين: هما المسلك التّأصيلي، والذي تمثّل في العلوم المعرفية بكل توجهاتها ومجالاتها من علم النّفس، والذّكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، والمسلك اللّغوي الألسني والمتمثل في النّحو التّوليدي والانتقادات التي وُجهت إلى نعوم تشُومسكي.

- تنهض المقاربة الألسنيّة العرفانيّة على مجموعة من المنطلقات والميزات منها الاهتمام بالدّلالة، وجعل اللّغة ملكةً معرفية موجودة في الدّماغ البشري، فهي على هذا المعطى مثلها مثل القدرات المعرفية الأخرى من ذاكرة وذكاء وتخيّل، كما أنّها تؤكد على أنّ مكونات اللّغة كُلها صوت صرف تركيب دلالة مُستويات متكاملة لا يمكن الفصل بينها، كما أنّ وظيفتها غير مقتصرة على وظيفة التّواصل فقط بل تتعداها إلى الرّمزنة والتّصور.
- إنّ الأنموذج الألسُني العرفاني يمثل تيارًا بحثيًا بينيًا، شاركت في انبثاقه عدّة مجالاتٍ بحثية في الأدبيات اللّسانية الحديثة والمعاصرة، وأصبحت العلاقة بينها وبين هذه التّوجه اللّغوي الجديد علاقة تأثير وتأثُر ومن بين هذه العُلوم نجد (علم النّفس، علم الأعصاب، الأنثروبولوجيا، اللّسانيات، الذّكاء الاصطناعي، الفلسفة).
- إنّ المعالجة العصبية لمُستويات اللّغة في ظلّ التّوجه العرفاني لم تحقق نتائج مرجوة لأنّها قائمة على جانب عضوي عصبي والدّراسات العلمية في هذا المجال لم تصل لحدّ الآن إلى نتائج يقينيّة، ومن هُنا توجّهت الدّراسة إلى مجالات أرحب تستهدف المعالجة الآلية لمستويات اللّغة (صوتًا، صرفًا، دلالةً، ومعجمًا).
- روافد الاشتغال الألسُني في رحاب نظرية الذّكاء الاصطناعي قائمةٌ على رافد نظري يهدف إلى صياغة برمجيات حاسوبية ونماذج صُورية تعكس لنا ذلك الجانب الذّهني للّغة، ورافد إجرائي تطبيقي أساسُه تغدية الحاسب الآلي بالبرمجيات الحاسُوبية والنّماذج الصّورية.

- إنّ الاشتغال الألسني في ظلّ مقولات ومعطيات علم الذّكاء الاصطناعي قائمٌ على معالجة نظرية ذهنية وعصبية لمستويات اللّغة، تعكس لنا الجانب المُضمر الخفي وذلك من خلال تزويد الآلة بالبرمجيات الحاسوبية التي تعكس التمثلات الذّهنية لجميع المستويات اللّغوية.
- تقوم المعالجة الآليّة لمستويات اللّغة على رافد إجرائي تطبيقي من خلال معالجة حاسوبية مخبرية تكشف لنا الواقع الإنجازي للمكونات اللّغوية والجانب الفعلي الجليّ لها وذلك من خلال تزويد الآلة بالمادة اللّسانية المنطوقة المناسبة (أصوات، كلمات، تراكيب).
- إنّ التّلقي العربي للأنموذج العرفاني لم يكن إلا في السّنوات الأخيرة من هذا القرن مع مجموعة من الباحثين العرب، واللّسانيات العربية لم تكن بمنأى ومعزلٍ عن السِّجال المعرفي والعلمي الذي أفرزه هذا التّيار الألسُني.
- إنّ الدراسة التّقويمية التّحليلية للمُنجزات والأعمال العربية حول النّظرية اللّسانية العرفانية بمختلف أشكالها تكشف عن كونها لم تخرج عن إطار الفعل التّرجمي مع بعض الأعمال الشّارحة التيسيرية وأخرى تطبيقية.
- من خلال تتبّع مسارات ومسالك التّلقي العربي للأنموذج العرفاني تكشف لنا بأنّها لم تخرج عما جاءت به اللّسانيات العرفانية لدى الغرب من نظرياتٍ فشملت (نظرية علم الدّلالة العرفاني، نظرية النّحو العرفاني، نظرية الاستعارة العرفانية) مع بروز بعض الأعمال العربيّة التّطبيقية على هذه النّظريات.

- الدّراسة التّحليلية الانتقائية لبعض النّماذج العربية في إطار النّظرية اللّسانية العرفانية توضحُ لنا مدى استيعاب العرب للأنمودج اللّساني العرفاني ونظرياته المتعدّدة، خاصةً المترجمة منها.
- كتاب علم الدّلالة والعرفانية لراي جاكندوف والمترجم من قبل عبد الرّزاق بنور، يكشف لنا عن مدى وعيّ هذا المترجم وسعيه لإيصال نظرية علم الدّلالة العرفاني للقارئ العربي، فقد كان هذا الكتاب مرجعًا أساسيًا لفهم هذه النّظرية ومقولاتها المتعدّدة (المقولة، البنية التّصورية، نظرية المزج، الخطاطة الصورة...وغيرها).
- يمثّل كتاب مدخل إلى النّحو العرفاني لعبد الجبار بن غريبة إطارًا ومرجعًا عربيًا أساسيًا في فَهم نظرية النّحو العرفاني ومقولاته التّصورية، فقد ساهم هذا المُؤلف في تكشّف الرّؤية لدى الباحثين العرب المهتمِّين بهذا المجال البحثي، خاصةً دراسته التّطبيقية على النّحو العربي من خلال التّفريق بين واو العطف وواو التّعليق.
- شكّل كتاب الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف ومارك جونسون ثورةً معرفيةً في البحث اللّساني العربي وذلك من خلال إعادة النّظر في مقولات الاستعارة، فقد أثّر هذا الكتاب في عديد الدّارسين العرب ما أسهم في بروز وانبثاق مجموعةٍ كبيرةٍ من الأعمال العربيّة التي أعادت الرّؤية للقول الاستعاري وتتبّعت مساره التّحولي في ضوء النّظرية العرفانية، وكانت في أغلبها نماذج تطبيقيّة على مختلف الخطابات.

- إنّ التّلقي العربي للتّوجه الألسُني العرفاني لا يزال في مرحلة متأخّرة، لكن هُناك آفاقٌ مستقبلية منتظرة من القارئ العربي يحاول فيها مُسايرة مُستجدات الأبحاث اللّسانية المعاصرة.

الملخص:

تمكّنت الدّراسات اللّسانية بفعل الانفتاح على مجالاتِ البحث العرفاني من استقطاب مُخرجات التّحليل التي اعتمدتها العلوم المعرفيّة ضمن مشروعٍ شموليّ يأخذ فكرة تداخل الاختصاصات التي لم تعُد حكرًا على الدّراسات اللّغوية واللّسانية، وإنّما انفتحت على حقول بحثية تجاوزت حُدود التّجاور المعرفي بمعناه الضّيق كعلم النّفس العرفاني، وعلمُ الذّكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب والبيولوجيا واللّسانيات...

وبذلك، اتّضحت المعالم المنهجية والإجرائية للسانيّات العرفانية بوصفها حقلاً معرفيًا، يشتغل على دراسة الذّهن البشري، واعتبار اللّغة عمليّة ذهنيّة لا يمكن أن نفهمها إلاّ من خلال علاقتها بباقي الظّواهر الذّهنية كالإدراك والذّكاء والتّخيل.

ولعلّ المُتأمّل في الدّرس اللّساني العربي وتلقيه لهذا الأُنموذج العرفاني يجدُ شُحًا في الأعمال التي تبرز تناولهم وتلقيهم إلا البعض منها، والتي كانت عَبر أدوات الفعل التّرجمي فتناولوه بالفحص والتّمحيص. لذا جاءت هذه الدّراسة لتحقيق أهدافٍ منها التّعرف على هذا الأنمُوذج اللّساني الجديد ذي المرجعيات الغربيّة، والوقوف على طبيعة التّلقي العربي له وتمثلاته في اللّسانيات العربية.

الكلمات المفاتيح: الدّماغ، الذّكاء الاصطناعي، العلوم المعرفية، اللّسانيات العرفانية، الذّهن البشري، التّلقي العربي، التّرجمة، اللّسانيات العربية.

Abstract:

Because of its openness on cognitive research fields, linguistic studies is able to attract the analysis results adopted by cognitive sciences within a total project taking into account the premise of interdisciplinary, which hasn’t been concerned only with linguistic studies. it has been opened on research fields surpassing the cognitive proximity, with its narrow sense, like cognitive psychology, artificial intelligence, neurology, biology and linguistics.

So, methodological and operative maps of cognitive linguistics, as it’s a cognitive field concerned with studying the human mind with regarding that language is a mind process, which can only be understood through its relation with the other mind phenomena like perception, intelligence and imagination.

Perhaps, the contemplator in the Arab linguistic lesson and this cognitive sample receptor find a scarcity in works demonstrating their address and receiving only some of them, which has been done through translation. They’ve meticulously scrutinized it. So, this study has come to achieve certain objectives including identifying this new linguistic sample of the Western references and focusing on the Arab reception nature and its representations in Arab linguistics.

Key words: brain, artificial intelligence, cognitive sciences, cognitive linguistics, human mind, the Arab reception, translation, arab linguistics.